المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد السابع والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٥ — ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٤

الارض في محيط الاشعاع

وتأثرها بضروبه المختلفة

ليست الارض في بحر الفضاء الا دقيقة من الهباء . ولكنها مع ذلك تستطيع ان تلتقط من طاقة الاشعاع ، ما يحرك الرياح ويجري الاموآء ويدفع النمو في اجسام الاحياء

اذا نظرنا الى السماء في ليلة صافية الاديم ، رأينا المريخ كرة صغيرة محمرّة ، وهو اقرب الى الارض من الارض الى الشمس . فاذا اتيح لمراقب ان يقف على سطح الشمس وينظر من خلال جوها الى رحاب الفضاء ، رأى الارض كما نرى المريخ او اصغر ، فيعجب ان كان عالماً بأحوال الارض ، كيف يستطيع هذا السيار الصغير ان يلتقط من الطاقة التي تسكبها الشمس في الفضاء ، قدراً يكفيه . والواقع ان الارض لا تستطيع ان تلتقط من طاقة الشمس الا جانباً يسيراً مما يصيب سطحها وهذا يعني احد امرين : اما ان الطاقة التي تطلقها النجوم — ومنها شمسنا — في الفضاء عظيمة جداً ، وإما ان الارض شديدة الاحساس بقسطها اليسير منها

من الطبيعي ان تكون اقرب النجوم الينا ، ابعدها تأثيراً في احوالنا . قد تكون الارض بلت الشمس وقد لا تكون . فالعلماء مختلفون في ذلك . ولكن الرأي السائد الآن ان الارض والشمس وسائر سيارات النظام الشمسي وتوابعها ، نشأت في وقت واحد من كتلة سديمية عظيمة . وعلى ذلك فالشمس شقيقة الارض الكبرى وليست بأمها . ولكن الامر الذي لا يختلف فيه اثنان ، ان الارض مدينة بجانب كبير من شكلها وخواص سطحها لاشعاع الشمس . فالشمس تطلق اطلاقاً دائماً تياراً

من الطاقة قوته ٦٠٠ مليون مليون مليون حصان . ونصيب سطح الارض من هذا التيار لا يزيد على جزئين من الفي مليون جزء منهُ ، ومع ذلك فهذا النصيب يبلغ مقدار حصان واحد لكل ذراع مربع من سطح الارض المضيء . على ان قدراً يسيراً جداً من نصيب الارض ، تمتصهُ الارض وتستعمله ، ولكنه كاف لابقاء المحيطات سائلة ، والجو غازيًّا ، وأحوال الحياة على ما هي

اما القمر فأقل من الشمس كتلة بل ان كتلته لا تبلغ الا $\frac{1}{٢٧٠٠٠٠٠٠}$ جزء من كتلة الشمس ولكنهُ اقرب الينا من الشمس فتوسط بعدهِ عنا ٢٣٨ الف ميل مع ان بعد الشمس عنا يبلغ متوسطهُ ٩٣ مليون ميل ، وكذلك يعوض قربُ القمر عن صغر كتلتهِ من حيث تأثيره في الارض

ولا نتولى هنا شرح المدّ والجزر كما يبدوان في مصابّ الأنهر وعلى بعض الشواطىء خاصة ، وكيف درست تفصيلاتهما درساً مدققاً ، حتى اصبح في الامكان معرفة علو الماء في بعض الموانىء ، معرفة دقيقة في كل ساعة من ساعات النهار والليل

أما ما لم يعرف الا من عهد قريب عن تأثير القمر في الارض ، فهو جذب القمر للجو ، واغرب منهُ جذب القمر لقشرة الارض . فقد اثبت العالمان الاميركيان الفرد لومس وهارلن ستتسن انهُ اذا كان القمر فوق الجانب الشمالي من المحيط الاطلنطي كانت وشنطن اقرب الى لندن بمقدار ٦٣ قدماً ، منها اذا كان القمر فوق الجانب المقابل للمحيط الاطلنطي من سطح الارض . اي ان القمر يحدث مدًّا في قشرة الارض فيقرب المسافة بين مدينتي وشنطن ولندن . والواقع ان الفرق في المسافة بين شواطىء اميركا واوربا ، لا يؤثر في أجور السفر والتلغرافات ، ولكنهُ فرق كبير في نظر العلماء الذين يقيسون خطوط العرض والطول قياساً دقيقاً بالنراني من درجات القوس وأجزائها

وقد عني ستتسن بعد ذلك بالمقابلة بين تواريخ الزلازل والتقويم القمري فظهر لهُ ان الزلازل تكثر عند ما يكون القمر في مواقع معينة في الفضاء

والشهب اصغر من القمر ، ولكنها تفوقهُ في اقترابها من الارض ، وبعضها يسقط على سطحها ويضاف وزنهُ الى وزنها . ويقدر العلماء عدد الشهب التي تخترق جوّ الارض بألف مليون شهاب كل يوم (٢٤ ساعة) . نعم ان معظمها لا يعدو كونهُ دقائق وحبيبات من الغبار الكوني ، ويفنى في خلال اختراقهِ لطبقات الهواء العليا ، ولكن بعضها كبير فيخترق الفضاء ويبقى منهُ جانب يصل الى الارض وهي الرجم ، ومنها رجم تبلغ زنة الواحدة منها بضعة اطنان ، وكثير منها يقع في الصحاري والبحار والادغال . ولذلك قدّر الاستاذ ويلي Wylie جملة ما يضاف الى وزن الارض كل سنة بسقوط الرجم عليها ، بنحو ألفين وخمسمائة طن

والشهب تأثير آخر هو تأيين ionize طبقات الهواء العليا او كهربتها بتمزيق بعض دقائقها . وقد اكتشف هذا الفعل من مراقبة الزيادة في وضوح الاشارات اللاسلكية في الفترات التي تنهمر فيها شآبيب الشهب . فالشهاب اذ ينقضُّ في الهواء سائراً بسرعة تتباين من عشرة اميال الى مائة

ميل في الثانية يحمى من احتكاكه بدقائق الهواء فيتوهج وتبلغ درجة حرارته احياناً ٣٠٠٠ درجة مئوية فتنطلق اشعاعات قوية وتصطدم بدقائق الهواء فتمزق بعضها ، وكذلك يسحب الشهاب في اثره ذيلاً من الدقائق الممزقة والهواء المكهرب

***

هذه هي الاجسام التي تراها العين — الشمس والقمر والشهب — وهذا بعض تأثيرها في سطح الارض وجوّها . ولكن الاشعة الكونية مما تعجز العين عن رؤيته ، بل مما تعجز الآلات الدقيقة عن تبينه الاّ اذا كانت قد صنعت خاصة لذلك . والعلماء مختلفون في طبيعة هذه الاشعة ، ففريق يقول انها اشعاع من قبيل الاشعة السينية ، وفريق يقول انها مؤلفة من دقائق متناهية في الصغر متناهية في السرعة . ولكنّ احداً لا يرتاب في انها تصدم الارض وما عليها بطاقة عظيمة . فضغط الكهرب في ساعقة قد يبلغ الف مليون ڤولط ، ولكن ضغط بعض الكهارب التي تقذف من المادة عند اصطدام الاشعة الكونية بها قد يبلغ مرتبة عشرة آلاف ڤولط او اكثر من ذلك

ولا يحتمل ان تتعرّض الارض وما عليها لاشعاع هذا قوته ولا تتأثر به . فالاستاذ جولي الجولوجي الارلندي ذهب من بضع سنوات الى ان هناك علاقة بين الاشعة الكونية وتفشي حوادث السرطان . ولا يزال هذا الرأي نظرية من دون برهان يؤيدها . ولكن الاستاذ مول الاميركي اثبت ان الاشعة السينية تؤثر في احداث التحوّلات الفجائية في ذباب الفاكهة . ومن هنا نشأ القول بانّ بين الاشعة الكونية ومراتب التطوّر العضوي صلة وثيقة ، بل قد يكون في الاشعة الكونية مفتاح التطور العضوي . الاّ ان البحث الاحصائيّ في كثافة الاشعة الكونية يشير الى ان هذه الاشعة غير كافية لاحداث جميع التحولات الفجائية التي حدثت على مرّ الدهور ، فتحوّلت بها الاحياء وتطوّرت ، ولكنّ من المؤكد ان بعض التحولات الفجائية يمكن اسنادهُ اليها

ولعلّ احدث النظريات المتعلقة بفعل الاشعة الكونية في الارض نظرية وضعها لوس العالم الاميركي والاستاذ في جامعة كاليفورنيا . فعلماء الجولوجية الطبيعية الذين يستطلعون طلع الارض بالطريقة الزلزلية يقولون ان قلب الارض كرة ضخمة كثيفة من الحديد والنيكل ، تحيط بها قشرة الارض الصخرية ، وهذه تعلوها طبقة التربة في مناطق ومياه المحيطات والبحار في مناطق اخرى

فلما تأمل الاستاذ لوس في هذا التركيب استوقف نظره ما يعرف عن الرجم وهو انها مركبة من هاتين الطائفتين من المواد . فنسبة رجم ٩٩ في المائة من أجسامها مركبة من حديد ونيكل ، وثمة رجم اخرى حجرية مركبة من المواد الداخلة في تركيب قشرة الارض بوجه عام

فالصخور التي تتركب منها قشرة الارض والرجم الحجرية مؤلفة في الغالب من السليكون وبعض عناصر اخرى . وذرة السليكون تزن بوجه عام نصف ما تزنهُ ذرة الحديد أو ذرة النيكل . اي اذا استطعت ان تطلق ذرة سليكون على ذرة سليكون اخرى ، في احوال مؤاتية من الطاقة العالية —

على نحو ما يفعل العلماء في تحويل بعض العناصر الآن — فقد تندمج الذرة الواحدة بالذرة الاخرى فتولد ذرة حديد أو ذرة نيكل . يقابل ذلك انك اذا اطلقت تياراً من الطاقة العالية على ذرة حديد أو ذرة نيكل فقد يكون في المستطاع ان تقسم هذه الذرة الى جزئين كلٌّ منهما ذرة سليكون

ولا يخفى ان الحديد والسليكون من العناصر المستقرة والطاقة التي تفعل بهما هذا الفعل يجب ان تكون عالية جداً ، أعلى من أية طاقة استطاع الانسان توليدها في المعمل حتى الآن

وهنا نعمل الى مكان الاشعة الكونية في نظرية لوس ، لانها تنطوي على ما يظهر ، على طاقة كافية لاحداث هذا التحويل . فالاشعة الكونية تستطيع من الناحية النظرية أن تحطم ذرة حديد أو ذرة نيكل الى ذرتي سليكون . والسليكون كذلك عنصر مستقر ولكن في طاقة الاشعة الكونية ان تحلّ ذرتهُ الى ذرتي عنصرين خفيفين احداهما ذرة المغنيزيوم والاخرى ذرة الهليوم . وكذلك يمضي فعل التحويل فتنشأ العناصر الخفيفة من العناصر الثقيلة . وقد بيّن الاستاذ لوس انهناك ثمانية عناصر لها نظائر ، وان اوزان هذه النظائر كسور بسيطة من أوزان الحديد والنيكل ، فهي في الراجح قد نشأت منهما بطريقة التحوّل التي تقدم ذكرها

وهذه النظائر الثمانية هي العناصر التي تتركب منها الرجُم الحجرية . وعلى ذلك نستطيع ان نتصور الارض مركبة في الاصل من الحديد والنيكل ثم تحوّل سطحها بفعل الاشعة الكونية منهما الى عناصر القشرة الارضية اي السليكون والمغنيزيوم والالومينوم والصوديوم وغيرها

فالنظرية طريفة تغري بالنظر ولكنها على كل حال لا تقول شيئاً عن اصل الحديد والنيكل وعلاقتهما بغاز السديم الاصلي الذي نشأت منهُ الارض . والاستاذ لوس نفسهُ يعترف بأن غرضهُ ليس وضع نظرية كونية شاملة بل محاولة تعليل بعض الظاهرات التي تستوقف النظر ومنها هذه الظاهرة ظاهرة التشابه بين بعض الرجم وقلب الارض من ناحية ، وبين بعض الرجم الاخرى وقشرة الارض ، من حيث العناصر التي تدخل في بنائها جميعاً وصلة ذلك بالاشعة الكونية

***

الا ان حدود الكرة الارضية ليست الطبقة العليا من قشرتها . بل هناك غلافها الغازي الذي نطلق عليهِ اسم الجو . فاذا كانت الارض تتأثر بمؤثرات خارجية ، آتية اليها من الفضاء فالمرجح ان بعضاً من مظاهر هذا التأثر يبدو في جوها . وهذا هو الواقع ، ولكننا ما نزال بعيدين عن معرفة صحيحة لما يضطرب بهِ الجو . والفضل في كشف ما كشف حتى الآن يرجع الى علماء المواصلات اللاسلكية بل ان اعظم اكتشاف حديث في بناء الكرة الارضية ، انما هو اكتشاف ان الهواء مركب تركيباً كهربائياً

كان الرأي القديم ان الارض يحيط بها غلاف غازي ثقلُ كثافته وويداً رويداً الى ان يندمج في الفضاء الرحب الفارغ على مائة ميل او اكثر فوق سطح البحر . اما النظر الجديد الى هذا الغلاف الغازي فهو انهُ بمثابة سقف كهربائي للكرة الارضية

لما كشف العلامة الالماني هرتز عن الامواج اللاسلكية ، وبدأ المستطلعون والعلماء يتصورون كيف يمكن استعمال هذه الامواج للتخاطب ، كانت القاعدة التي بني عليها كل تفكيرهم ان التخاطب بهذه الامواج لا يمكن ان يمتد نقطتين قريبتين على سطح الارض لان الامواج اللاسلكية لا تنحني بانحناء الارض وتكورها . فالمسافة بين محطتي التخاطب ، تمكن زيادتها بزيادة ارتفاع الاعمدة التي تحمل الاسلاك الهوائية . وهذه الاعمدة كالمنائر يزداد امتداد ضوئها بزيادة ارتفاع بنائها

وكانت تجارب مركوني الاولى مما قوّى هذا الاعتقاد . ففي سنة ١٨٩٦ جرّب الاتصال اللاسلكيّ بين نقطتين في سهل سلسبوري بانكلترا ، تبعد احداهما ميلين عن الاخرى . ثم زاد ارتفاع الاعمدة فزادت المسافة بين النقطتين المتصلتين . فلما كانت سنة ١٩٠٠ كانت هذه المسافة قد بلغت ستين ميلاً ، وفي الاحوال الجوية الموافقة ، امكن الاتصال اللاسلكي على مسافة مائة ميل

وكان مركوني مع اجلاله لآراء العلماء يحسّ انهُ من الحق ، الجزم في موضوع لم يدرس درساً وافياً كهذا الموضوع ، وكان علاوة على ذلك يحسّ ان هذه الامواج اللاسلكية تتحدب بتحدّب الارض ، والاّ فكيف يعلّل اجتيازها مائة ميل من محطة الى محطة ، ولو انها كانت كما يقولون لما استطاعت ذلك

لذلك اقدم سنة ١٩٠١ على تجربته المشهورة فاثبت ان في الامكان الاتصال اللاسلكي بين اوربا واميركا (راجع « الكلمات المجنحة » في كتابنا فتوحات العلم الحديث) . فهي من اعظم التجارب العلمية في التاريخ ، لانها اضافت حقيقة جديدة الى العلم وهي ان تكوّر الارض لا يعيق الامواج اللاسلكية عن الوصول من محطة الى اخرى على جانب الارض المقابل ، ثم لانها كانت مفتتح عصر المخابرات اللاسلكية العجيب

فاذا كانت هذه الامواج تنحني وتتحدّب بتحدّب الارض فلا بدّ من شيء يحنيها ، وقد كان معروفاً عند العلماء ان موصلاً كهربائيًّا كلوح من النحاس او شبكة من السلك المعدني يستطيع ان يعكس الاشعة اللاسلكية . فاذا فرضنا وجود موصل من هذا القبيل في طبقات الجوّ العليا — كطبقة من الايونات — كان ذلك كافياً لعكس الامواج اللاسلكية . والنظر العلمي كان يقضي ان ترتدّ هذه الامواج من الطبقة الجوية المكهربة او المؤينة (ionized) في زاوية تعدل زاويتها عند اصطدامها بها ، ثم عند عودتها الى الارض ترتدّ ثانية الى الفضاء ، وكذلك تتقدم في سيرها بهذا التذبذب بين سطح الارض وطبقة الهواء المكهربة

هذه هي القاعدة التي بنيت عليها نظرية هيڤيسيد وكنلي وهما مهندسان كهربائيان اولهما انكليزي والثاني اميركي . على ان القول بوجود طبقة مكهربة في اعالي الجو لم يكن قولاً جديداً لان العالم الانكليزي بلفور ستيورت كان قد قال بها بناء على ادلة اخرى لا صلة لها بالمواصلات اللاسلكية . ولكن هيڤيسيد وكنلي كانا اول من فسر انتقال الامواج اللاسلكية بها . وقد ظلّ قولهما نظريًّا ، حتى سنة ١٩٢٥

اذ اثبت وجود طبقة الهواء المكهرب المعروفة بطبقة كنلي هيڤيسيد بتجارب جرّبت في اميركا وانكلترا . وكذلك اصبح الغلاف المؤيَّن (ionosphere) مكان في كل بحث جغرافي جيولوجي

وقد اثبت البحث الحديث في الطبقة المؤينة انها ليست طبقة واحدة وانها ليست طبقة مستوية بل فيها اودية وجبال ، تتغير امكنتها وفقاً لتقلب النور والحرارة وغيرهما من العوامل الآتية من رحاب الفضاء . واشهر هذه الطبقات ثلاث سميت بثلاثة حروف من الابجدية الانجمية هي D وE و F تردُّ الامواج من اعالي الجوّ الى سطح الارض فتجعل التخاطب اللاسلكي مستطاعاً . فطبقة D تعلو ٣٠ ميلا من سطح الارض وتردّ الامواج اللاسلكية الطويلة، وطبقة E (وهي المعروفة بطبقة كنلي هيڤيسيد) علوها من ٦٥ الى ٧٠ ميلاً وتردّ الامواج اللاسلكية الطويلة والمتوسطة وطبقة F (وهي المعروفة بطبقة ايلتن) علوها ١٥٠ ميلاً وتردُّ معظم الامواج القصيرة . وقد تنفصل طبقة F الى طبقتين او ثلاث طبقات وفقاً لفعل الحرارة والضوء والاشعة المختلفة ، وهذا يعلّل لنا تصرُّف الراديو في بعض الاحيان تصرفاً شاذّاً

***

وهنا يخطر بالبال السؤال التالي . ماذا يكهرب اعالي الجو ؟ والجواب عن هذا السؤال هو ان الشمس هي العامل الاقوى في كهربة اعالي الجو . فقد اثبتت التجارب ان قوة كهربة هذه الطبقات ، وانفصالها احياناً ، يتبع موقع الشمس في الفضاء واذاً من المعقول اسناد هذه الكهربة اليها . ثم انهُ عند ما تكون كلف الشمس على اشدها فعلاً تقع تقلبات عظيمة في الغلاف المؤيَّن

والمقام الاول بين اشعة الشمس المختلفة في تأيين طبقات الهواء العالية هو للاشعة التي فوق البنفسجي . بل ان بعض الباحثين امثال هلبرت ومارس يعتقدون ان الاشعة التي فوق البنفسجي في اشعة الشمس هي المصدر الوحيد لهذا التأيين . ويعتقد تشابمن احد علماء جامعة لندن ان دقائق من الكهربائية السالبة تنطلق من الشمس وتحدث بعض التأين في الهواء . ثم هناك ضروب اخرى من الاشعاع تصدم الهواء وتحدث فيه هذا الفعل بتزييق بعض دقائقه وذراته

وقد عمل المستر سكلت Skellett جدولاً بمصادر التأيين في طبقات الجو العليا فاذا هو كما يلي

الاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء الشمس	٢٨٫٣٦
الشهب	٣٫٤٠٠٣٦
الاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء النجوم	٠١٤ر
الاشعة الكونية	٠٠٠٣١ر
الاشعة التي فوق البنفسجي من ضوء البدر	٠٠٠٠٤٤ر

فالارقام في هذا الجدول تدل على وحدات الطاقة التي تقع على مساحة معينة من سطح الارض في الثانية . ويلاحظ فيها ان طاقة الاشعة التي فوق البنفسجي تفوق عشرة اضعاف طاقة المصادر

الاخرى مجتمعة . وليس ذلك لان الاشعة التي فوق البنفسجي اقوى فعلاً من الاشعة الكهربية ولكن لان ما تلتقطهُ الارض منه اكثر كثيراً مما تلتقطهُ من الاشعة الكونية

***

وفي ليلة من ليالي سنة ١٩٢٧ لاحظ المهندس اللاسلكي النروجي هالو Hals في اثناء اصغائهِ لاشارات وردية مذاعة من محطة ايندهافن الهولندية ، انهُ يسمع احياناً الاشارة الواحدة ثلاثة مرات . فبعد ما سمع الاشارة الاصلية لبث ستين ثانية فسمعها ثانية كأنها واردة من جهة مقابلة ثم بعد انقضاء ثلاث ثوانٍ سمعها ثالثة . اما الصدى الاول فيمكن تعليله بأنهُ تم بعد ما دارت الاشارة اللاسلكية دورة كاملة حول الارض وهذه الدورة تقتضي سبع ثانية من الوقت لان قطر الارض نحو ٢٥ الف ميل تقطعها الامواج اللاسلكية في نحو سبع ثانية . ولكن من اين جاء الصدى الثاني ؟ فان مجيئه بعد ثلاث ثوان يقتضي ان يكون قد قطع ٥٤٨٠٠٠ ميل قبل رجوعه الى الارض فاذا كانت الامواج اللاسلكية تسير جميعاً بسرعة واحدة في انطلاقها من سطح الارض وارتدادها اليها من احدى الطبقات المؤينة ، فالطبقة التي ردَّت هذا الصدى الاخير يجب ان تكون على ٢٧٩ الف ميل فوق سطح الارض . وهذا يعني ان هذه الطبقة أبعد من فلك القمر وهو مما يصعب تصديقه . فأحدث هذا النبأ هزة في الدوائر اللاسلكية العالمية وتنبه المشتغلون بالشؤون اللاسلكية للاصغاء الى هذه الاصداء فقيل بعد قليل ان بعضهم سمع صدى بعد خمس ثوانٍ وآخر سمع صدى بعد خمس عشرة ثانية (وهذا يقتضي ان تكون الطبقة العاكسة على ٢٫٣٢٥٠٠٠ ميل فوق سطح الارض) وفي سنة ١٩٢٩ ذكر فريق من علماء فرنسا كانوا قد ذهبوا لرصد الشمس في الهند الهولندية انهم سمعوا صدى لاسلكياً بعد انقضاء ثلاثين ثانية على سماع الاشارة الاصلية (وهذا يقتضي ان تكون الطبقة العاكسة على نحو خمسة ملايين ميل فوق سطح الارض)

ويرى العالمان فان درپول الهولندي وابلتن الانكليزي ان أفضل تعليل لهذه الاصداء ان بعض الامواج اللاسلكية يحصر بين طبقتين متغيرتين من الايونوسفير اي الغلاف المؤيَّن ، فتتذبذب بينهما مدة من الزمن ثم يطلق أمامها المجال بتحرك احدى الطبقتين او بحدوث فرجة فيها فتعود الى الارض . وهو تعليل لابأس بهِ ولكن العلماء يقولون انهُ لا يسلم من الاعتراض عليه . وقد نظم في السنة الماضية برنامج دولي لدراسة هذه الظاهرة . ومن غريب ما يروى في صددها ان هذه الاصداء سمعت في اوربا باستمرار منذ ما اشار اليها هالو سنة ١٩٢٧ ولكن المشتغلين باللاسلكي في اميركا لم يسمعوها مطلقاً

هذه هي بعض القوى التي تصدم الارض في خلال سيرها في الفضاء . فاذا كان في طاقة بعض هذه القوى ان يحوِّل النيازك الى ضوء ، وفي طاقة البعض الآخر ان يجعل من الغلاف الغازي غلافاً مكهرباً تُشَقُّ فيهِ الاودية وتُبسط السهول وتُرفع الجبال ، فاهو يا ترى تأثيرها في المادة الحية التي تتكون بين اجسام الاحياء ، او في دقائق الدم وخلايا الدماغ ؟

بحث نفرد في :—

مجلة المجمع الملكي

لمعرب انستاس الكرملي

[عضو مجمع اللغة العربية الملكي]

١ — توطئة

برز الجزء الاول من مجلة مجمع اللغة العربية الملكي مجلة تزري بحلل العرائس ، فتحفة الادباء ، والعطشى الى اصلاح ما افسد الزمان من لغتنا المبينة ، والراغبون في رقيها ومسايرتها لمقتضيات العصر ، واقبلوا على مطالعته بكل شوق ، للاستفادة منهُ ، وللتمسك بلغة عدنان النقيَّة الصيغة — على ان جمهوراً من هؤلاء الفضلاء اقتنوهُ لنقدهِ وتزييف ما ورد فيهِ ، فانقسموا ثلاث حزَق : حزّقة لم ترَ فيهِ حسنة بل كوماً من المساوىء ، وفرقة لم تجد فيهِ سوى المحاسن ، وجماعة كانت بينَ بين ، اي رأت فيهِ محاسن ومساوىء ، وليّنت عبارة النقد ، فكانت من المنصفين ، الرامين الى هدف الحقّ ، لا غير

اما المسوّئون ، فانهم لم ينطقوا إلاّ عن غرض او مرض في النفس ، او لا اقل من هوى في القلب . وكان المستحسن في أمرهم ان يكونوا اعضاء في المجمع دون غيرهم ، لإظهارهم اياهم مظهر اناس غير اكفاء لما انتدبوا اليهِ . والغاية اذا ما زجت قلب المرء ، أفرغتهُ من مكارم الاخلاق و« عورتهُ » فرأستهُ في « مملكة الصيان » ، اذ لم تجد سواه ملكاً لتلك الدولة المعيبة — واما المستصوبون لكل ما وقفوا عليهِ من المقالات ، فهم لم يفعلوا هذا الفعل ، إلاّ مدفوعين بدافع ايضاً ، وهذا الدافع هو المصانعة ، في امل انهم يستميلون الخواطر اليهم ، ليكونوا شيئاً او بعض شيء في المجمع من نأي او من كَشَبر . — اما الذين جمعوا بين النقد المنزّه من الغايات الدنيئة والاصلاح المرغوب فيهِ ، فقد احسنوا في المقال والمآل معاً

ونحن من هذا الفريق الاخير ، لوجودنا في المجلة محاسن لا تحصى ، إلاّ انها لا تخلو من بعض مغامز هي لا تكاد تكون شيئاً بالنسبة الى ما حوت من جلائل الاعمال والاوضاع والمصطلحات . وهذه المغامز هي ان بعض اللجان (لا المجمع كما توهم بعضهم) خالفت الاقدمين في بعض القواعد ونحن نعرض هنا على القراء وجهة نظرنا للتأمل والتدبّر ، لعلها تجد موافقة تبدو من تلك اللجان انفسها ، فتطمئن اليها النفوس وتنقاد الى ما فيهِ حسن السبك والصوغ والوضع

٢ النسبة الى فعيل او فعيلة لغير المعتل فَعَلِيّ

جاء في مجلة المجمع في (ص ٧٠) ما هذا نصهُ : « القيام بالعمل ، او النشاط العملي — تطلق هذه الكلمة على حالة العضو في اثناء تحقيق الوظيفة ، او على النشاط الوظيفي » . فنسبت اللجنة الى الوظيفة بقولها « الوَظَفِيّ » وفتحت الواو والظاء المثابة وهذا مخالف لما سُمع ونُقل — اما انهُ مخالف لما سمع ، فلاننا لم نجد من نسب الى فعيلة « النكرة » فقال فَعَلِيّ . فلوَظَفي منسوبة الى الوظيفة . والوظيفة نكرة من النكرات. ولم يسمع في فعيلة هذه فَعَلِيّ بالتحريك البتة. بل فَعِيلي بابقاء الياء على حالها . فقد قالوا مثلاً : الطبيعي ، والسليقي ، والبديهي ، والغريزي ، والبهيمي ، الى امثالها . ولم يقولوا ابداً : الطَبَعي ، والسَلَقي ، والبَدَهي ، والغَرَزي ، والبَهَمي ، بتحريك الاول والثاني واسقاط الياء

ثم عادت المجلة الى تكرار مثل هذا الاصطلاح المخطوء فيه (في ص ٩٨) اذ قالت : « وشَعِيّ الشكل » وضبطت الكلمة ضبط قلم ايضاً بفتح الواو والشين . ونحن لم نعثر على «كلمة واحدة نكرة» نسب اليها هذه النسبة التي نعدها وهماً فظيعاً يفسقاً في عيني المطالع حصرماً شديد الحُر — واما اذا انكرت علينا مجيء المنسوبات التي ذكرناها لك بهذه الصيغة في كتب القوم ، فنحن نسرد لك مواطن ورودها فنقول :

ا — اما (الطبيعي) ، فقد وردت في جميع المصنفات ، من قديمة ، وحديثة ، ومعاصرة لنا . اما الحديثة والمعاصرة لنا ، فهي اشهر من ان تذكر . والمحدثون والعصريون لا يكادون يعرفون سواها ، واما الاقدمون فقد ذكروها في دواوينهم ، منها كتاب العين . قال صاحبهُ في مادة (ج ب ل) : « جبلة كل مخلوق : تُوْمَتُهُ الذي طبع عليه . وشيء جبلي : منسوب الى الجبلة كما يقال طبيعي » اه. وكفى بالعين حجة . وقد ورد في المصباح ايضاً ما يقارب هذا التعبير في مادة جبل . فليراجع . وصاحبهُ من أهل المئة الثامنة للهجرة

ب — جئنا الى (السليقي) ، فقد جاء في لسان العرب ما هذا قوامه : « قال سيبويه : والنسب الى السليقة : سليقي ، نادر . وقد أبنت وجه شذوذه في عُشَيْرة كلب ... الليث : والسليقي من الكلام : ما لا يتعاهد اعرابه ، وهو فصيح بليغ في السمع ، عشورٌ في النحو . غيرهُ : السليقي من الكلام : ما تكلم بهِ البدوي بطبعه ولغته ، وان كان غيره من الكلام آثر واحسن . وفي حديث أبي الاسود : انهُ وضع النحو حين اضطراب كلام العرب وغلبت السليقية اي اللغة التي يسترسل عليها المتكلم على سليقته اي سجيته وطبيعته من غير تعمُّد اعراب ، ولا تجنب لحن . قال

ولست بنحوي يلوك لسانهُ ولكن سليقي اقول فاعربُ اه ما في اللسان

قلنا. قول سيبويه .« سليقي نادر »لا يوافق المنقول من كلام العرب ، كما لا يوافق ائمة النحاة كما سترى بُعيْد هذا

ج—(والبديهي) »على ما قاله السيد الجرجاني في تعريفاته(وكذلك في كليات البقاء في ص ١٧٩ من طبعة الاستانة) . « وهو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب سواء احتاج الى شيء آخر من حدس او تجربة او غير ذلك ،او لم يحتج .فيرادف الضروري ،كتعوّ والحرارة والبرودة، وكالتصديق بان النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان » اه — ولم نجد مؤلفاً قديماً او مولداً او حديثاً فصيحاً نسب الى البديهة فقال « بَدَهيّ » (او بدَهيًّا ، ان شئت اعراب الكلمة)

د—وورد(الغريزي) في مدّ القاموس ، لكنهُ لم يعزُهُ .وهو كثير المجيء في كتب الطب والحكمة والفلسفة. قال ابن سينا في قانونهِ في كلامه على امزجة الاعضاء (ص ٤ من طبعة رومة) : « ان الرئة في جوهرها وغريزتها ليست برطبة شديدة الرطوبة ، لان كل عضو شبيه في مزاجه للغريزي بما يتغذى به . . . فالكبد ارطب من الرئة كثيراً في الرطوبة الغريزية...»وجاء في تلك الصفحة في كلامه على امزجة الاسنان . « ولأن الحرارة الغريزية المستفادة فيهم من المنيّ اجمع واحدث وبعضهم يرى ان الحرارة الغريزية في الشبان اقوى بكثير » اه

وقد تكررت « الحرارة الغريزية والرطوبة الغريزية » مراراً لا تحصى في قانون ابن سينا وفي جميع مصنفات الاطباء ، من قديمة وحديثة . ولم اجد كاتباً واحداً قال : غرزي وغرزية — وقال ابن القف المسيحي عند كلامه على خواص العدس « وأما من حرارته الغريزية قوية . وطبيعته فائقة جيدة لا يغلبها سبب ممرض» اه — وفي مقدمة ابن خلدون في الفصل ٣٦: «وكذا الحرارة الغريزية في كل طور » وقد اعاد هذه اللفظة مراراً لا تقدر في سفره الجليل . ولو اردنا ان نسرد النصوص التي جاء فيها الغريزي والغريزية لملأنا كتاباً قائماً برأسه . فتدبر

ه — اما (البهيمي) فقد ذكرها صاحب مد القاموس ايضاً ولم يعزُها ، مع انها وردت في جميع دواوين الطب عند كلام اصحابها على العشق . قال صاحب الروضة الطبية (في ص ٣٥ من النسخة المطبوعة في القاهرة »:« وبعضهم قالوا انهُ «اي العشق » يختص بالنفس البهيمية ، وهو مرض يعرض لها من قبل افراط الشهوة » — ولصاحبها ايضاً في الصفحة ٣٦ : « ونرى العشق يختص بالنفس البهيمية اكثر» اه—ووردت الكلمة مرتين اخريين في تلك الصفحة نفسها .وجاءت مراراً لا تحصى في اسفار الاطباء البلغاء عند الكلام على العشق وأنواعه . وكذلك في كتب الادب الباحثة في هذا الموضوع الاخلاقي

٣ — لماذا لا يقال فَعَلي (بالتحريك) في النكرات والاعلام غير المشهورة

اما انه لا يجوز ان يقال : (الطَبعي) و (الصَلقي) و (البَدَهي) و (الغَرَزي) و (والبَهَمي)

بالتحريك ، فلأنها ليست بأعلام مشهورة ، ولأن (الطَّبَسي) نسبة الى الطبَس بالتحريك وهو الدنس والوسخ الشديد من الصدإ — ولأن (السَّلَقي) نسبة الى السَّلَق بالتحريك وهو أن دبرة البعير اذا برئت وابيضَّ موضعها ، والقاع المنصف الاملس ، الطيب الطين — ولأن (البَدَهي) لم يسمع من احد ولم يَرد في كلامهم ولا وجود لها في لغتنا — ولأن (الغرزي) بالتحريك نسبة الى الغَرَز بالتحريك وهو ضرب من الثمام ونبات كنبات الاذخر من شرّ المرعى — ولأن (البَهَمي) بالتحريك نسبة الى البَهَم بالتحريك ، وهو جمع بهمة بالفتح وهي اولاد الضأن والمعز والبقر . فما معناه ذكرناه قبل هذا ، وما لم نسمعه ، صرحنا به هنا وبأنهُ لم ينقل عن فصحائهم ولا عن مولديهم ولا عن محدثيهم . فكيف يجوز لاعضاء لجنة من لجان المجمع ان تجري على هواها ولا تعمل بما وصل الينا من كلام البلغاء ؟

٤ — المنقول عن النحاة الراسخين القدم في كلامهم على فَعيلي وفَعَلي

كل ما اوردناه الى هنا كان من قبيل المسموع او المنقول عن فصحاء الكتاب من اقدمين ومولدين . اما ان النحاة قالوا لا ينسب الى فعيل او فعيلة النكرة او العلم غير المشهور بحذف الياء بل بابقائها على حالتها فواضح مما نص عليه ابن قتيبة [1] في (ادب الكاتب) ص ٣٠٧ من طبعة الافرنج : « اذا نسبت الى فعيل او فعيلة من اسماء القبائل والبلدان وكان (مشهوراً) اثبت منه الياء ، مثل ربيعة وبجيلة : رَبَعي وبَجَلي ، وحنيفة : حنفي . وثقيف : ثقفي ، وعتيك : عتكي . وان لم يكن الاسم (مشهوراً) « علماً كان ام نكرة » لم تحذف الياء في الاول « اي في فعيل » ولا الثاني « اي في فعيلة »

فأنت ترى من هذا انه لم يذهب الى حذف الياء في ما ليس بمشهور ، لئلا يضلّ الانسان في معرفة الاسم الذي ينسب او نسب اليه . ومما يؤيد قول ابن قتيبة الدينوري انك اذا نسبت الى مدينة الرسول — وهي من اشهر الاعلام وأعرفها بين الناس — قلت : مَدَني ، بالتحريك وبحذف الياء ، لانك ان نطقت بهذا الحذف لم تضل الطريق في معرفتها بل اهتديت حالاً اليها

---

(١) كان ابن قتيبة من علماء النحاة الذين عاشوا بعد سيبويه . وكان قد اطلع على كل ما كتب صاحب «الكتاب» لكنه خالفه في امور كثيرة تكون نظراته ابعد مدى من نظرات سيبويه حتى ان ابن الخطيب قال فيه « كان رأساً في العربية واللغة والاخبار وأيام الناس ، ثقة ، ديناً ، فضلاً » وهذا اعظم مديح قيل في رجل . فاذا كان ابن قتيبة الدينوري « رأساً » كان سائر العلماء بالنسبة اليه ، اعضاء لتلك الهامة . وليست الاعضاء كلها كالرأس

وفي الفهرست لابن النديم ان ابن قتيبة كان صادقاً في ما يرويه ، عالماً باللغة ، والنحو ، وغريب القرآن ، وما فيه والشعر والفقه » آه . وراجع ما قاله ابن الانباري وابن خلكان في الوفيات ، وبغية الوعاة للسيوطي وروضات الجنان ومعجم الادباء وابن النديم الى غيرهم تراهم جميعاً يثنون عليه اطيب الثناء

لشهرتها بين جميع الناس قاطبةً . واما اذا نسبت الى المَدِينة بمعنى البلدة ، فانك تقول «مديني» باثبات الياء في موطنها . وكذلك تفعل اذا اردت ان تنسب الانسان او الثوب الى المدينة تقول «مَدَنِي» والطائر ونحوهُ تقول «مديني» — اما اذا اردت ان تنسبهُ الى «المدائن» ، علَمِ لمدينة كسرى ، فتقول «مدائني» . قال سيبويه : «واما قولهم «مدائني» فانهم جعلوا هذا البناء اسماً للبلد» اه —

قلت : ومن هذا القبيل قولهم «الفرائضي» للعارف بعلم قسمة التركات على مستحقيها ، فانهم اعتبروا اللفظة (اي علم الفرائض) علَماً للعلم المذكور. وسموا الفرائضي ايضاً : الفارض والفراض والفريض والفرضي وكلها من قبيل النسب اما للكثرة واما لغيرها . وقالوا «الفرضي» ولم يقولوا «الفريضي» لانعدام «علم الفريضة» لهذا العلم ، ولان الفريضيّ نسبة الى «الفريض» للعارف بعلم الفرائض . وانت بصير ان اغلب المنسوبات تكون لاعلام المواطن والرجال. وقد جروا في اعلام العلوم كما جروا في اسماء المدن ، التي هي الاصل في النسب . ثم انتقلوا منها الى اسماء الرجال ، وفي الآخر الى النكرات من باب التوسع والتجوز . ولهذا كانت النسبة الى النكرات قليلة جداً ، اللهم الاّ ان تكون نكرات تقع على الجنس ، فتكون من قبيل اعلام جنس لا اعلام نكرات منفردات بنفسها. ولهذا قالوا «فرضي» بالتحريك والنسبة منعاً للبس (اي منعاً لها من الاختلاط «بالفريضي» الذي هو العالم بالفرائض مع ياء النسب ، واحتفاظاً بقاعدة اصل الوضع للنسبة التي اوضحناها لك)

فانت ترى من هذا التتبع ان العرب لم ينسبوا مطلقاً الى فعيل او فعيلة بقولهم «فعَلي» بالتحريك اذا كان غير مشهور ، علماً كان ام نكرة ، بل «فعيلي» باثبات الياء على اصلها . والآن تثبت لك هذه الحقيقة بكثرة ما صح منهم منذ عهد الجاهلية الى صدر الاسلام الى عهد المولدين الى عصرنا هذا

٤ — شواهد على ورود فَعَلي في الاعلام المنسوبة الى فعيل او فعيلة

قلنا : لا يقال «فَعَلي» الاّ في النسبة الى ما «اشتهر» من الاعلام واجناس النكرات . والا فيقال «فعيلي» في العَلَم نفسه وفي النكرات ايضاً . ونحن نسرد لك هنا ، ما عثرنا عليه من هذا القبيل ، مرتباً على حروف الهجاء وهو اكثر من مئة لفظة . ودونكها ، منقولة عن كتاب الانساب للسمعاني ، واللباب لابن الاثير ، ومعجم البلدان ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي ، ولب اللباب للسيوطي : —

١ الاديمي كالكريمي نسبة الى الاديم ، بطن من خولان — ٢ الاشيري نسبة الى أشير حصن بالمغرب — ٣ البحيري نسبة الى بحير ، جدّ — ٤ البديهي نسبة الى البديهة وهي النظم بسرعة — ٥ البذيسي نسبة الى بذيس ، من قرى مَرْو — ٦ البريدي نسبة الى البريد وهو الساعي — ٧ البسيني نسبة الى بسينة قرية بمرو — ٨ البشيتي نسبة الى بشيت قرية بفلسطين — ٩ البشيري نسبة

الى قلعة بشير بنواحي الرّوْزان من بلاد الاكراد ، والى جد ايضاً — ١٠ البشيلي نسبة الى بشيلة قرية قرب بغداد — ١١ البصيري نسبة الى بصير ، جد . وهي ايضاً نسبة الى بصير الجيّدور ، بالجيم والتحتية والمهملة والراء ، من نواحي دمشق — ١٢ البكيلي نسبة الى بكيل ، بطن من همدان — ١٣ التزيدي نسبة الى تزيد من بلاد اليمن ، وبطن من الانصار — ١٤ التيدي نسبة الى تليد ، بطن الازد — ١٥ الثبيري نسبة الى ثبير ، جبل بمكة — ١٦ الجديلي نسبة الى جديلة ، وهو موضع في طريق مكة على طريق البصرة — ١٧ الجليقي نسبة الى جليقة ، بلد بالروم — ١٨ الجيلي نسبة الى جيل ، جد ، والى درب جيل ببغداد حاضرة العراق — ١٩ الجليلي نسبة الى الجليل من عمل سميداء — ٢٠ الجهيري نسبة الى جهير ، جدّ — ٢١ الحديثي نسبة الى الحديثة والحديث من مدن العراق — ٢٢ الحريمي نسبة الى حريم قبيلة ، والى الحريم الطاهري من محلات بغداد — ٢٣ الحزيمي (بالذاي) نسبة الى حزيمة ، بطن من تهد — ٢٤ الحسيني ككريمي نسبة الى حسين ككريم ، وهو بطن من طيّىء — ٢٥ الحظيري نسبة الى الحظيرة ، موضع فوق بغداد — ٢٦ الحكيمي نسبة الى حكيم ، جد — ٢٧ الحليمي نسبة الى حليمة السعدية ، وجدة ، والى حليم جد الفقيه الشافعي — ٢٨ الحميدي نسبة الى الحميد ، الامير السامانى — ٢٩ الخبيصي نسبة الى خبيص ، وهي مدينة بكرمان — ٣٠ الخصيبي نسبة الى خصيب (بالصاد المهملة) رجل — ٣١ الخطيبي نسبة الى خطيب جد ، كان خطيباً — ٣٢ الخطيمي نسبة الى خطيم ، جد — ٣٣ الديري نسبة الى دير ، قرية بنيسابور — ٣٤ الدبيقي نسبة الى الدبيقية ، قرية ببغداد — ٣٥ الدثيني نسبة الى الدثينة ، قرية باليمن — ٣٦ الدميري نسبة الى دميرة من قرى مصر — ٣٧ الربيعي نسبة الى الربيع ، جد — ٣٨ الزريقي نسبة الى زريق ، محلة بمرو — ٣٩ الرشيدي نسبة الى الرشيد الخليفة العباسي الشهير ، والى رشيد بلدة بمصر — ٤٠ الرهيني نسبة الى رهين ، جد — ٤١ الربيعي نسبة الى زبيع ، جد — ٤٢ الزبيني نسبة الى زبينة ، جد — ٤٣ الزبيدي نسبة الى زبيد ، مدينة باليمن — ٤٤ الزعيمي نسبة الى زعيم الدولة — ٤٥ السبيري نسبة الى سبيرة ، قرية ببخارى — ٤٦ السبيعي نسبة الى سبيع ، بطن من همدان ، والى محلة السبيع وهي بالكوفة — ٤٧ السعيدي نسبة الى سعيد ، جد ٤٨ السيحي نسبة الى سليح ، بطن من قضاعة — ٤٩ السليطي نسبة الى سليط ، جد — ٥٠ السليمي نسبة الى سليم ، درب ببغداد والى سليمة بطن من الازد — ٥١ السنيجي نسبة الى سنيج ، مدينة من عمل كرمان — ٥٢ السنيكي نسبة الى سنيكة ، قرية بمصر — ٥٣ الشبيني نسبة الى الشبين وهو الصنوبر او نوع منهُ وهو المسمّى في عهدنا هذا بالشربين في سورية ولبنان — ٥٤ الشريجي نسبة الى شريج ، جد — ٥٥ الشريشي نسبة الى شريش مدينة بشذونة — ٥٦ الشريفي نسبة الى شريف بطن من تميم — ٥٧ الشريكي نسبة الى شريك ، بطن من دوس — ٥٨ الشعيري نسبة الى الشعير لبائعه — ٥٩ الشفيقي نسبة الى الشفيق — ٦٠ الصديقي نسبة الى صديق ، جد — ٦١ الصريمي

نسبة الى صريم ، جد — ٦٢ الصغيري نسبة الى صغير . جد — ٦٣ الصبيصي نسبة الى صبيص ، بطن من عذرة — ٦٤ الطريفي نسبة الى طريف ، بطن من طيء — ٦٥ الطريقي نسبة الى الطريق وهو علي بن المنذر ، لانهُ ولد في الطريق — ٦٦ الطميمي نسبة الى طميس ، قرية بماوراءالنهر — ٦٧ العتيقي نسبة الى عتيق ، جد — ٦٨ العريشي نسبة الى العريش ، موضع بناحية الشام وهي اليوم من ديار مصر — ٦٩ العريفي نسبة الى عريف بن جُشم — ٧٠ العقيلي نسبة الى عقيل بن ابي طالب ٧١ العليجي نسبة الى عليجة (بفتح العين وكسر اللام) تصغير علي على الطريقة الفارسية — ٧٢ العميري نسبة الى عميرة ، بطن من ربيعة — ٧٣ الغسيلي نسبة الى غسيل الملائكة ، حنظلة بن ابي عامر — ٧٤ الغشيدي نسبة الى غشيدة من قرى بخارى — ٧٥ الفقيري نسبة الى الفقير ، جد — ٧٦ الفليشي ، نسبة الى فليش ، قرية بالاندلس — ٧٧ القتيري الى قتيرة ، بطن من تجيب — ٧٨ القريبي نسبة الى ابي قريبة ، جد — ٧٩ القريحي نسبة الى قريح ، بطن من سامة بن لؤي — القشيبي نسبة الى بني القشيب ، بطن من كلم — القطيعي نسبة الى قطيعة الربيع والى قطيعة الفقهاء والى قطيعة ام جعفر والى قطيعة الدقيق . وكلها محلات كانت في بغداد — ٨٢ القطيفي نسبة الى القطيف ، بلد بناحية الاحساء — ٨٣ القميري نسبة الى قمير بن حبشة بن سلوك بن كعب بن عمرو ابن ربيعة — ٨٤ الكبيري نسبة الى كبير ، بطن من اسد وغيره وقرية قرب بخارى — ٨٥ الكثيري نسبة الى كثير ، جد — ٨٦ الكفيفي نسبة الى كفين قرية ببخارى ٨٧ اللقيطي نسبة الى لقيط ، جد ٨٨ المريسي نسبة الى مريس ، قرية بمصر . — ٨٩ المريضي نسبة الى المريض ، جد — ٩٠ المطيري نسبة الى المطيرة ، قرية بنواحي سر من رأى — ٩١ المغيلي نسبة الى المغيلة ، قبيلة من البربر — ٩٢ المنيحي نسبة الى المنيحة . قرية بدمشق — ٩٣ المنيعي نسبة الى منيع جد — ٩٤ النجيحي نسبة الى نجيح جد — ٩٥ النذيري نسبة الى نذير ، بطن من بجيلة — ٩٦ النريزي نسبة الى نريز قرية باذربيجان — ٩٧ النضيري نسبة الى بني النضير ، قبيلة من اليهود — ٩٨ النعيتي نسبة الى النعيت ، بطن من سامة بن لؤي — ٩٩ النعيمي نسبة الى نعيمة ، بطن من الكلاع — ١٠٠ الوجيزي نسبة الى حفظ الوجيز — ١٠١ الوجيهي نسبة الى وجيه ، جد — ١٠٢ الوزيري نسبة الى الوزير ، جد ، وغيره — ١٠٣ الوكيعي نسبة الى وكيع ، جد . ورجل . وهناك غير هذه المنسوبات وعلى هذا الوجه مما لا يقع تحت حصر . ولا يزيدنا قائمة لعلمنا أن هذه المنسوبات اكثر مما ذكرناه بكثير

***

اذن هذه مائة وثلاث كلمات ، جاءت فيها فعلي منسوب الى فعيل أو فعيلة وكلها أعلام . رد على ما تقدم انا لم نذكر ما جاء منها اجوف او مضاعفاً لشهرة قاعدتها ان الياء لا تحذف منها في النسبة اليها ، ولو جمعناها لازداد العدد المذكور ضعفين أو ثلاثة اضعاف واكثر هذه الكلم من الالفاظ المعروفة منذ عهد الجاهلية كأسماء بطون من العرب أو اسماء ، مدن في ديار الجزيرة العربية — فأنت

ترى من هذا التعداد الطويل للعمل — واني اجتزأنا بالوشل منهُ — ان الاولين ، او قل بالاحرى : ان الاول الذي وضع قاعدة النسبة الى فعيل او فعيلة بحذف الياء لم يستقر جميع ما جاء من هذا القبيل ولو تتبعوها كما تتبعناها لعدل عن قاعدته ووضع ضابطاً مخالفاً لما قرره ، وجعل ما خالف هذا الضابط شاذاً لا غير . لكن الذين جاؤوا بعد الواضع الاول تأثروه في قاعدته من غير أن ينعموا النظر في صحة ما قال او علته . فقرارة تسفّهت قراراً

ونزيد على ما تقدم ان النسبة الى فعيل وفعيلة بابقاء الياء في قلب الكلمة وكسْر الآخر بياء النسبة كثير الورود في ما ذكره القلقشندي في صبح الاعشى ونحن لم نذكر تلك الشواهد ، لانها وضعت بعد العهد العباسي الزاهر . اما ما نقلناهُ عن السمعاني وابن الاثير وياقوت الحموي والسيوطي فهو مما عرف في الجاهلية او صدر الاسلام او في العصر العباسي . — فأين بقي كلام من يقول خلاف ما ذهبنا اليهِ — وتلك الالفاظ الشاذة لو جمعت لحذافيرها لما ارْبتْ على العشرين ، على اعظم تقدير ، دع عنك اننا لم نذكر من الكلم الاّ ما عثرنا عليهِ في الدواوين المذكورة بسرعة البرق الخاطف لقلة ما بيدنا من الوقت ، ولهذا نظن ان هناك الفاظاً كثيرة فاتتنا في تلك الاسفار نفسها

وسوف نذكر بقية ما جاء من الاوهام في عجلة المجمع والتوفيق منهُ تعالى

مقالات لقريب اخرى في قرّاء الضاد من المقتطف

١ — ايقال كريات بيضاء (صفحة ٢٠٩)

لامين ظاهر خير الله

٢ — اسماء النبات (صفحة ١٦٥)

لمحمود مصطفى الدمياطي

٣ — اللغة وأسماء الامراض (في باب المراسلة والمناظرة)

لعبد الرحيم بن محمود

٤ — تعليق على اسماء النبات (في باب المراسلة والمناظرة)

للفريق امين باشا المعلوف

اشكال السيارات والسفن

والقطارات والطائرات

رغبة في السرعة مع توفير الوقود

من عجائب الطبيعة انها تتوخى الاقتصاد كلّ الاقتصاد في خلقها ، فقطرة المطر الساقطة من الغمام الطامي ، تتخذ الشكل الذي يجعلها اقلّ ما تكون تعرّضاً لمقاومة الهواء لها وهو شكل كمّريّ . والعضو المنبعث من بعض الحيوانات البحرية والبرية لا يضيّع معظم الطاقة التي تولّدهُ في التغلّب على مقاومة السلك كما يحدث في مرئنا الكهربائي . ومنقار الطير تجعله بحيث يكون افعل ما يكون في نقر الثمار او نقد الحبوب . والعقاب تهيء لها طريقة لكنع جناحيها وهي منقضة لكي لا يزيد الجناحان المنشوران مقاومة الهواء لها . والسمك على اختلاف اشكاله تراعي فيهِ ان الرزق عسير في البحر الخضمّ ، وان الاسماك لا طاقة فائضة عندها تنفقها في طلب القوت ، فتخلقها بحيث تقتصد في هذه الطاقة جهدها ولذلك تجعل شكلها اقلّ ما يكون مقاومة للسير في الماء

تفعل الطبيعة ذلك لا عن وعي ، ولكن مجاراة لنواميس عامة ، بدأ الانسان يميط عنها اللثام في العصور الاخيرة . ولو هو راعى بعضها لوفّر على نفسهِ جهداً كبيراً بذل في غير وجهٍ ، وطاقة عظيمة بذّرت على غير سبيل ، ولكفّ عن التبجّح بانهُ غزا الطبيعة ولقال في دعة انهُ تعلّم منها

خذ سيارة اليوم ، فانت حين تسير بها بسرعة ثلاثين ميلاً في الساعة تنفق نحو نصف قوتها الاندفاعية المستمدة من محركها في مقاومة الهواء ، لان شكل السيارة حين سيرها بهذه السرعة يخلق دوامات من الهواء فوق السيارة وحولها وخلفها تميقها عن المضيّ . فاذا ارتفعت سرعة سيارتك الى ٧٠ ميلاً في الساعة اصبح ما تنفقهُ من الطاقة في مقاومة الهواء خمسة امداس الطاقة التي يولّدها المحرّك

او خذ السفينة الايطالية العظيمة « ركس » . فرغبة اصحابها في زيادة سرعتها عقدتين في الساعة اقتضت منهم زيادة ما تحرقهُ محركاتها من البترول من ٧٠٠ طن في اليوم الى ١١٠٠ طن اي ان زيادة عقدتين في الساعة في سرعة السفينة اقتضى زيادة النفقة على الوقود نحو الف جنيه في اليوم ، لان زيادة السرعة تقتضي زيادة مقاومة الماء للسفينة زيادة كبيرة ، ومن هنا زيادة ما ينفق من الوقود للتغلّب على هذه المقاومة

ولو ان الطبيعة تجسمت مهندساً يصنع سيارة او يبني سفينة ، لما عمدت الى زيادة القوة فقط في التغلّب على مقاومة الهواء والماء . بل لحاولت ان تجعل شكل السيارة ، او شكل السفينة ، بحيث

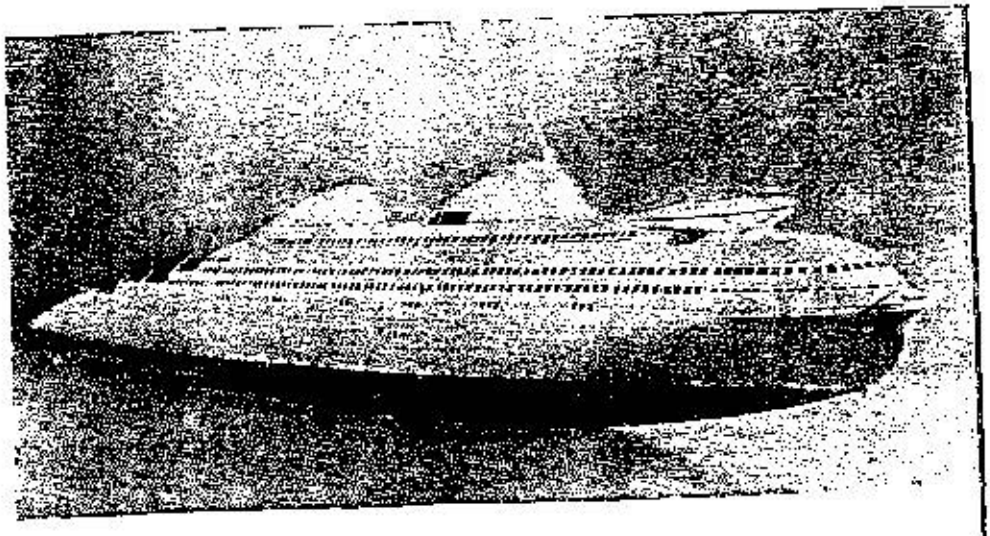

التصميم الذي وضعه المهندس مورس ال عدس لسفينه كبيرة وفقاً للقواعد العلمية وهي تشبه دافعياً او الحيوان المائي الذي يحمل وهو ضرب من القشم

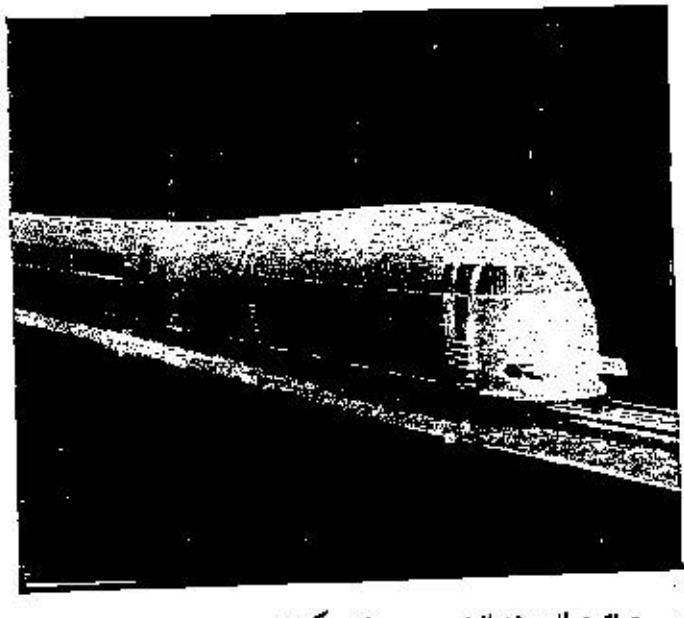

تصميم قطار وضعه المهندس عدس وقد صنع غير قطار في اميركا من هذا القبيل فتحققت فيه السرعة مع توفير الوقود

نقلاً عن مجلة « التاريخ الطبيعي » الاميركية

يكون اقل ما يمكن مقاومة للهواء او للماء ، حتى ينفق اعظم جانب من الطاقة في احراز السرعة ، وهو ما فعلتهُ في اسماك البحر وبعض حيوانات اليابسة والطيور ، على تفاوت بينها

***

يقول علماء الحركة ان المقاومة التي يلقاها جسم متحرك في الماء او في الهواء تزداد كمربع تسارعه اذا كان هذا التسارع من مرتبة عادية كتسارع سيارة أو طيارة . ثم ان هذه المقاومة تتوقف على حجم الجسم وشكلهِ . والشكل لا يعني شكل مقدم الجسم فقط بل شكل مؤخرتهِ وما بينهما . فاذا ضوعف التسارع صارت المقاومة اربعة اضعاف . أما الشكل فيجب أن يكون بحيث يدرك أقصى سرعةٍ للجسم مع أقل نفقةٍ في الطاقة التي تحركهُ

هذه قواعد علمية قد يتعذر ادراك مغزاها على بعض القراء الاَّ اذا ضربنا مثلاً عليها . خذ لوحاً بيضيًّا من الخشب أو المعدن وغطسهُ في حوض من الماء جاعلاً وجه اللوح الامامي عمودياً على اتجاه الحركة . ثم حرك اللوح بسرعة معينة فتجد وانت تحركه ان الماء يقاوم هذه الحركة وهذا طبيعي . ولنقل ان مقاومة الماء لحركة اللوح بهذه السرعة تعدل واحداً صحيحاً . ثم خذ قطعة مكعبة من الخشب نفسهِ طولها طول اللوح ، وعرض كل سطح من سطوحها عرض اللوح ، وغطسها في الماء نفسهِ وادفعها بحيث يكون احد سطوحها في خط المقاومة ، وبنفس السرعة التي دفعت بها اللوح ، تجد ان مقاومة الماء لها اقل بل هي عند التحقيق تبلغ ٨٢ في المائة من مقاومة الماء للوح . ثم خذ اسطوانة من الخشب نفسهِ طولها طول اللوح وقطر مقطوعها كعرض اللوح ثم حركها في الماء بسرعة حركة اللوح ، جاعلاً مقطوعها في خط مقاومة الماء ، فترى ان مقاومة الماء لها تبلغ ٠٫١٨٥ من واحد صحيح وهو مقاومة الماء لحركة اللوح

فاذا قمت بهذه التجارب قرب سطح الماء ، وجدت ان حركة كل جسم من هذه الاجسام في الماء ، تحدث تيارات حولهُ ووراءهُ تختلف عن التيارات التي تحدثها حركة الآخر ، وان الاختلاف في هذه التيارات يصحبهُ نقص في مقاومة الماء لسير الجسم المتحرك ، اي نقص في مقدار الطاقة التي انفقت في احداث قدر واحد من العمل في الاحوال الثلاث

فهذا الاقتصاد في الطاقة نتيجة لما أحدثناهُ في الجسم المتحرك من تغيير في شكلهِ

وقد عمدت الطبيعة الى هذه القاعدة في خلق الحيوانات المختلفة رغبة في الاقتصاد كذلك . ولكن الانسان لم يعن بها ، الاَّ لما اصبح الخلق الانساني يأبى البطء في الانتقال ، فصار ادراك السرعة العظيمة في السيارة والطيارة ، في السفينة والقطار هدفاً تتقطع دونهُ الاعناق وتزهق الارواح . عندئذ ادرك الانسان ان زيادة السرعة يقتضي زيادة عظيمة في النفقة لا يوفيها من الناحية الاقتصادية ما توفره السرعة الجديدة من الوقت على المسافر

ويقول دانيال سايبر Sayre وهو من ابرع مهندسي الطيران في اميركا ، انه لو امكن صنع سيارة

بحجم سيارة متوسطة مألوفة ، على ان يفرغ شكلها في القالب الامثل الذي تقتضيه قواعد الحركة والمقاومة ، لنتعمت المقاومة التي تلقاها السيارة من الهواء تسعة اعشار اي ان هذه المقاومة تصبح عُشر ما هي الآن . ولكن بلوغ الكمال في هذه الناحية من الحياة متعذر تعذره في سائر نواحيها . الا ان هذا الخفض العظيم في مقاومة الهواء للسيارة لا يبدو لصاحبها وهو يسير بسرعة ثلاثين ميلاً او اربعين ميلاً في الساعة ، بل يبدو عند ما ترتقي السرعة الى نحو مائة ميل في الساعة

ولعلَّ السؤال الاول الذي يخطر بالبال بعد بسط القواعد المتقدمة هو لماذا لا يعمد المهندسون وصانعو السيارات الى صنع سيارات من هذا القبيل لا يقاومها الهواء مقاومة شديدة فيوفرون على مستعمليها جانباً من نفقة الوقود ان لم يرغبوا في زيادة السرعة او حالت القوانين والطرق دونها

والواقع ان الحائل دون ذلك نفسيٌّ في المقام الاول لان الناس وقد أَلِفوا اشكال السيارات كما هي ، يأنفون من اشكال جديدة تختلف عنها كل الاختلاف . فالسيارة المصنوعة على هذه القواعد يجب ان تكون كمثرية الشكل ، وهو قالب تستهجنهُ العين لانها لم تألفه . ثم هناك حائل اقتصادي يقتضي من اصحاب المصانع احداث تغيير كبير في التصميمات التي يجرون عليها والآلات التي تخرج هذه التصميمات من حيز الرسم الى حيز الفعل . وقد كان غوستاف ايفل ، صاحب برج ايفل المشهور اول من عُني من نحو عشرين سنة ، بدراسة تأثير الهواء وتياراته في سير السيارات والقاطرات ومركبات القطارات والطائرات . ثم شرع العلماء والمهندسون يبنون أنفاقاً خاصة لتجربة التجارب فيها بنماذج من الطائرات والسيارات والقطارات . وقد عيَّنت الاميرالية البريطانية لجنة من العلماء لدراسة الاحياء البحرية مثل سمك التنّ والسلمون والحوت الازرق والقرش رغبة منها في التوسُّل الى اصلح الاشكال لسفن الهواء والغوّاصات . وقد اسفرت هذه الدراسة عن ان افضل الاشكال الطبيعية الجامعة لهذه المزايا ، انما هو شكل القرش Shark

وعُني المستر هيلد Heald احد علماء مجلس المقاييس والموازين في الحكومة الاميركية بتجربة تجارب في انفاق من هذا القبيل فاخذ اربعة نماذج قياسية لسيارة مقفلة (سيدان) صنعت سنة ١٩٢٢ ولسيارة مفتوحة صنعت سنة ١٩٢٢ ولسيارة (سيدان) خفيفة صنعت سنة ١٩٢٨ ولسيارة (سيدان) خفيفة صنعت سنة ١٩٣٣ ونموذجين لسيارتين مصنوعتين على اساس القواعد التي يجب ان تتوافر في السيارة لتكون اقل ما تكون مقاومة للهواء . ثم قاس مقاومة الهواء لكلٍّ من هذه النماذج فوجد ان مقاومة الهواء لنموذج سيدان ١٩٢٢ يدلُّ عليها الرقم ٠٫٠٠١٧ وان مقاومته لنموذج سيدان ١٩٢٨ يدلُّ عليها الرقم ٠٫٠٠١٨ وان مقاومتهُ لنموذج سيدان سنة ١٩٣٣ يدلُّ عليها الرقم ٠٫٠٠١٥ اما المقاومة للنموذجين الاخيرين فيدل عليها الرقم ٠٫٠٠٠٥ اي ان السيارة التي تصنع وفقاً للقواعد العلمية الصناعية تفوق في كفاءتها ٣٥٠ ضعفاً كفاءة سيارة كانت مستعملة من ثماني سنوات . وهذا يعني ان سيدان سنة ١٩٢٢ تحتاج الى قوة ٢٧ حصاناً لتسير بسرعة ٣٠

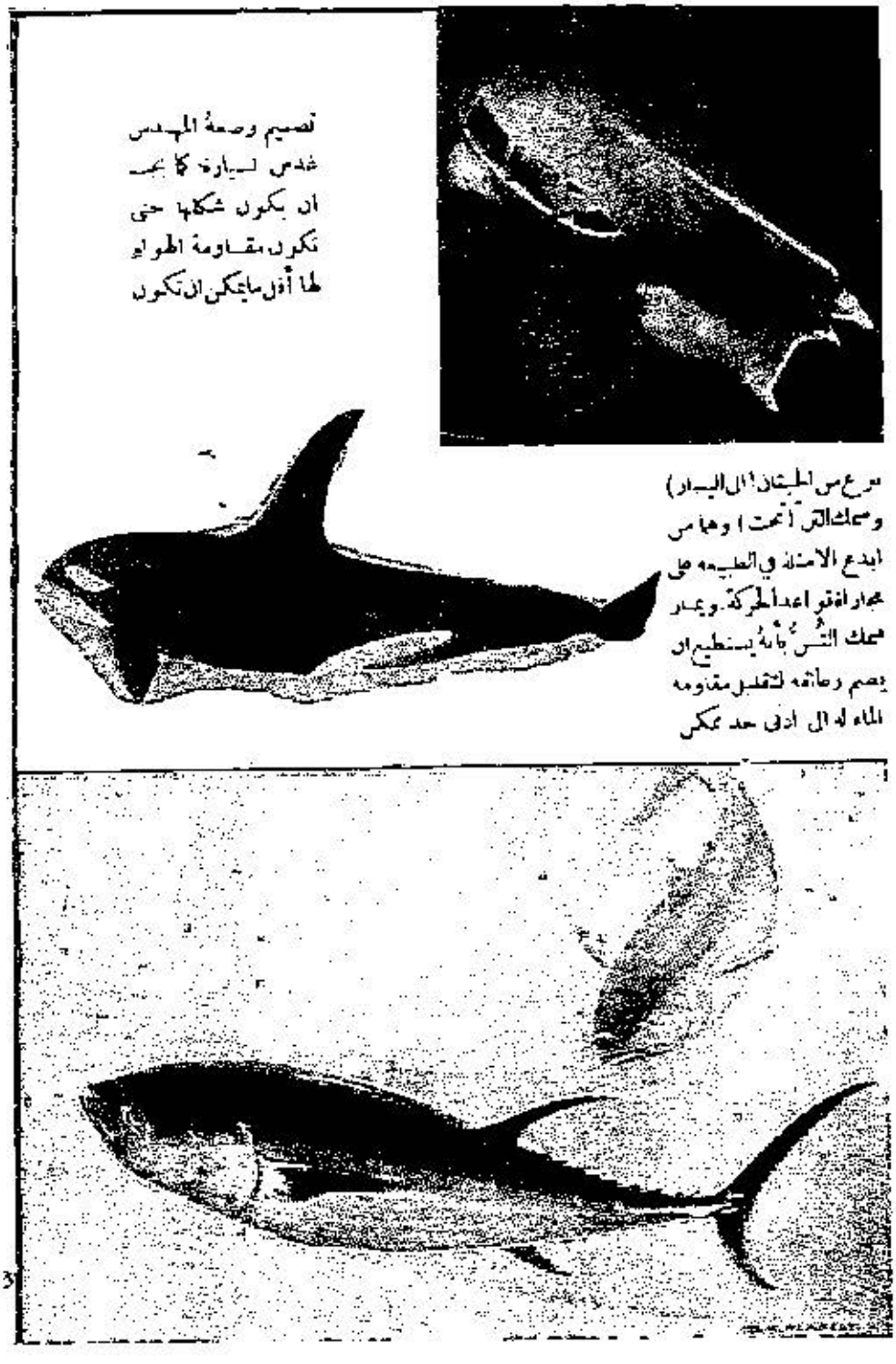

نقلاً عن مجلة « التاريخ الطبيعي » الاميركية

ميلاً في الساعة واما سيدان سنة ١٩٢٨ فيحتاج الى قوة ٢٦ حصاناً ليسير بالسرعة نفسها وسيدان سنة ١٩٣٣ الى قوة ١٨ حصاناً وان كلاً من السيارتين المصنوعتين وفقاً للقواعد العلمية تحتاج الى قوة ٨ احصنة فقط . فكفاءة هاتين السيارتين الميكانيكية تزيد ٣٠٠ ضعف على كفاءة سيارة ١٩٢٣ و ٦٠٠ ضعف على كفاءة سيارة سنة ١٩٢٢

هذا فيما يتعلق بالسيارات . فاذا نظرنا الى القطارات وجدنا أن ارتقاء السفر الجوي والانتقال بالسيارات ، قد سلبها جانباً كبيراً من ركابها . ولا ريب في ان السفر الجوي سوف يهدد قريباً السفن التي تمخر عباب البحار . ومن الغريب ان شركات السفانة عمدت الى تكبير حجم السفن في مواجهة هذه المنافسة من الطائرات غير عابئة على ما يظهر بالقواعد العلمية التي يجب أن تتوافر في تصميمها

في الولايات المتحدة الاميركية مهندس يدعى نورمن بل غدس N. B. Geddes لهُ نظرة خاصة في هذا الموضوع يهزأ بها بعض المهندسين لانها متطرفة في رأيهم . ولكن غدس يرى ان شكل السفينة المثلى يجب أن يكون أشبه بالدلفين منهُ بأي شيء آخر . وفي الصورة المقابلة رسم لسفينة مصنوعة على هذا المثال . وعنده أن سفينة حمولتها ٧٠ الف طن وطولها الف قدم ، اذا صنعت على هذا المثال زادت سرعتها ٢٠ في المائة أي نحو ستّ عقد بحرية من دون أن تزيد ما تنفقهُ من الوقود كما فعلت السفينة الايطالية «ركس» ، فتستطيع ان تختصر مدة سفرها بين نيويورك وبليموث ٢٢ ساعة . ثم ان بناءها على هذه القواعد يخفض مقاومة الريح لها ١٤ في المائة

أما القطارات فحالها أحرج من حالة السفن الآن لأن الطائرات والسيارات تنافسها في ميدان الانتقال والنقل على سطح الارض . وقد نقص عدد الأميال التي قطعها المسافرون بالسكك الحديد الاميركية من ٤٧ مليوناً سنة ١٩٢٠ الى نحو ١٧ مليوناً سنة ١٩٣٣

وقد صنع في أميركا قطار من هذا القبيل وفقاً لقواعد الحركة العلمية باسم زفير Zephyr . هذا القطار يحتاج الى قوة ٥٠٠ حصان لجرّه مسافة ٩٠ ميلاً حاملاً ١٢٠ مسافراً وما زنتهُ ٢٥ الف رطل من البريد والامتعة . أما القطار المألوف فيحتاج الى قوة ٣٤٠٠ حصان لنقل الحمل نفسهِ بالسرعة نفسها . فعلى القاطرة في القطار المألوف ان تجرّ علاوة على كل راكب ، ما وزنهُ ثمانية اطنان من عربات القطار نفسهِ ، والنفقة التي تتكبدها الشركة على جرّ هذا الوزن الاضافي ، تبلغ ريالاً لكل ميل من السير ، وتنفق القاطرة ما قوتهُ ٨٫٣ الحصان على كل مسافر وما يتبعه . فاذا صح للمهندس ان يصنع قطاراً تجتمع فيه القواعد التي بسطناها وحولت قاطرتهُ من قاطرة بخارية الى قاطرة كهربائية ، اصبحت القوة التي تنفق على جر المسافر الواحد وما يتبعه خمسة أحصنة بدلاً من ٨٫٣ الحصان ، واصبح ما تنفقه الشركة على الميل الواحد من السفر تسعة قروش بدلاً من عشرين قرشاً . وبذلك تستطيع سكك الحديد ان تنافس السيارات والطائرات . وقد بدأت شركات السكك

الحديد تتنبه لهذا الامر، ولكنها مترددة في احداث الانقلاب التام الذي يقتضيه، لان الانسان بوجه عام يكره الزحزح عن شيء ألفه ولو كان الربح في الانقلاب مضموناً، والخسارة في الاستمرار لا نفحة عنها

ان سر السرعة في الطبيعة هو خلق الاحياء حتى تكون مقاومة الوسط الذي تتحرك فيه اقل ما يمكن ان تكون. « فالعودة الى الطبيعة » يجب ان تكون شعار هذا العصر الراغب في السرعة

***

كتبنا هذا المقال ولم نذكر فيه اللفظ الانكليزي الذي يُدلُّ به الآن على السيارة او القطار المصنوع على اساس القواعد التي بسطناها. هذا اللفظ هو Streamlining واصل الكلمة من ان حركة السوائل نوعان احدها جريان في خط مستقيم او يكاد يكون مستقيماً streamline motion والثانية جريان مضطرب تكثر فيه الدوامات وتزداد بازدياد السرعة turbulent motion فلفظ streamlining مطبقاً على سيارة مصنوعة وفقاً لقواعد الحركة العلمية يقصد به ان يكون شكلها بحيث تكون حركة السائل او الغاز الذي تسير فيه خلواً من الدوامات على قدر الامكان لأن هذه الدوامات هي التي تعيق تحركه اي انها سرُّ مقاومة السائل او الغاز له. وشكل الجسم الذي يسير في سائل او غاز من دون ان يحدث هذه الدوامات، او يحدث منها اقل مما يحدثهُ اي شكل آخر، هو الشكل المستطيل البيضي المقدمة للمستدق المؤخرة. وقد يصلح القول بأنهُ شكل مساير للتيار (استعمال عوض جندي) ولكننا نفضل كلمة واحدة اذا امكن ليسهل التصرف بها عند الكتابة. فراجعنا في المخصص ما جاء في اوصاف حركة الحيوانات المختلفة لعلنا نعثر فيها على ما يمكن استعارته لما نحن في صدده

ثم خطرت على بالنا مادة مشق ومن معانيها « مشقت الجارية على المجهول مشقاً اي طالت مع رقة . . . . المشق سمكة بحرية . . . (بيننا في هذا المقال ان الاسماك بوجه عام اقرب ما يكون من المخلوقات للشكل الامثل الذي تقتضيه قواعد الحركة والراجح ان اسم هذه السمكة أخذهُ العرب من مادة مشق نفسها لانهم كانوا يطلقون على النبات والحيوان اسماء مشتقة من اوصافها فقالوا في طائر طيفور لانه كثير الطفر. وقالوا في نبات إسليح لانه يسلح الحاشية) .... وفي قدها مشق اي طول مع رقة . . . والمشق من الرجال الخفيف اللحم .... المشيق من الخيل الضامر . . . ورجل مشيق اي خفيف اللحم . . والمشوق « من الجواري والقدود والخيل والرجال بالمعاني التي تقدمت » ومن القنبان الطويل الدقيق . . . » ومن عجائب الاتفاق ان من الأمثلة التي يضربها العلماء على streamlining في الطبيعة سمان جردت من اوراقها وزوائدها

فالطول مع الرقة، وخفة اللحم في الرجال، والنامر من الخيل، والطويل الدقيق من القنبان، كلُّ هذه معان يتضمنها المقصود من الجسم الذي يصحُّ عليهِ الوصف streamlined لذلك قد يصلح ان نقول سيارة مشيق او ممشوقة بمعنى streamlined car وقطار مشيق او ممشوق streamlined train وهكذا

« مصر هبة النيل »

الربع الاعلى من عين التمثال مكبراً وفيه تظهر رموز الحياة المصرية

النباتات المصرية القديمة

للدكتور حسن كمال

(وكيل القومسيون الطبي العام)

الحبوب وصناعة الخبز

حبوب القوطس هي الحبوب الوحيدة التي عثر عليها من الزمن السابق للعهد التاريخي . والفضل في ذلك يرجع الى (ده مرجان) الذي اكتشفها مع زميليه (بتري) و(اميلينو) . اما مقابر الاسر الاول (حوالي ٣٤٠٠ ق . م .) فقد عثر فيها على نوع من القمح يعرف بالقمح الجبلي او قمح جبل فارس وعلى الشعير ايضاً (Recherches 1897 t II p 100, 94)

(١) قمح جبل فارس : ويقال له باللاتينية Triticum Spelta عثر عليه اولاً في اوعية فرابين الموتى الخاصة بغزاة مصر الاقدمين . وثبت وجوده في الزمن السابق لعهد الاسر (٣٤٠٠ ق.م.) . ونسب المصريون الى (ازوريس) شرف اكتشاف الحبوب ودراسة النبات المجهول والدقيق كما نسبوا الى زوجته (ازيس) فخر ابتكار صناعة الخبز

واننا لم نهتد حتى الآن الى موطن هذا النبات الاصلي . لكن الرأي السائد انهُ لا يبعد كثيراً عن فلسطين ويرجح بعضهم وجوده ايضاً في العراق (بلاد النهرين) . وقسم المصريون هذا الحب الى نوعين ابيض واحمر ولا يبعد ان يكون لهذا التقسيم صلة جغرافية بتواضع زراعته كأن يكون الوجه القبلي موطن النوع الابيض والوجه البحري مزرعة النوع الاحمر ويقال لهذا النوع من القمح بالمصرية القديمة (بدت)

(٢) البرّ — او — الحنطة Triticum Vulgare : — قال (ده كاندول)[1] ان الانسان اجتهد من قديم الزمان في تحسين القمح الجبلي (قمح جبل فارس) بطريقة التلقيح المختلط فتمكن بذلك من الحصول على نوع القمح الحالي المعروف بالبرّ او الحنطة . ولما لم يهتد الاوربون على حبوب البر منذ اوائل القرن التاسع عشر بعد الميلاد الى عهد قريب استنتج (كروساتس Crosats)[2] ان ذلك يتمشى تماماً مع ما نسب الى بطلميوس الاول من انهُ اول من ادخل البرّ في حياة مصر الاقتصادية . لكن عثر حديثاً على آوان وكئوس حاوية برّاً باحجام متباينة (بتري نجلة مصر القديمة مجلد ١ ص ٧٨ و٧٩) . وكان المصريون يكسون البرّ بطبقة خفيفة من الورنيش للمحافظة عليه . واهم انواع الحنطة او البرّ التي كانت معروفة عندهم وقتئذٍ هي (Triticum Amylenm[3]

(1) De Condolle, Recherches Sur Les Origines des plants cultivées p 239
(2) Mem. Sur l'Egypte Paris X t II p 144 (3) Meyer Hist. Vol II

وTriticum Vulgare و Triticum Turgidum . ودار تحف اللوفر بفرنسا يحوي مزيجاً من النوعين الاخيرين . (راجع مجلة العاديات المصرية مجلد ٧ ص ٢١٢)

وكانت مصر تصدر الحنطة الى جميع سكان البحر الابيض المتوسط . ويستدل على عظم محصول مصر وفتنذ بتأثير القحط الذي حل بمصر على بلدان البحر المتوسط . فقد جاء بالذكر الحكيم حكاية عن ذلك « يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا » — سورة يوسف . اما سفر التكوين فقد جاء فيه عن ذلك ما يأتي (اصحاح ٤١ آية ٥٧) « واشتد الجوع في ارض مصر . وجاءت كل الارض الى مصر الى يوسف لتشتري قمحاً . لان الجوع كان شديداً في كل الارض » واحتكرت الحكومة المصرية حق تصدير الحنطة وحق بيعها

قال شابابي (Bibl Egypt. Vol XII p. 32) ان آسيا كانت تورد في عهد تحوتمس الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧ ق . م) الحنطة كجزء من جزيتها

قال المرحوم كمال باشا : ان «قمح» هو لفظ مصري قديم وجد على الآثار هكذا ـ قح قحو ـ بدليل ما جاء في هرم تيتي من انحوريس اكل خبز القمح الخاص به وكانت قد خبزته له خادمته الكبيرة (Pyr. Teti p 96) . ويوجد من القمح الفرعوني الآن مقادير كبيرة في جميع متاحف اوربا مأخوذة من المقابر المصرية القديمة . ووجدت مرة بالأقصر حوالي سبعة اراديب قمحاً احضرت الى متحف القاهرة . قال لوريه وقد اختبروا زراعة هذا القمح القديم فبذروه بعد ان مضى عليه سبعة آلاف سنة لكنه لم ينجح . وبحثه الكيماويون بالقائه في الكؤول الساخن الى درجة الغليان فوجدوا انهُ قد انفصلت منه مادة راتنجية رسبت في قاع الاناء . فاستنتجوا من ذلك نتيجة غريبة وهي أن المصريين الاقدمين كانوا يمدون لمؤونة موتاهم قمحاً مدهوناً بنوع من الورنيش قبل وضعه في المقابر كي يقاوم مرور الزمن وتأثيراته . والواقع ان هذا الدهان الراتنجي حفظ القمح وحفظ ما فيه من الدقيق وخاصيته الى ان وصل الينا . قال ووجد (شوينفورت) قمحاً أقل حجماً من قمحنا الاعتيادي شبههُ بالقمح البحيري ويشاهد القمح مرسوماً بكثرة في المقابر بين المزروعات ومذكوراً في نصوص القرابين . وكانوا يستعملونه كثيراً في الطب مع تراكيب لألم المعدة وفروة الرأس

(٣) الشعير (Hordeum Vulgare) : — وجد بمقابر الاسر الاولى مع القمح الجلي[1] ولم يعلم للآن موطنه الاصلي القديم بالضبط . وميز قدماء المصريين بين « الشعير الابيض » و « الشعير الاحمر » . وفي دار تحف القاهرة سنبلة شعير يرجع تاريخها الى الاسرة الخامسة (٢٧٥٠ — ٢٦٢٥ ق.م.) في حالة تحلل (مجلة المعهد العلمي المصري رقم ٥ سنة ١٨٨٤ ص ٤). وعثر العالم (أونجر) في قالب لبن بدهشور على شعير [2] وميز شوينفورت هذا النبات بين ماوجده في جبلين (مجلة المعهد العلمي المصري) سنة ١٨٨٦ ج ٧ ص ٤٢٢

(1) De Morgan, Recherches t II p 100 (2) Loret (La Flore p. 24)

وكان المصريون يصنعون الخبز من الشعير في عهد الاهرام (اي قبل عام ٢٧٥٠ ق .م.) اما الجعة او البيرة فكانت تصنع في جميع العصور من الشعير (هيرودتس ٢ — ٧٧ ، ديودورس ١ — ٣٤ استرابون ١٧ — ٢٤ ، بليني ٢٢ — ٢٥) . وكان المصريون ينسبون صناعة البيرة دائماً الى المعبودة ايزيس وكانت كل سيدة تحرص دائماً على اقتناء البيرة او الجعة بمنزلها (ماسبرو — حكايات العامة ص ٤٢)

ولصناعة الجعة كانوا يستعملون الشعير النابت دون المختمر . قال شوينفورت (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٥ ص ٢٧١) ان هذه الحقيقة ثبتت من وجود شعير نابت بجذور يتراوح طولها بين ٥و٧ سنتيمترات بنفس الوصف الذي تصنع منه الجعة (البوظة) هذه الايام . وبعد ما يصنعون منه كعكاً يكسرونه ثم ينقعونه في الماء حتى يختمر . الى هذه المرحلة فقط كان الاقدمون يكتفون في صناعة جعتهم (بوظتهم) . وكثيراً ما تشاهد بالمقابر المصرية القديمة رسوم تمثل صناعة الخبز (لبسيوس دنكمايلر لوحة ٢١ — مقبرة تي — دشاشة لوحة ٢٧و١٨ الخ) . ويلاحظ ضمن هذه الرسوم الطحانون يطحنون الحبوب بين الاحجار والعجانون يعجنون العجين والخبازون يخبزون الخبز . وبالقرب منهم عمال يصنعون الجعة (البيرة — البوظة) ويصفونها بمصفاة. واعتاد القوم ان يرسموا هذين العملين جنباً الى جنب لانهما يمثلان اهم مرحلتين في صناعة هذا الشراب الوطني

وفي العصور المتأخرة اضاف القوم بعض النباتات الى الجعة ليكسبوها رائحة ذكية وتمكنوا في العهد الفرعوني من عمل عدة انواع من الجعة . من ذلك الجعة العذبة (البوظة) المقال لها عندهم (حيكت) ويقابله بالعربية دحاق . رحيق (كمال باشا) . ايضاً سخب — من سكب الماء صبه (كمال باشا) [1] . وفي العصور الاخيرة اشتهر اهالي بلوزيوم (قرب بور سعيد) بصناعة نوع الجعة المعروف باسم زيتوس (Zythus) (راجع ديودورس ١ — ٣٤) . وبعد تصفية الجعة كانت تخزن داخل او ان داخلها مطلي بالقار حتى يتم اختمارها . ويقال للشعير بالمصرية القديمة (ات) — ويقابله بالعربية عُض وهو الشعير (كمال باشا) . ومنه اخذت الكلمة القبطية (يوت)

(٤) الذرة (Sorghum vulgare): قال شوينفورت في (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٦م ٧ ص ٤٢٦) ان الذرة لم توجد في مصر القديمة لانه لم يعثر عليها في المقابر ولم ترسم على الآثار . وخالفه في ذلك الاساتذة ارمان ولبسيوس راوثجر (راجع رسم لبسيوس الذي اورده اوثجر في كتابه عن النباتات المصرية القديمة ص ٣٤) حيث قالوا ان هذا النبات منقوش على الآثار . واما ولكنسون فقد ذكر في كتابه عن (عادات قدماء المصريين م ٢ ص ٤٢٦) انه استطاع تمييز الذرة على الرسوم المصرية القديمة باللون والارتفاع والشكل الخ . وهذه الآراء المتناقضة تشير الى ان وجود الذرة ان لم يكن امراً مؤكداً فلا يبعد ان يكون هناك نبات آخر شبيه به استعمل في صناعة الخبز والكعك والمعروف عن الذرة انها نوعان نوع اميركي الاصل يعرف في الشام بالذرة الصفراء وفي مصر

(1) Weil, Les origines de l'Egypte Pharaon p 251

بالذرة الشامية وهي دخيلة في الشرق منشؤها اميركا الجنوبية كما يقول الاستاذ (ايست) بجامعة هارفرد . قال الفريق امين المعلوف باشا في مقتطف يناير سنة ١٩٣٥ ص ٣٨ ج ١ : اما الذرة المعروفة بهذا الاسم العربي فشرقية نشأت بأفريقيا في عهد راسخ في القدم فاذا ذكرنا هذين النوعين من الذرة اري ان نسمي الذرة المعروفة بهذا الاسم في كتب اللغة العربية بالذرة الافريقية او الذرة البلدية ونسمي الاميركية بالذرة الاميركية او الذرة الصفراء دفعاً للالتباس . قال واقدم ذكر للذرة بهذا الاسم فيما وقفت عليه هو في القرن الرابع للهجرة اي قبل اكتشاف اميركا بزمن طويل فلا يمكن ان تكون الذرة التي عرفها العرب اميركية الاصل . فهذه زرعها المصريون في زمن عريق في القدم كذلك العبرانيون فقد ورد ذكرها في سفر حزقيال باسم الدخن . ويرى العلماء ان الدخن نوع من الذرة البيضاء وكلاهما قديم في الشرق

(٥) الفول (Vicia Faba): اعتاد قدماء المصريين ان يقدموا الفول لموتاهم منذ عهد العائلات الاولى (حوالي ٣٠٠٠ ق. م.) واكتشف الاستاذ بتري كثيراً من الفول في مقبرة من عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠—١٧٨٨ ق. م.) [1] . وورد ذكر الفول كثيراً في قراطين المقابر الطيبوية . وجاء عن رمسيس الثالث (١١٩٨—١١٦٧ ق. م.) انه زاد في دخل الفول كثيراً لخازن اغذية معبد آمون (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٤ ص ٧)

اما هيرودوتس فقال ان المصريين لم يبذروا الفول في حقولهم . واذا حصل ونبت فانهم كانوا لا يأكلونه طازجاً كان او مطبوخاً . ولم تجرأ طائفة الكهنة على رؤيته لانهم اعتبروه دنساً واسمه بالمصرية القديمة فوير ويقابله بالعربية فول (بقلب الراء لاماً كما يحصل كثيراً)

(٦) العدس (Ervum lens) : قال هيرودوتس (٢—٢٥) ان العدس كان من ضمن اغذية عمال اهرام الجيزة . وقد عثر بمقبرة بذراع ابي النجا بالاقصر على طبق يحوي عجين العدس (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٤ ص ٧ رقم ١٢) وهذا العجين محفوظ الآن بمتحف القاهرة

وكان المصريون يفصلون قشور العدس عن حبه . وورد في القصص التاريخية عن فاورطرخومي (قصة ازيس وازوريس ٦٨) ان بشائر العدس كانت تقدم الى المعبود هيرو قراط . قال المرحوم كمال باشا (بغية الطالبين) وكان العدس من المآكل المألوفة عند قدماء المصريين . فقد جاء عن بني اسرائيل انهم قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ويقال له بالمصرية عرمش ويقابله بالعربية بُلسن وهو العدس المأكول (كمال باشا)

(٧) الحمص (Cicer arietinum) : ويقال له بالانكليزية Chick-pea : قال هيرودوتس ان الديانة المصرية القديمة حرّمت اكل الحمص . وفسّر ذلك ديودورس (٢ — ٣٣) بقوله ان هذا المنع مقصود به افهام الناس معنى الحرمان . واسمه بالمصرية القديمة لم يعرف بعد

(1) Loret, La Flore Pharaon. II 94

حجم ذرة الاثير

كيفية استخراجه بالمقايسة

بقلم نقولا الحداد

نشأت نظرية الاثير حين ثبت ان النور حركة موجية تحدثها اهتزازات ذرات الجسم المنير . ففرضوا وجود شيء ادق جداً من المادة المعروفة يملأ الفضاء سموه اثيراً ، تموجه ذرات المادة وهي مهتزة ، او بالاحرى وهي دائرة على محاورها . فيرحل التموج بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر بالثانية . وبقيت نظرية الاثير سائدة نحو قرنين الى ان اكتشفت بعض ظاهرات طبيعية تدل على ان النور امواج كهرطيسية (كهربائية مغنطيسية) كأمواج الراديو ، وان المادة المتشعة كالراديوم تنقص كتلة مادتها بهذا التشعع نقصاً يدل على ان الشيء الشاع (او الشعاع) هو مادي ايضاً . فقالوا ان النور ذرات مادية Particles منتشرة من الجسم المنير . ثم تحققوا ان كلاً من البروتون والكهرب متى قضي عليه لسبب ما بالاندثار تفتت الى ذرات سموها فوتونات . فالكهرب ينحل الى ١٠ آلاف فوتون . ولما كان البروتون يساوي ١٨٤٠ كهرباً كتلة ووزناً فهو اذا اندثر ينحل الى ١٨٤٠ × ١٠٠٠٠ = ١٨٤٠٠٠٠٠٠ فوتون . فذرة الهيدروجين المؤلفة من بروتون واحد وكهرب واحد اذا اندثرت انحلت الى ذلك العدد من الفوتونات . والفوتون هو اصغر ما عرف من اجزاء المادة ، ويظن انه آخر « وحدة » Unit منها لا يقبل التجزئة . فاكتشاف الفوتون هذا جعل العلماء يعتقدون ان الشيء الشاع هو الفوتون نفسه وان الذرة التي تنقص بالتشعع Emanations (كالراديوم) انما هي تنقص فوتونات منتشرة في الفضاء بزخم بسرعة ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية . وقد ظهر ان الفوتون خلافاً للبروتون والكهرب غير مشحون شحنة كهربائية . ولكنه باندفاعه بتلك السرعة يحمل طاقة Energy

بناء على هذا الاكتشاف قالوا ان النور (وكل تموج كهرطيسي) انما هو هباء مادي ينتقل بنفسه بلا وسيط . فلا لزوم لفرض الاثير . وفي رأي آخرين ان هذا الحكم القاضي على الاثير تسرّع وتطرّف . لان المتعمقين منهم في البحث لا يزون غنى عن الاثير ، ما دام النور (وكل تشعع كهرطيسي) يسير امواجاً مختلفة بالطول وبعدد الموجات في الثانية . على ان الذين يصرّون على جحد نظرية الاثير يزعمون ان الفوتونات المذكورة تسير متموجة من تلقاء نفسها . وفي رأي السر جيمز جينز الذي يصالح بين النظريتين ان الفوتون يسير دائراً على نفسه دوراناً حلزونياً في الفضاء كما

تسير رصاصة «دم دم». وذلك كقولك ان الرصاصة المنطلقة من بندقية «دم دم» تندفع متموجة بشكل الموجة. ولا نرى مسوّغاً لهذا الفرض لانه ليس اقرب الى العقل من القول ان الرصاصة وهي مندفعة بخط مستقيم تحدث امواجاً في الهواء. وهكذا القول ان الفوتون نفسه يسير متموجاً، اذ لا نرى سبباً لتموجه الاّ اذا كان السبيل الذي يسلكه متموجاً فيضطر ان يتموج بتموجه. واذن فلا مناص من افتراض شيء يملأ الفضاء يمنع الفوتون ان يسير بخط مستقيم. وهو الاثير المفروض

ولا متسع هنا للتوسع في البحث لاثبات ان النور (وكل طاقة كهرطيسية) انما هو امواج اثيرية لافوتونات مندفعة في فضاء فارغ فراغاً مطلقاً. فالاثير يتموج بفعل دوران كل من البروتون والكهرب على محوره ودوران الثاني حول الاول وباندفاع الفوتون فيه. وتموجه هو الكهرطيسية بعينها والنور من ضروبها. وجينز وادنغتون وغيرهما يرجحون نظرية الاثير. وبناء على ارجحيتها نبحث في طبيعة الاثير كما نستدل عليها من قوانين التموج

طبيعة الاثير

من ظاهرات التموج الكهرطيسي (النور وغيره) يستدل ان هذا الاثير ضرب من ضروب المادة (اي لا هو روح ولا هو عقل) وذراته ادق جداً من ذرات المادة (البروتون والكهرب) بحيث يستطيع ان يتخلل كل فراغ بين الجزيئات Molecules وبين البروتونات والكهارب، وانه ساكن لا يجري في مجارٍ او تيارات، ولا حركة له الاّ الحركة الموجية الطارئة عليه من دوران الذرات المادية. وهو معلوم ان الحركة الموجية لا تستلزم انتقال الذرات من مكان الى آخر انتقالاً متوالياً، كما ان تموج الماء مثلاً لا يستلزم انتقال ذراته من اماكنها، بدليل ان الشيء العائم على الماء (غير الجاري) يعلو ويسفل مع الموجة ولكنه يبقى في مكانه. فالتموج انما هو اصطدام الذرات بعضها ببعض. وهكذا الاثير لا يتحرك جارياً بل ان ذراته يصادم بعضها بعضاً متى جاءتها العدمة من البروتون او الكهرب او الفوتون

الاثير كالفوتون ليس فيه شحنة كهربائية لا ايجابية ولا سلبية. ولهذا هو ثابت غير جار، وانما هو يتموج بحمل طاقة، اي ان الطاقة تنتقل بواسطة تموجاته. والفوتون متى تلاشت الطاقة التي يحملها في امواج الاثير (اي متى انتقلت الى امواج الاثير) بمصادمته لذراته يهدأ ويصبح كجزء من بحر الاثير، كما ان الماء المندفع في النهر الى البحر يبقى برهة مندفعاً فيه ومحدثاً امواجاً الى ان تتلاشى قوته فيشترك مع ماء البحر في الهدوء او الاضطراب كجزء منهُ

ولان بعض العلماء مثل جينز وادنغتون ولودج لا يتورعون عن القول بانهُ لا يستحيل ان تكون المادة متكونة من ذرات الاثير، فلا نتورع نحن عن التوسع في فرض ان الاثير هو فوتونات لم تتكون كهارب ولا بروتونات، او ان بعضها كانت تؤلف بروتونات وكهارب ثم انتهى حملها فعادت الى سكونها

في بحر الاثير الذي تألفت منهُ وفيهِ قبلاً ذرات مادية ، على حد قطرة الماء التي تصاعدت من البحر بخاراً ، ثم تجمعت وهبطت مطراً ، ثم جرت من اليابسة الى البحر حيث انتهى عملها

وبناء على ان الاثير هو بحر فوتونات غير مؤتلفة ائتلافاً ماديًّا نبحث في مقدار كثافة هذا البحر الفوتوني الذي سميناه اثيراً . نبحث في مقدار كثافتهِ density بالنسبة الى كثافة ذرات المادة السابحة فيهِ . على اننا ننبه القارىء الى ان هذا الاثير لايزال فرضاً بلا برهان ايجابيّ على وجودهِ ولا دليل محسوس عليهِ سوى ان معظم ظاهرات التموج لا تتفسر الاّ بهِ . وبناء على هذه الظاهرات نستخرج مقدار كثافتهِ (على فرض وجوده) بالمقايسة بين سرعة امواجه وسرعة امواج المادة كامواج الصوت مثلاً

حجم الذرة الاثيرية

كيف يمكننا اكتشاف حجم ذرة الاثير ؟

اذا درسنا انواع الامواج المختلفة بحسب اختلاف طبائع المواد المتموّجة درساً دقيقاً فقد يمكننا ان نتوصل الى ناموس عام لسرعة التموج بنسبة كثافة الوسط المتموج : — « كلما كان الوسط المتموج كثيفاً كانت امواجه اسرع » . مثال ذلك الصوت . امواجه في الحديد اسرع منها في الماء ، وهي في الماء اسرع منها في الهواء : سرعة الصوت في الهواء على درجة حرارة الصفر بمقياس سنتغراد ٣٣١ متراً في الثانية ، وفي الماء على درجة ١٣ سنتغراد ١٤٤١ ، وفي الحديد ٥٠٠٠ متر تقريباً . كل ذلك في الثانية . لان الحديد اكثف من الماء والماء اكثف من الهواء كما هو معلوم

ولكن ايضاح هذا الناموس يستلزم تفسير معنى كل من الكثافة والتموج . فاولاً ما هي الكثافة؟

الكثافة هي نسبة عدد وحدات الجسم (المتموج) الى حجمه . والمراد بالوحدة كل ذرة او كل مجموعة ذرات متحدة في جزيء او مجموعة جزيئات متحدة في كتلة بحيث تتحرك ذرات المجموعة معاً حركة واحدة . فكلما كان عدد الوحدات (ذرات او جزيئات) اكثر في الحجم الواحد كالسنتيمتر المكعب مثلاً عُدَّ الجسم اكثف . فالماء يعد اكثف من الهواء لان في السنتيمتر المكعب منهُ ذرات او جزيئات اكثر مما في سنتيمتر مكعب من الهواء . وفي سنتيمتر مكعب من الحديد ذرات اكثر مما في ذينك الاثنين (فناموس الكثافة اذاً : الكثافة = عدد الذرات ÷ الحجم)

وسبب ان الجسم الاكثف مادةً اسرع تموُّجاً يظهر في تفسير معنى التموُّج — فثانياً ما هو التموج؟

التموج هو مصادمة الذرة (المصدومة بالجسم المصدر لحركة الموجية) لذرة مجاورة لها . ثم ارتدادها عنها (رد فعل) . ثم مصادمة هذه الذرة الثانية لذرة ثالثة اخرى مجاورة لها كما فعلت الاولى بها ، ثم مصادمة الثالثة لرابعة وهلمَّ جرًّا . ولا يخفى ان المصادمة تستغرق وقتاً مناسباً للمسافة التي تقطعها الذرة في انتقالها من موضعها الى موضع الذرة الاخرى التي تصادمها او تصطدم بها . فكلما

كانت المسافة بين الذرات اطول (اي كلما كانت الذرات متباعدة وبالتالي تكون الكثافة اقل كما علمت) كان الاصطدام يستغرق وقتاً اطول ، وبالتالي تكون الموجة ابطأ . فاذاً يمثل ناموس التموج هكذا : مثلاً

$$\frac{\text{سرعة تموج الهواء}}{\text{سرعة تموج الماء}} = \frac{\text{كثافة الهواء}}{\text{كثافة الماء}}$$

الى هنا غضضنا النظر عن امر آخر لا بد من ادخاله في الحساب وهو وزن وحدة الجسم (ذرته او جزيئه) وحجمه او الحيز الذي يملأه . فوزن جزيء الماء اثقل من وزن جزيء الهواء (المعدل الاوسط لجزيئات الهواء المختلفة من اوكسجين ونيتروجين الخ) ووزن جزيء الحديد اثقل من وزن جزيء كل من ذينك . فما هو حساب الوزن في سرعة التموج ؟

كلما كانت الوحدة ، (ذرة او جزيئاً) ، اثقل كانت حركة المصادمة ابطأ كما هو معلوم من ان تحريك الاثقل يستلزم قوة اكثر لتحريكه . ثم ان اوزان الجزيئات مناسبة لاحجامها على الغالب . فجزيء الحديد اكبر من جزيء الماء ، لان فيه بروتونات وكهارب اكثر تشغل حيزاً اوسع . جزيء الحديد (ثماني . ذرتان) ١١٢٠ بروتونات وجزيء الماء ١٦ اوكسجين + ٢ هيدروجين . والنسبة بينهما ٨ الى ١ وهي تقارب النسبة بينهما في الكثافة وهي ٧٫٧٥ الى ١ ، لذلك كانت سرعة التموج في الحديد $\frac{٥٠٠٠}{١٤٤١} = ٣٫٤$ اضعاف سرعة تموج الماء في حين ان كثافة ذاك ٧٫٧٥ اضعاف كثافة هذا

واذا تفرغ رياضي لهذه المسألة مراعياً فيها الوزن الذري والثقل النوعي والحجم امكنه ان يتوصل الى عبارة رياضية عامة يستطيع بها ان يستخرج حجم ذرة كل جسم متموج بالنسبة الى حجم ذرة الهيدروجين باعتبارها مقياساً . هذا اذا عرف مقدار سرعة التموج في ذلك الجسم . ولا ينكر ان العملية معقدة تستلزم اعنات الفكر . اما نحن في هذا البحث فنستطيع التوصل الى غرضنا من غير عملية معقدة اذا قايسنا بين سرعة امواج الهيدروجين الصوتية وأمواج الاثير النورانية . لان الهيدروجين ابسط العناصر كما هو معلوم وذرته معتبرة الوحدة الاولى لكل العناصر ومركباتها . فهو بروتون واحد مع كهربه . وسرعة الصوت في غاز الهيدروجين ١٢٥٨ متراً في الثانية اي كيلو متر وربع تقريباً (وذلك ٤ اضعاف سرعة الصوت في الهواء)

فاذا صح قانون تناسب السرعة والكثافة الذي تقدم نصه كانت سرعة موجة الهيدروجين ($\frac{١}{٤}$ ١ كيلو متر) الى سرعة موجة الاثير (٣٠٠ الف كيلو في الفراغ) كنسبة كثافة الهيدروجين الى كثافة الاثير . فلنتخذ الحيز الذي تشغله ذرة واحدة من الهيدروجين وحدة للكثافة لكي نعلم كم ذرة اثير تشغل ذلك الحيز نفسه :

$$\frac{\frac{١}{٤}\text{ ١ (سرعة موجة هيدروجين)}}{٣٠٠٠٠٠ \text{ (سرعة موجة اثير)}} = \frac{\text{١ (كثافة هيدروجين . ذرة واحدة)}}{\text{ك (كثافة اثير)}}$$

اذن ، ك = ٢٤٠٠٠٠ ذرة اثيرية

في هذا الحساب اعتبرنا السرعة في خط واحد مستقيم . وهي بالحقيقة تنتشر الى جميع الجهات فاذاً ذلك الرقم ٢٤٠٠٠٠ ليس الا عدد ذرات الاثير التي تشغل قطر الحيز الذي يشغله الهيدروجين . فاذا كعّبناه حصلنا على عدد ذرات الاثير في الحيز الذي تشغله ذرة واحدة من الهيدروجين وهو تقريباً ١٦ الف بليون ذرة

فانظر ما اكثف الاثير بالنسبة الى كثافة الهيدروجين . ولو انحلت ذرة الهيدروجين الى فوتوناتها وهي ١٨ مليون تقريباً لكان بين كل فوتون وآخر نحو ١٠٠ مليون ذرة اثير تقريباً

واذا صدق هذا الحساب وصدق الظن بأن الفوتون ليس الا ذرة اثير فلا نعود نتعجب من ان البروتون الذي يساوي الكهرب بالحجم يزن ١٨٤٠ مرة كوزنه ويحتوي على ١٨ مليون فوتون تقريباً محشودة فيه حشداً اكثف من البحر الاثيري . وكذلك لا نستغرب ان الكهرب المشحون فيه نحو عشرة آلاف فوتون لا يكاد يعد ذا كتلة مادية . ولا نستغرب ايضاً ان بين الكهرب وبروتونه رحبة واسعة المدى بالنسبة الى حجمهما ، وان المسافة التي بين فلك الكهرب وبروتونه تشغلها ملايين ذرات الاثير ، والكهرب يفلحها فلحاً في اثناء دورانه ، ولا يكاد يشعر باحتكاكها فيه. مع انهُ يصدر فيها أمواجه الكهرطيسية. فدقة ذرات الاثير لهذا الحد واحتشادها هذا الاحتشاد هما سرّ سرعة النور الفائقة وسرعة كل تموج كهرطيسي . وهذا هو السر في انها السرعة المتناهية التي لا يمكن ان تفوقها سرعة اخرى، لانه لا يوجد في الكون وسط لانتقال الامواج أدق ذرةً من الاثير واكثر احتشاداً بذراته (كثافة) . أفليس في هذه الحقيقة برهان دامغ على أن النور (وكل طاقة كهرطيسية) انما هو تموج أثيري ؟ لانهُ لو كان مجرد فوتونات منتثرة من الذرات لما كان ذا سرعة ثابتة لا تتغير، بل كانت الفوتونات تندفع كسائر القذائف وبسرعة تعادل القوة التي قذفتها، كسرعة القنبلة بالنسبة لقوة المدفع

بعض خواص الاثير

بناء على تقارب الذرات الاثيرية العظيم بالنسبة الى ذرات المادة كذرات الهيدروجين، او أي عنصر آخر او اي مجموعة ذرات سابحة في بحر الاثير أو متحركة فيه أية حركة او تدور على نفسها او حول مركز — كانت هذه الذرات من غير بد تصادم ذرات الاثير في طريقها وتشق فيها انثلاماً وتحدث تموّجاً . وهذه بنوبتها تصادم اخواتها التي حولها ، وهكذا دواليك تنتشر الموجة في الفضاء الى ما لا نهاية لهُ

لذلك لا نقدر ان ننفي من الذهن فكرة الاصطدام بين الاثير والذرات المادية المتنوعة وكهاربها خلافاً لرأي السير اوليفر لودج بغير الاثير . فلا بدّ ان يكون بين الذرة والاثير شيء زهيد جداً

من الضغط يساوي جزءاً من ملايين من مقاومة الذرة لذرة اخرى . وفي نظر هـذا العاجز لولا وجود هذا الضغط لما وجد ناموس الجاذبية . ولهذا بحث خاص

لا ينفي السير اوليفر لودج هذه المقاومة فقط بل ينفي اللزوجة عن الاثير . فلا يعلق منهُ شيء بالمادة المتحركة فيه كما يعلق الماء بجوانب السفينة الماخرة في البحر . وهو مصيب بنفي اللزوجة لانها تستلزم وجود تجاذب او الفة بين ذرات الاثير وذرات المادة . وهذا التجاذب غير موجود بحسب رأي جينز وغيره ممن يقولون بأن الفوتون خالٍ من الشحنة الكهربائية . فما للاثير من خاصة الحركة الاّ انهُ الوسط الذي تنتقل الحركة (او بالاحرى الطاقة) بواسطة تموجهِ

وزعم انصار الاثير انهُ لا وزن له . وانما بحسب حسابنا السابق وباعتبار ان الأثير بحر فوتونات تزن الذرة الاثيرية نحو جزء من ١٨ مليون من وزن ذرة الهيدروجين . ولكننا لا نستطيع ان نزن الاثير كما نزن الماء والهواء لاننا لا نستطيع الخروج منه والاستقلال عنه كما نحن خارجون عن الماء ولا نستطيع ان نفرغ حيزاً منه كما نفرغ انبوبة من الهواء . نحن فيهِ كالسمكة في البحر لو كانت تعقل لما كانت تستطيع ان تعلم ثقل الماء وهي غائصة فيه لا تستطيع الخروج منه

واذا كانت الفوتونات ذرات أثيرية (كما يميل الى هذا الظن بعض العلماء) انحلت اليها المادة بروتوناً وكهرباً . فهي اذن كلما تناثرت من المادة وتدفقت في بحر الاثير العظيم فلا تزيد كثافته فقط بل تزيد اتساعه ايضاً . وقد تعود كثافته الى حالتها الطبيعية باتساعه على حساب الفراغ المحيط بهِ . وهذا الظن يطابق نظرية . ان الحيز الكوني يتسع رويداً كما حققته ارصاد هوبل وكما علله ديستر ولاميتر

واذا كانت ذرات الاثير كالفوتونات غير مشحونة كهربائيًّا كما قرر العلماء بشأن الفوتون بناءً على اختبارات ظاهرات طبيعية فلا توجد قوة التدافع بينها كما توجد بين الكهارب وكلها سلبية الشحنة من نوع واحد . فلا تصد بعضها بعضاً كما يصد الكهرب الكهرب ، وانما تزحم بعضها بعضاً . واذن فيحتمل جدًّا ان يكون النسيج الاثيري حول الجرم الذي تنبثق منه الفوتونات كالشمس مثلاً ، كثيفاً جدًّا بسبب ازدحامها . وهـذا الازدحام يقل كمربع البعد (طبقاً لناموس الجاذبية) فلذلك تقل سرعة النور العابر من هناك ويعتوج خط سيرهِ كما أثبته اينشطين

***

اذا صحت نظرية الاثير كما شرحها هذا الضعيف فيما تقدم سهل جدًّا تعليل سر الجاذبية باعتبار ان الجو الجاذبي Gravitational field ليس الاّ تموجات أثيرية تحدث قوة الشرود عن المركز Centifugal force المعادلة لقوة التجاذب Centripetal force التي هي خاصة من أهم خواص المادة وعلة حركتها . وفوق كل ذي علم عليم

فلسفة الجمال

ESTHETICS

يخلق الحب جمالاً والجمال حبًّا

لفتا نبار

ليس في لغات هذا السيّار الصغير اقدس من هاتين الكلمتين : الحب والجمال : على انك لا ترى موضوعاً اقصر الناس باعاً فيهِ منهم في الحب والجمال . واليك المثل المحسوس الملموس . هذا مقتطفنا العزيز ، وقد ادرك الستين من العمر ، ولم يترك من بحوث العلم والادب شاردة ولا واردة . ولكنّ كم مقالة لهُ في فلسفة الحب ؟ فلست اطرق اذاً موضوعاً مبتذلاً في هذه المقالة . بل اراني غاية في الافتقار الى آراء كبراء الكتّاب والباحثين

***

في كل قلب معبد للجمال ، وفي كل بيت هيا كل ومذابح . على ان القليلين هم الذين يعنون بكشف أستاره ، وسبر اغواره . وبحث الجمال والحب هو من خصائص علم النفس — Psychology — ولكن علم النفس تخلى عنهُ للفلسفة ، شأن العلوم في كل بحث عويص ، فانها تتخلّى عنهُ للفلسفة . هذا هو ديدن العلوم ولا سيما العلوم العصرية الممتازة بالمختبرات والتجارب ، وبردّ القواعد العلمية الى المقادير والارقام . فانها عاجزة عن خوض مثل هذا البحث . ولذلك جعلت عنوان هذه المقالة « فلسفة الجمال » وليس « علم الجمال »

على ان الفلسفة نفسها ، وهي في ذروة مجدها ، في العصر الباركليسي وبعدهُ ، لم تُعنَ كثيراً بحلّ مسألة « الجمال » . ما هو الجمال ؟ ولماذا نقول عن شيء انهُ جميل ؟ فاقتصر فيثاغورس في امر الجمال على ردّ السلم الموسيقيّ الى قواعد الرياضة ، ووصف الاتزان بالشكل الكروي . وكان الفلاسفة الاقدمون — قبل سقراط — يصفون الجمال بمحدود المكان والمقدار . فكانت الموسيقى عندهم « انتظام الاصوات » وجمال المرئيات « انتظام النسب » . اما افلاطون الالهيّ فوحّد ذاتية الجمال والخير . فالمثل الاعلى عنده هو « الجميل » او « الخير » ولم يفسح للموسيقى مجالاً واسعاً في مدينتهِ المثلى الاّ في تثقيف الاحداث

***

وكان الفيلسوف بمغارتن الالماني اول من افرد الجمال ، وجعله موضوع بحث خاص . واختصّ غروتشي بهِ قدعي « فيلسوف الجمال » . وقد سبقه اريسطوطاليس فوضع للجمال التعريف التالي :

الجمال هو الاتزان ، وحسن اندماج الاجزاء في الكل : وقد اضاف الفيلسوفان لاسن وونكلمن الى هذا التعريف شيئاً يسيراً . فظل الجمال عندهما كما كان عند اريسطوطاليس ، مسألة : بناء وصورة : من حفر وتلوين الخ . اما « الفيلسوف «كنت» ، واضع المذهب التصوري Idealism يتقدم خطوة الى الامام في تعريف الجمال ، فجعله : ما يسرنا لغير انتفاع : فنسر بالجميل لانهُ جميل ، لا لغرض شخصي . بمثل هذا الشعور السامي نفهم ماهية الجمال ، او نشعر بتأثيره في نفوسنا وحياتنا

ولكن « شوبنهور » جعل الجمال : شعوراً استاتيكياً (وضع بمقارنتهِ لفظة « Esthetics » — فلسفة الجمال —) او غريزة فنية في نفوسنا : وبذلك يتحرر العقل نوعاً من سلطة الشهوة ، فيتمكن من تحقق المُثُل الافلاطونية « العليا » . على ان « هيجل » عاد بنا صفقة واحدة الى العهد الاغريقي ، فجعل الجمال « الوحدة في التعدد » ، او تغلب الصورة على المادة

قال « اناطول فرانس » : اسنا نعرف لماذا نقول عن شيء انهُ جميل : ولكن الجمال لشهر مايدور على ألسنتنا ، ويتغنى بهِ شعراؤنا ، وتلهج بهِ نفوسنا ، ويعبده افرادنا وجمهورنا . فهل قُضِيَ على هذه البشرية ان تعبد الهاً تجهله ؟ ! او صحيح ما قيل ان ما يمكن تعريفه ليس بإلهٍ ؟ مع ذلك فالجمال يملأ الارض والسماء ، والظاهر والباطن . فهو اشهر ما تراه العين وتلمسهُ اليد . استغفر الله ان الجمال لا يُلمس ولكن يُشعر بوجودهِ شعوراً . انما الذي يُرى هو آثاره ومجالي . اما ماهية الجمال فمستترة وراء تلك المجالي والآثار . شأن الكليات او المثل العامة العليا

الحكمة واسطة ، والغاية وراءها هي احراز الصحة التامة جسماً وعقلاً . فما هي فائدة الحكمة اذا لم تلتهِ بنا الى بلوغ تلك الغاية ، ولم تحملنا على حب الجميل ؟ وما هي قيمة الحكمة اذا هي لم تخلق فينا جمالاً اسمى مما وهبت لنا الطبيعة ؟ فالفن دون علم مسخة . والعلم دون فنٍ بربرية . والفلسفة تاج الاثنين ، العلم والفن ، على ان الفلسفة نفسها ، حتى الروحية ، هي واسطة لا غاية . اللهم الا اذا وسعنا نطاقها فشملت كل مرافق الحياة ووسائلها وجمالها . فاذا لم تنشىء الفلسفة فينا حباً كانت غير جديرة بالانسان . والجمال روح الفلسفة وغرضها الخاص . فهو حياة الفلسفة كما انهُ حياة الحب

الجمال الانساني

الشيء جميل لانهُ مرغوب فيهِ . قال الفيلسوف بندكت سبينوزا : لسنا نهيم بشيء لجماله ، بل نراهُ جميلاً لاننا نهيم بهِ . فكل ما يسد جوعاً في نفوسنا فهو جميل . حتى ان الطعام هو في عين الجائع اجمل من الحور العين . وذلك الشاب الراغب في البحث والطلب ، وقد جدَّ واجتهد ، وصبر وحرَّر ، وعاد من المطبعة حاملاً اجمل شيء في عينه ، اي ملازم اول كتاب عني بتأليفه . فما كورة مؤلفاته اجمل جمال في الوجود . حالة كون جيران ذلك المؤلف من فلاح وبقال لا يريان اية قيمة لاوراق ذلك الكتاب ، الا لصرّ الملح والقلفل أو لمسح أواني المطبخ بعد غسلها

قال نيتشه : الجميل والقبيح كلمتان من خصائص البيولوجيا : فما أضرّ الجنس حسبناه قبيحاً . وما نفع الجنس حسبناه جميلا . قال سندرلند : ليست السماء زرقاء لتسر نواظرنا ، ولكننا ألفنا زرقتها فحسبناها جمالاً . فالجمال قرين النفع . والدراهم يفوق جمالها نفعها في عين المعدم ، من ثمّ كان جمال النور والشعر والملمس الناعم . فالقبيح ما اضعف الحيوية وشوش الهضم والاعصاب . قال سنتايانا الفيلسوف العصري : الجمال لذة مجسة : وقال ستندهلد : الجمال هو الاستبشار باللذة : وبهذا القول نحا ستندهلد نحو هُبْز عن غير قصد

والجمال في الفرد كالجمال في المجموع ، لا يعنى به المرء الاّ وقد استفضل بعد الاكتفاء . فالحب يخلق جمالاً ، كما يخلق الجمال حبًّا . وكل ليلى هي أجمل بنات حواء في عين قيسها . فالجمال والحب قرينان ، فان يخلق هذا ذاك خلق ذاك هذا . واصلهما بحسب رأي ول دورنت مستقر في حفظ النوع ، ولا سيما في التوليد . يعني ان غرض الحب والباعث عليه العلاقة الجنسية . وهذه متى وجدت نحو شخص فاذا لم يكن ذلك الشخص جميلاً في ذاته خلقت له جمالاً . اعني جعلته جميلاً في عين من يحبه ، وان كان جميلاً في ذاته زادته جمالاً عليه ، فمظاهرات الجمال وجواذبه ليست الاّ ملابسات التوليد المقارنة عهد الاستعداد له ولذا حسبت جمالاً . فتورّد الخد ، وتقبب النهد ، واعتدال القد ، وترعرع الصدر ، ودقة الخصر ، وصقل النحر ، وريا المخلخل ، واستدارة الكفل ، ونبت العذار في الذكر — هذه الامور وامثالها — حسبت جمالاً لانها ظاهرات تصحب طور الصلاحية للتوليد وتدل عليه . قيل الذكر للانثى هو خالق الجمال الاول : فليس جمالها انشأ حبه . بل حبه انشأ جمالها . وكل ما صحب عهد البلوغ من الظاهرات فهو جمال مستحب . كذلك التستر بالثياب هو من مزيدات الجمال ، لأن الثياب تستر ما يميل المرء الى رؤيته . فهي نوع من الصد ، والصد من مزيدات الوجد . فكما أن السفور يزيد المرء هياماً في من يحبها جمالة ، كذلك التحجب يزيد المرء رغبة فيهنّ

والمرأة في عرفنا مثل الجمال الاعلى . ولماذا ؟ . لانها مصدر التوليد ، مصدر الجنس ، ومحور آماله ، ومحط رحاله . فلم نحبها لجمالها ، بل رأيناها جميلة لأنا نميل اليها ونحبها . جاء في رواية تايس ما نصه . انا جمال الانثى . فأنّى تهرب مني يا ارعن ؟ فانك تراني حيثما التفت ، وأينما اتجهت ، فتراني في نضارة الازهار ، وميلان الاشجار ، وخرير الانهار ، وتغريد الاطيار ، وبهاء الاقمار . بل انك اذا اغمضت عينيك وسددت اذنيك فانك تراني حينذاك في ذاتيتك

كان شرخ الشباب جمالاً عند الاثينيين والاسبرطيين . لان ذلك آذن بالتوليد . فالجمال عندهم قرين القوة ، لذا كان الفن في عرفهم اكتمال الرجولة . اما عندنا فالفن هو اكتمال المرأة . فاذا استثار رجل حبنا فما ذاك الاّ لان فتاة الصداقة والاخلاص عندنا كما عند الاغريق من لوازم الحب المقدّسة

ولقد صارت المرأة مثل الجمال الاعلى لانهُ يحبها اكثر مما تحبُّه . وشدة رغبته فيها تزيدها في عينه جمالاً . وقد قيلت هي شهادته — انها أجل منه — لانها تؤثر ان تكون محبوبة على ان تكون مالكة لذا هي تضحي بما يثير هيامه بها . أما هي فبقوته تحمى لا بجماله . فهي تؤثر قوته ، لأن تلك القوة ضامنة سلامتها واطفالها . والدليل على أن الحب خالق الجمال فتورنا في حب من امتلكنا زمامها ، مع كونها لا تزال جميلة ، لذا قيل ان الزواج يقتل الحب . على أنا ما دمنا نحب جمال المحبوب لا يذبل . بهذا الاعتبار الحب حياة الجمال ، لا الجمال حياة الحب

جمال الطبيعة

المحبة علة الجمال لا معلوله . والاصل في الجمال جمال الاشخاص ، لا جمال الاشياء . اما جمال الاشياء فهو فرع عن جمال الاشخاص . فكيف نعلل جمال اشياء كثيرة لا علاقة لها بمحبتنا ، كقوس قزح ، وحدائق الورود والازهار ، والشلالات ، والاودية ، والقصن الرطيب ، وما لا يحصى من انواع الجمال في العالم الخارجي ؟

الجواب : كما ان لكل كلة في قاموسنا معنيين ، الواحد اصليٌّ اوليٌّ ، والآخر فرعيٌّ ثانويٌّ ، هكذا في رغباتنا ما هو اولي اصليٌّ ، وما هو ثانوي فرعيٌّ . فقد تطور الجهاد لاجل القوت فنشأ منهُ البأس والميل الحربي . وتطورت عاطفة حب الجمال الانساني ، او بالحري فاضت ، فتخطت الاشخاص الى الاشياء . فحبنا الطبيعة فرع حبنا الاشخاص ، وناشىء عنهُ . فنحن لا نحب قامتها المشوقة لانها تشبه الغصن الاملد . بل احببنا الغصن لانهُ يشبه قامتها . ولم نحب وجنتها لانها تشبه الورد . بل احببنا الورود لانها اشبهت وجنتها . فترى ان النعومة والاستدارة ليست جمالاً في الذات ، والا فرمز الكمال عند ارسطوطاليس المربع لا الكروي فنحب الاستدارة والنعومة والبضاضة ، لان هذه الاوصاف من مزايا من نحبها ، وهي الكاعب وما فوق الكاعب من ربات الجمال

كذلك الاصوات الشجية ، التي لها رنة تأسر القلوب ، وكل ما هو لطيف ورقيق في الكون هو جميل في اعيننا لانه يمثل لنا بعض مزاياهنَّ . فحبنا اياهن جعل ما يماثل اوصافهن جمالاً في اعيننا بل انه قادنا الى الاعتقاد في جمال اوصافهنَّ وما ماثله في غيرهن من الاشياء . فلم تكن عين المها جميلة الاَّ لانها اشبهت عين مياّ

ما رأت مثلكِ عين حسناً وكمثلي بك صبًّا لم ترَيْ

فالصوت الشجي استفزاز جنسي في آذان الرجال . على ان الصوت لم يستقل بالاتصاف بالجمال واثارة الحب ، وان كان حضوراً . فهنالك اللحن والايقاع ، وما فيها من حفز والحاف واستفزاز ، لايقاظ العواطف للحب

فالموسيقى تلطف خشونة طباعنا ، وترفعنا الى الملأ الاعلى فتخفف الالم ، وتحسن الهضم ، وتعقل المجنون وتقود الجندي مختاراً الى الموت في ساحات القتال

ولقد اقترن السمو بالجمال (كست) اقتران الانثى بالذكر ، فهو اكثر رغبة في الجمال منه في السمو . وهي اكثر رغبة في السمو منها في الجمال . لذا كان السمو ضالتها المنشودة ، والجمال ضالته المنشودة . من هنا كان حبها للسامي في الرجال . قالت احداهن لاحدهم ، لم اكن لاكترث لك لو انك رجل عادي . انما اتاكلفة بك لانك عبقري وذو همة شماء

اما هو فيقول لها :

قوامك فتّان وطرفك احور ووجهك من ماء الملاحة يقطر

لذا كانت الانثى ارق من الذكر ذوقاً اذا صح هذا القول

جمال الفن

فاض حبنا ، وتخطى الاشخاص الى الاشياء ، فانتهى ذلك بانشاء الفن . واليك البيان . حمل الذكر في مخيلته صورة حبيبته ، فقرن تلك الصورة بمشهد جميل الكل ، هذا هو الفن فالفن مولدان بيولوجي وتاريخي

١ — بيولوجيًّا . يتولد الفن من غناء القرين ورقصه وجهوده في احراز الازدهار الذي يستميل العاشقين ويستهويهم

٢ — تاريخيًّا . يتولد الفن عن التطرئة والوشم وخشن الجسوم والتزين بالملابس على انواعها . ولا سيما ما كان منها فضفاضاً آذناً برؤية الزندين ، والنهدين ، وما فوق الكعبين . ولكن التطرئة الى حين ، والثياب فانية ، فآثر شعب عريق بالخلود كالاغريق اثراً خالداً . فرسم رموز حبه ، وصور آراءه وعواطفه في تماثيل منحوتة خالدة . هذا هو مولد الفن . وبهذا الاعتبار يكون الحب خالق الفن كما انه خالق الجمال . فالملابس تراد بها الزينة اولاً ، لا التحفظ او الاحتياط الصحي . قال دارون انه لما اثر في نفسه تحملهن البرد القارس في فيجي ، عطف عليهن وأمدهن بالاقمشة لوقاية جسومهن من قرس البرد . فما كان منهن الا انهن مزقن تلك الاقمشة شرائط مستطيلة ووزعنها بعضهن على بعض ، للزينة . اليس ذلك ما تفعله الحسان في اوربا واميركا ؟ فانهن يلبسن الفرو صيفاً ، ويحسرن النحر والزندين شتاء . فالملابس عندهم للزينة اكثر مما هي للصحة

***

ولما فرغ الانسان في العصور الخالية من تزيين جسمه عمد الى تزيين الاشياء كالحراب والانصاب والصروح ونحوها . فأفضى به ذلك الى الانصاب والتماثيل . ألا ترى ان ذلك هو الفن . ومع ان

الديانة ليست مصدر الجمال فقد ضحت في سبيل الفن اكثر من كل مضح الا الحب . فالحب اعظم المضحين في سبيل الفن . والفن مدين للحب اكثر مما هو مدين للديانة . فلم تكن الانساب والتماثيل الراقية في عهد المدنية الا ارتقاء عاطفة حب الجمال بعد عهد البداوة والخشونة . ولم يعن المثال بالحب الا بعد ارتقاء الفن ، فتيفياس دائماً قبل بركستيلس ، هو ناموس عام في كل عصر وفي كل مصر

الجمال الوضعي

بقي في ميدان البحث امامنا المسألة الاساسية وهي : هل للجمال وجود في الخارج ؟ او هو من صور الخيال ؟

من الناحية الواحدة نرى الجمال مختلفاً في مختلف الامم في عصر واحد ، او في الامة الواحدة في مختلف العصور . مثال ذلك ان الجمال عند الهوتنتوت يبدو في ضخامة الشفتين ، وندوب الوشم الازرق . وعند اليونانيين في القوة والاتزان . وعند الرومان في السمو . وفي عصر الاحياء في الالوان وعندنا اليوم في الموسيقى والرقص . ويؤثر اهالي تاهيتي فطس الانوف لذا هم يضغطون على أنوف اطفالهم لاجل الجمال . والمياس — سكان مريدا في مكسيكو — يحرمون الانوف ويتخزمون كما انهم يخددون اسنانهم ويطمسونها . وقد دهش منجو بارك لما علم ان الزنوج يكرهون بياض بشرته

وحتى عند الاوربيين يختلف الجمال في عصر عنه في عصر آخر . فقد كانوا فيما مضى يؤثرون ضخامة الجسم ، بل في عهد الاحياء كانوا يؤثرون الجسوم المثلثة . أما اليوم فانهم يؤثرون الجسوم الهيف

بهذا الاعتبار نرى ان الجمال انما هو في العقل لا في الخارج ، وفي عين الناظر لا في المرئي الجميل . ولكن هنالك مبدءاً واحداً عاماً مطلقاً في الجمال ، وهو ما لابس عهد التوليد ، أو ارتبط بالتناسل . فكل آلة تصلح لما وضعت له هي جميلة . واذا لم تخدعنا النظرة فالجمال أمر بيولوجي . فأجمل منظر في عيوننا الفتاة في عهد البلوغ . او المرضع وعلى صدرها طفل مملوء صحة ورونقاً . فالجمال كما ارادته الطبيعة هو ازدهار الصحة ونضارتها وسلامة النسل . وهو ما آل الى سلامة الجنس . لا الى وهنه . وكل ما اضعف الجسم وحط من شأن الجنس فهو غير جميل

***

قال إبليس وحكمه جدير بالاعتبار ، بناء على اختباراته الكلية . الجمال مستقل عن الناظر . اي انهُ يرى ان الجمال شيء في الذات لا في العقل . وهو يستند في ذلك الى عمومية استحسان المماثلات عند كل الأمم . وحتى هذا مردود وفيه مناقضة للاستقراء كما هو معلوم . على ان فلسفة الجمال والاخلاق قرينان . وبذا توافق استنتاج افلاطون : — مبدأ الخير يرجع الى ناموس الجمال

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

[اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية ترتيبها في معجم والآن عنّ لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغراء في بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدمياطي]

الكَمْأة

واحدة (الكَمْء) مثل تمرة وتمر وقيل إنها تطلق على الواحد والجمع ويتنازع اللغويون مفردها وجمعها في كلام كثير وهي معروفة للعرب بهذا الاسم ويسمونها (نَبات الرَّعد) و(جُدَرِيّ الارض)

وهي ضرب من النبات الفُطْرِيّ لا ورق لها ولا ساق توجد في الارض من غير ان تزرع وطريقة تكاثرها لم تعرف تماماً حتى الآن رغماً عن مشاهدة غبيراتها (جراثيمها)

ويظن بعض النباتيين أن القوارض من الحيوانات اللبونة كالفار والارنب تهتدي اليها بسبب رائحتها وتأكلها فتنقل بواسطتها الغبيرات مع البراز من مكان الى آخر فيكون من ذلك انتشارها وتنقل جراثيمها

والمأكول منها درنات تنمو تحت الارض شحمية او صلبة مرداء او على سطحها شعيرات قصيرة ملساء او حلمات او ثآليل وتكون عند كمال نموها ذات رائحة خاصة ويشاهد في القِدَّة منها مثل عروق الرخام وهذه العروق على نوعين نوع ابيض عقيم (غير مثمر) والثاني ملوّن ملتو يحيط به نسيج برنشيمي مثمر لونهُ شاحب. واما الغبيرات فتوجد داخل زقاق بيضية او كرية في كل منها اربع او اكثر او اقل والغبيرات نظراً لصغرها المتناهي لا ترى بالعين المجردة بل بالمكرسكوب وسطحها شبكي وهي شبيهة بالنخاريب (الثقوب) التي في قرص عسل النحل

ويعرف من الكمأة نحو خمسين نوعاً اغلبها اوربي والباقي في امريكة الشمالية والجمهورية الفضية وجبال حمالايا وشبه جزيرة ملقا وجزيرة سيلان وغيرها وهي مقسمة اقساماً كثيرة منها قسمان فقط

يشملان الانواع الجيدة التي تؤكل

واسم جنسها العلمي (Tuber) (توبر) وفصيلتها الكثية (Tuberaceas) (توبراسية) وبالانجليزية (Truffle) وبالفرنسية (Truffe)

فمن الانواع الجيدة : —

(١) (Tuber aestivum, Mich.)(توبر ايستيوم) وبالانجليزية (Common or Spring Truffle) وبالفرنسية (Truffe de Bourgogne, ou de champagne; Truffe blanche) وهو ينبت في الغابات ذات الشجر المتساقط الاوراق بشمال ايطاليا وفرنسا والمانيا وغيرها ويوجد بكثرة في أسواق اوربا

(٢) (Tuber uncinatum) (توبر انسيناتوم) وبالانجليزية (Autumn Truffle) وبالفرنسية كالسابق

(٣) (Tuber magnatum, Pico.) (توبر ماغناتوم) وبالانجليزية (Grey Truffle) وبالفرنسية (Truffe grise ou T. blanche d'Italie et de la Provence) وينبت في جنوب اوربا بايطاليا ومقاطعة بروفانس بفرنسا وسطح درناته املس ورائحتها كرائحة الثوم وهو نوع مرغوب فيه

(٤) (Tuber melanosporum, Vitt.) (توبر ميلانوسپوروم) وبالانجليزية (Perigord or Winter Truffle) وبالفرنسية (Truffe du Périgord) وينبت في ايطاليا والمانيا وجميع انحاء فرنسا وهو كمأة الشتاء المرغوبة وطعمها كطعم الشليك

(٥) (Tuber brumale, Vit.) (توبر برومالي) وبالانجليزية (Perigord or Winter Truffle) وبالفرنسية (Truffe musquée ou T. du Périgord)

(٦) (Tuber rufum, Pico.) (توبر روفوم) وبالانجليزية (Red Truffle) وبالفرنسية (Truffe rouge) وينبت في أرض الكروم

(٧) (Tuber albidum, Cesa.) (توبر البيدوم) وهو مثل توبر ايستيوم في احماله

(٨) (Tuber album) (توبر البوم) وبالانجليزية (The great White North-American Truffle) وبالفرنسية (Grande truffe blanche de l'Amerique du Nord) وهو أبيض كالثلج وطري كالجبن

(٩) (Tuber cibarium, Sibth.) (توبر سيباريوم) وبالانجليزية (The Black Truffle) وبالفرنسية (Truffe noire) وينبت في وسط اوربا وجنوبها في الغابات التي أرضها جيرية وقد تبلغ درنته زنة رطل ويستعمل من التوابل أو يحمس ويؤكل غذاء طيباً

هذه أشهر الانواع وهي لا توجد بذاتها في بلاد الجزائر وتونس وجزيرة سردانية وغيرها وانما يوجد أنواع اخرى أقل جودة منها دوناتها كبيرة يقال لها (ترفا) (terfa) أو (ترفاس) (terfas) أو (قامس) (kames) تابعة لجنسي (Terfezia) (ترفيزيا) و (Tirmania) (تيرمانيا) من فصيلة اخرى تسمى (Terfeziaceae) (تيرفيزياسية) تعرف العرب مواضعها من تفطر الأرض عنها فتستخرجها وهي مغذية ايضاً لوفرة المادة الزلالية (البروتيلية) فيها

اما جمعها باوروبا فيقوم به رجال مختصون يرتزقون من ذلك فاذا جمعت اكلت طازجة أو محفوظة

وكانت الكمأة معروفة عند العرب وفي الصدر الاول من الاسلام امتدحها النبي صلى الله عليه وسلم فقد اخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ان ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الكمأة جُدَرِيّ الأرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين . والمراد بكونها من المن انها من المن الذي انزل على بني اسرائيل وهو الطل الذي كان يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلواً (الترنجبين) فكأنهُ شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفواً بغير علاج . وقيل إن المراد انها من المن الذي امتن الله به على عباده عفواً بغير علاج فهي شيء ينبت من غير تكلف بذر ولا سقي فهو من قبيل المن . وقيل المن الذي انزل على بني اسرائيل كان أنواعاً منه ما يسقط على الشجر كالطل ومنه ما يسقط عليهم عفواً بغير اصطياد كالسلوى ومنهُ ما يخرج من الارض كالكمأة . والمن مصدر بمعنى المفعول اي ممنون به . فلما لم يكن للعبد شائبة كسب كان منّاً محضاً وان كانت جميع نعم الله على عبيده منّاً منهُ عليهم لكن خصَّ هذا باسم المن لكونه لا صنع فيه لاحد فجعل سبحانه قوت بني اسرائيل في التيه الكمأة تقوم مقام الخبز والسلوى تقوم مقام اللحم والطل يقوم مقام الحلوى فكمل بذلك غذاؤهم . فقوله في الحديث الكمأة من المن اشارة الى انها فرد من افراده فالترنجبين فرد من أفراد المن وان غلب استعمال المن عليه عرفاً ولا يعكر على هذا قولهم لن نصبر على طعام واحد لان المراد بالوحدة دوام الاشياء المذكورة من غير تبدل لاعيانها . وفي الحديث وماؤها شفاء للعين يفسره ما ورد في مفردات الغافقي (المتوفي سنة ٥٦٠ هـ) ان ماء الكمأة اصلح الادوية للعين اذا عجن به الإثمد واكتحل به فإنه يقوي الجفن ويزيد الروح الباصر حدة وقوة ويدفع عنها النوازل . وقد ذكر ابن سينا وغيره من أفاضل الاطباء ان ماء الكمأة يجلو العين انتهى ملخصاً من فتح الباري شرح البخاري

***

شجر الأُتْرُجّ

وتقول العامة (الأُتْرُنج) و(التُّرُنج)

ترتفع الشجرة الى ستة امتار قصيرة الاغصان شائكة او غير شائكة اوراقها كبيرة متماسكة

مستطيلة كثيرة الغدد الزيتية وتشاهد عليها كالنقط وحافاتها مسننة وأزهارها عديدة التزاوج في لون أرجواني من الخارج وفي إبط كل ورقة زهرات من ٥—١٢

واسم ثمرها بالفرنسية (Cédrat ou Pomme de Medie) ومعناه أترجة ميديا او تفاحتها وهي التي كانت تعرف عند الرومان باسم (Mala Medica) (مالا مديقا) كبيرة الحجم متألقة (ذات ارتفاعات وانخفاضات) وسطح قشرها اصفر مبيض او ذهبي اللون ويليه طبقة بيضاء ثخينة ويلي ذلك اللب وهو قليل المادة قليل الحموضة على خلاف الليمون

اسمها العلمي (Citrus Medica, L.) (سيتروس مديقا) وفصيلتها السذابية (Rutaceae) (روتاسية) وبالانجليزية (Citron Tree) وبالفرنسية (Cédratier)

ويعتبرها علماء النبات اصلاً لكل انواع (الموالح) وبينها وبين شجر الليمون شبه ففي كثير من اصنافه يكون ثمره شعشبياً ثخيناً يشبه ثمرها

والاترج موطنه القديم بلاد ميديا وبلاد فارس وينبت بطبيعته في الهند وجبال حالايا والآن يزرع في جزائر صقلية وقورسيقا ومادورة ومصر وغير ذلك

وهو بالنسبة الى ثماره ثلاثة أقسام :

(١) الاترج الشبيه بالليمون واسمه بالفرنسية (Cédratier limons) ومنه نوعان ثخين القشرة (Cédratier à grosses côtes) وليموني الشكل (Cédratier limoniforme)

(٢) الاترج الحقيقي واسمهُ بالفرنسية (Cédratier proprement dits) ذو الثمرة المسحجة ذات الاخاديد ومنهُ أترج فلورانسة (Cédratier de Florence) واترج سالو (Cédratier de Salò)

(٣) أترج بونسير او الاترج الدرني واسمهُ بالفرنسية (Cédratier Poncires) ذو الثمرة الكبيرة الدرنية الشكل والرغبة في اصنافه قليلة

وعلى الاجمال فالمنتفع بهِ من الاترج انما هو الجزء الابيض او شحم الثمار في عمل (المربات) ويحصل من قشور هذا الثمر على عطر طيار ذكي الرائحة يدخل في ماء الكولونيا ويؤخذ من لبه عصير يستعمل كعصير الليمون في بعض البلاد . والاترج يوجد في بلاد العرب وقد وصفهُ النباتيون الاقدمون واطنب اطباء العرب في خواصه ونقلوا فيه أقوال القدماء . قال ابن سينا إن حماض الاترج يقوي القلب الحار المزاج وينفع من الخفقان الحار وفيه ترياقية تنفع من لسع الافاعي والحيات وانهُ نافع من اليرقان ويكتحل به فيزيل يرقان العين وعلى الجملة فنافع الاترج كثيرة حسبما وصفه اطباء العرب فانهم جعلوا لكل من قشره ولبه وحمضه وبزره منافع كثيرة لا يتسع المقام لسردها . وكانت العرب تحب رائحته والنظر اليه لما في منظره من جلب الفرح

وقد ضرب النبي صلى الله عليهِ وسلم المثل للمؤمن الذي يقرأ القرآن بالاترجة طعمها طيب وريحها طيب كما ورد في الصحيح

سفن جوية كالقنابل

تشقُّ الفضاء كالصواريخ

علم الملاحة بين النجوم

ان موضوع التخلُّص من قوة الجاذبية ، والانطلاق في الفضاء بين السيارات والنجوم ، موضوع شغل به العلماء والكتَّاب من اقدم الازمنة . وفي سنة ١٨٦٥ كتب اتيل ايرو وهو من معاصري جول فرن الفرنسيّ كتاباً موضوعهُ « من الارض الى القمر » اقترح فيهِ استعمال « صاروخ » للطيران من الارض الى القمر . اما جول فرن فقد تخيَّل رؤاد السماء سائرين في قذيفة كقذائف المدافع تنطلق بتفجُّر مقدار من المواد المفرقعة . فنظر كبراء العسكريين الى اقتراحهِ هذا شزراً هازئين بهِ . ولكن اقتراح ايرو كان صواباً في مبدإه ، على ما اثبتت التجارب الحديثة في المانيا وغيرها

وفي سنة ١٩٠٧ عني مهندس فرنسي بحساب مقدار الطاقة اللازمة لقذف جسم معيَّن ، بسرعة معيَّنة ، الى القمر ، او الى الزهرة ، او الى المريخ . هذا المهندس هو المسيو روبير اينو بلتري احد ابناء فرنسا الممتازين ومن اذكى مهندسيها واشهر معمعي محركات الطيارات في خلال الحرب الكبرى . وقد نشر حساباتهِ الخاصة بالطيران بين السيارات ، في سنة ١٩١٣ بعد ما عرضها على الجمعية الطبيعية الفرنسية . وفي السنة السابقة كان الدكتور اندره بنغ البلجيكي قد نال امتيازاً لآلة تمكنهُ بحسب قوله من زيادة طبقات الجوّ بلغ الهواء من اللطافة ما بلغ

وفي سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ حسب الاستاذ غودَرد الاميركي — وهو من اعلام هذه المباحث — حسابات دقيقة شجعتهُ على محاولة تحقيق فكرهِ في سنتي ١٩١٥ و١٩١٦ في جامعة كلارك الاميركية فرجد انهُ في الامكان صنع صاروخة تصل الى القمر وعند وصولها تشعل مقداراً من مسحوق المغنيزيوم فيضيء بنور لامع تمكن مشاهدتهُ من الارض باقوى النظارت المقربة . ثم عني ثلاثة من الالمان وهم اوبرث (وهو من اصل روماني) وهوهمن وما كس فاليه بدراسة الموضوع كلٌّ على حدة . فوصلوا الى نتائج لا تختلف اختلافاً كبيراً عن النتائج التي وصل اليها اينو بلتري وغودَرد

ومن بضع سنوات اطلق الروائي الفرنسيُّ روسني لفظ « استرونتكس » على هذا الضرب من المواصلات ومعناهُ « الملاحة بين النجوم » وهو يقابل لفظ « ايرونتكس » اي الملاحة في الهواء

***

وقد مضت سنوات وبعض المخترعين يحاولون أن يصنعوا طائرة تنطلق في الفضاء كالسهم أو كالصاروخ . وذلك بأن يوضع في أنابيب او اسطوانات في مؤخرتها مواد متفرقعة شديدة التفرقع . فاذا انفجرت هذه المواد رويداً رويداً انفجاراً منتظماً ، وخرجت الغازات التي تتولد من هذا الانفجار

من ثقوب في مؤخرة الانابيب بقوة عظيمة دفعت بخروجها الطائرة في الجهة المقابلة

هذا هو المبدأ . اما تطبيقه أي بناء الانابيب المتينة التي تتحمل ضغطاً عظيماً كالضغط الناشيء عن مثل هذا الانفجار ، وصنع المادة المفرقعة المثلى ، وبناء الطائرة المناسبة لهذا النوع من السير ، واعدادها حتى تتوافى الجسم الانساني — كل ذلك أمور صعبة لا يمكن تحقيقها بين ليلة وضحاها . وقد اقتضت من أعلام المخترعين وشجعانهم ثمناً فادحاً دفعه معظمهم بحياته

ومع ذلك لا يني هؤلاء عن التجربة والامتحان وقد قطعوا حتى الآن شوطاً لا بأس به نحو تحقيق ما يرمون اليه

فقد ذكر كاتب انكليزي اسمهُ وليم مكبين انهُ ذهب الى المانيا ، الى مطار السفن السهمية وهو على خمسة أميال من برلين ، لاستطلاع ما تم في هذه الناحية ، فطالعه أولاً برج ذو ثلاث قوائم متين البناء يستعمل لاطلاق السفن السهمية منهُ في الفضاء

والسفن السهمية التي تجرب الآن ليست مما يستعمل لنقل مسافر أو اكثر ، بل هي تحتوي على أدوات علمية مختلفة لقياس الحرارة والسرعة وغيرها من الظاهرات الطبيعية . ثم أن في مقدمة الطائرة « مظلة » (باراشوت) لانهُ اذا نفد المركب المتفرقع من انابيب الطائرة وأخذت تهوي الى الارض وجب ان يكون لها ما يحول دون سقوطها كنيزك منقضّ فتتحطم الآلات التي فيها

***

في المطار ستة مهندسين قلما يسمع اسم احدهم الا في دوائر خاصة . وهم في الثلاثين من العمر في الغالب ، ويمثلون الشباب الالماني أحسن تمثيل . تراهم يذهبون ويجيئون بين المواد المفرقعة والغازات السائلة من دون كبير اهتمام مع ان الموت كامن في كل دقيقة من دقائقها

وعلى مقربة من المطار بناية صغيرة رأى فيها الكاتب الانكليزي ميكانيكيين مرتدين أثواباً من حجر الفتيلة (اسبستوس) التي لا يحترق وهم يملأون اسطوانات معينة بالاكسجين السائل وخارج البناء صفوف من اكياس الرمل يقف وراءها العلماء والمهندسون عند اطلاق السفينة السهمية في الفضاء ليدرأوا بها ما قد يصيبهم من شظايا اذا انفجر أنبوب من الانابيب المحتوية على المواد المفرقعة

والمواد المفرقعة التي تستعمل في هذه التجارب صنفان . الاول جاف وهو مبني على أساس من البارود والثاني سائل وهو في الغالب مزيج من الكحول والاكسجين أو البترول والاكسجين . والصنف الثاني أعنف فعلاً وأشد تفجراً من الاول بل هو يفوق اشد المفرقعات في ذلك

وقد يسأل القارىء عن نتيجة كل هذا التجريب والامتحان والتعرض للخطر . والواقع ان الكاتب الانكليزي سأل السؤال نفسه فقيل له ان طائرة من هذه الطائرات قد حلقت الى علو ستة اميال وهي نتيجة لا بأس بها مع انها لا تقابل بتحليق بكار البلجيكي الى علو عشرة اميال ببالونه . ولكن يجب ان نذكر ان هذه السفن السهمية تنطلق بسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة لان الغرض منها انفلات الطائرة من

فعل جاذبية الارض وان هذه خطوة اولى فقط . فطائرة ريط الاول لم تطر يوم ١٧ دسمبر ١٩٠٣ اكثر من ثانيتين ولم تقطع الا مئات من الامتار

واذ كان الكاتب واقفاً يوجه السؤال الى السؤال مستطلعاً فقدم له رجل قوي البنية وقيل له ان هذا هو الرجل الوحيد الذي طار بطائرة سهمية وعاد الى الارض سالماً يحدث بما رأى وشعر

كانت الطائرة من صنع شقيقه الاخر برونو فشر . فبعد ان اتم شقيقه صنعها نقلها في تكتم شديد الى جزيرة روغن في بحر بلطيق ولم يدر أحد في المانيا بهذه التجربة الا زعماء الريخسفهر

وفي يوم احد من شهر اكتوبر ١٩٣٣ صافح اوتو فشر شقيقه برونو وبعض رجال الريخسفهر الذين جاءوا خاصة لمشاهدة التجربة ودخل الطائرة من باب فولاذي ثم انسحب برونو شقيقه ومعه الى خندق في الارض على بعد مائتي متر من البرج ثم ضغط على الزر الذي اطلق الطائرة في الفضاء

فبرق بريق يبهر الانظار وحدث دوي يصم الآذان وانطلقت الطائرة وهي بشكل الطوربيد او السيجار كأنها سهم يشق الفضاء وبعد بضع دقائق رئيت الطائرة عائدة الى الارض عوداً وئيداً بفعل المظلة المتصلة بها واذ اقتربت من الارض شوهدت زعانفها الفولاذية تتحرك فادرك المشاهدون ان الرجل حي في داخلها وانه يتحريك هذه الزعانف يوجه الطائرة حتى لا تسقط في البحر

فلما استقرت على الارض على مقربة من اكياس الرمل فتح الباب وخرج الرجل ممتقع الوجه مهزوز الاعصاب ولكن ثغره كانت تعلوه ابسمة الظفر

وكانت رحلته هذه قد استغرقت تحليقاً ونزولاً عشر دقائق وستاً وعشرين ثانية

***

فسأله الكاتب : وبم احسست . فقال شعرت اولاً دوياً هائلاً ثم شعرت بضغط عظيم على جسمي متمركز في ارض الطائرة ثم فقدت وعيي لان سرعة الطائرة العظيمة دفعت جانباً كبيراً من الدم الذي في عروق الرأس والدماغ ولما استعدت وعيي ونظرت الى مقياس العلو رأيته وقد سجل ٣٢ الف قدم . ثم بدأت الطائرة تسقط الى الارض بسرعة فنظرت من نافذة صغيرة الى جانبي فرأيت المظلة وقد بدأت تنفتح فعلمت انني عائد سليماً الى الارض

ومما استرعى نظري الحرارة الشديدة في أرض الطائرة وهي مصنوعة من حجر الفتيلة . وبعد ان قال كلمة عن طريقة تحريك الزعانف ختم حديثه بقوله « ولا يخفى انني سررت سروراً عظيماً بعودتي سالماً »

***

ثم هناك مهندس المانيا يدعى برهانس فنكلر ، مضى عليه بضع سنوات ، وهو يحاول ان يحقق امنية قديمة له . وهي الوصول الى القمر بطائرة سهمية . ومن نحو ثلاث سنوات ، أتم بناء هذه الطائرة ، ونقلها الى سهل رملي فسيح في روسيا الشرقية . وكان طول الطائرة ست اقدام وقطرها ١٨ بوصة وكان الوقود المتفجر في انابيبها خليطاً من كحول الخشب والاكسجين السائل ، وكان قد اتفق

٧٥٠ جنيهاً على بنائها . فلما تمت المعدات ، اطلقت هذه الطائرة فارتفعت مسافة خمسين قدماً تقريباً ثم انفجرت احدى حجراتها الداخلية ، وسقطت على الارض قرب الخندق الذي توارى فيه صاحبها وصحبهُ ، لمراقبة التجربة عن كثب من دون ان يتعرضوا لخطر ما . والواقع ان هذا الانفجار لم يؤذ احداً ، ولكنهُ غطى المنطقة المحيطة بالمطار بسحابة قاتمة من الدخان

واذا حاولت ان تستطلع طلع الدكتور فنكلر في هذا الصدد رأيتهُ الآن اميل الى الحرص ان لم نقل الى الكتمان . فهو يقول انهُ كسب شيئاً كثيراً من الخبرة من تجربتهِ الخائبة . وقد قسّم الكاتب الانكليزي الصراف المستنبطين عن استعمال الوقود المتفجر الجاف ، اي القائم على اساس من البارود واقبالهم على استعمال الوقود المتفجر السائل القائم على اساس الاكسجين السائل . فضرب له مثلاً بطائرة سهمية لنقل مقدار معين من البريد مسافة معينة . فقال انها تحتاج الى نحو مليوني رطل من الوقود البارودي ولكنها تحتاج الى ٤٠٠٠ رطل من الوقود السائل في انجاز العمل نفسه . ولذلك ترى المستنبطين الالمان وقد اتجهوا الآن الى اتقان طائرة سهمية على هذا الاساس ، الغرض منها نقل البريد ثم يعمدون بعد ذلك الى الطائرة السهمية التي غرضها الرحلة بين السيارات

ومن نحو سنة تقريباً ذهب الى لندن مستنبط الماني شاب في السادسة والعشرين من عمره ، يدعى جرهارد زوكر ليعرض طائرة سهمية خاصة بنقل البريد وهي مصنوعة من الالومنيوم المغشّى بالفولاذ وتتسع لنحو الفي رسالة . وقد اتيح لهر زوكر من بضعة اشهر ان يجرب طائرتهُ هذه امام جمهور من المهتمين بهذا الضرب من الاختراع وكان بينهم لورد لندندري وزير الطيران البريطاني فلم تسفر التجربة عن نجاح تام . وضعت الرسائل في حجرة خاصة في مقدمة الطائرة وملئت الانابيب بالوقود وهو مركب وفقاً لوصفة وضعها الهر زوكر ولا تزال سرّاً مكتوماً . وكان الامل ان يستطاع نقل هذه الرسائل بالطائرة السهمية من احد ميادين « الجولف » في مقاطعة همشير الى جزيرة ويت على مقربة من شاطىء انكلترا الجنوبي . ثم اطلقت الطائرة فرقت في الفضاء كالسهم وسقطت على بعد ميلين من الميدان الذي اطلقت منه . وقد يبدو لبعض القراء ان تجربة كهذه لا تصلح ان تكون اساساً للبحث في رحلة الى القمر ولكن الاستاذ غرمنش الالماني يقول : « اني لواثق انه اذا حدث ما يضطرنا الى محاولة بلوغ القمر تمكنا من ذلك بالوسائل والمواد التي في متناولنا الآن . الاّ ان الرحلة الى القمر تقتضي منا مواجهة اختلافات شديدة في ضغط الهواء وحرارته والاصطدام ببعض الرجم المنطلقة في الفضاء بزخم شديد ولذلك اظن اننا لن نحاول ذلك لأن النفقة اعظم من ان تسوغهُ »

***

وطار الكاتب من برلين الى بروكسل فقابل الاستاذ بيكار وهو الرجل الذي حلق الى اعلى ما بلغه انسان بطيارة او منطاد فسأله في موضوع الطائرة السهمية فقال بيكار انهُ لا يرتاب في

اتقان الطائرة السهمية في المستقبل وعنده ان طائرة المستقبل سوف تكون وسطاً بين الطائرة المألوفة الآن والطائرة السهمية فتطير وهي في طبقات الجو السفلى بمحركاتها كما تطير الطائرات التجارية والحربية الآن، فاذا بلغت الطبقة الطخرورية حيث يتسبب على المحركات جرّ الطائرة في هواء لطيف كل اللطف، تطير بالطاقة المولدة من مادة متفجرة في انابيب خلفية خاصة اي تنطلق فيه كأنها سهم او صاروخ. وبذلك تستطيع هذه الطائرات ان تبلغ سرعة عظيمة جداً في الطبقة الطخرورية. الا ان المسافرين بالطائرات الطخرورية (stratoplanes) يجب ان يجهّزوا بوسائل واقية لتدفئتهم لان طائرة تكون منطلقة بسرعة فائقة في جوٍ حرارته ستون درجة تحت درجة الجمد تقتضي ذلك. ومن المؤكد ان هذه الطائرات يجب ان تكون سوداً حتى تمتص اكبر قدر من حرارة اشعة الشمس. فسأله الكاتب في موضوع الرحلة الى القمر فهزّ العالم رأسهُ وقال: ان الملاحة بين السيارات والطيران الى القمر وما اليه مسائل لم نجد لها حلاً وافياً حتى الآن ولا يحتمل ان نبلغ القمر الآن ولا في المستقبل القريب الا اني لا احسب الوصول اليه مستحيلاً والراجح اننا نحقق ذلك يوماً ما

— بالطائرة السهمية ؟

— طبعاً بالطائرة السهمية ! انها الوسيلة الفذة للطيران في هواء لطيف كل اللطف وادراك سرعة عظيمة تمهد لنا يوماً سبيل التفلت من جاذبية الارض. ان المباحث الحديثة في هذا الصدد قد جعلت الطيران بين القارات بهذه الوسيلة امراً وشيك التحقيق

***

والتقى الكاتب في مدينة ليون احد العلماء حماسة لموضوع الطيران الى القمر وهو الاستاذ ايزيدور باي مدير الجمعية الفلكية بمدينة ليون ومن اقواله في هذا الصدد ان التفلت من جاذبية الارض يقتضي ان تبلغ سرعة المقذوفة سبعة اميال ونصف ميل في الثانية وهذه سرعة تفوق اسرع الطيارات ستين ضعفاً اما مقدار الطاقة اللازمة لقذف ما زنتهُ كيلو غرام واحد بهذه السرعة فيجب ان يكون ١٥ الف وحدة حرارية

ثم قال الاستاذ باي ان العلماء لم يتوصلوا حتى الآن الى صنع مادة متفجرة تستطيع ان تولد هذه الطاقة ولكن كيلو غراماً واحداً من الراديوم يولد في خلال «حياته» ٣٠٠ مليون وحدة حرارية فاذا استطعنا ان نسرع تحول الراديوم اي اذا استطعنا ان نزيد سرعة انطلاق الطاقة منهُ كانت الطاقة الكامنة في كيلو غرام من الراديوم لقذف ما زنتهُ بضعة أطنان الى الفضاء ولكن غلاء ثمنهِ يظلُّ حائلاً دون استعماله

وليست الولايات المتحدة الاميركية والمانيا وفرنسا البلدان الوحيدة المعنيّة بهذا الضرب من الطيران ولكن ايطاليا وروسيا مهتمتان به اشد الاهتمام. الا ان الكاتب الذي نقلنا عنه لم يتح لهُ السفر اليهما ليوصف بعض ما تجري على ايدي علمائهما في هذا الصدد ولعله يفعل ذلك قريباً

قصة كتاب لورنس

«اعمدة الحكمة السبعة»

في وصف الثورة العربية

اصرَّ هوغارث[1] على لورنس بان التاريخ يقتضي منهُ انشاء كتاب جدير بذكرى الثورة العربية . فسلّم لورنس بذلك متلكئاً . ولكنهُ لما سلّم بهِ اقبل على إنجازه بنفس الاندفاع الذي امتاز بهِ في معاركها

قلما نجد كتاباً عظيماً انشىء ومؤلفهُ موزّع الفكر كما كان لورنس عند انشاء هذا الكتاب . بل ان اصولهُ فقدت مرتين ، الاولى في روما لما تحطمت الطيارة التي كان لورنس مسافراً بها الى الشرق الادنى وكان لا يزال في مستهلّه ، والثانية عند الانتقال من قطار الى آخر في محطة ردنغ بانكلترا وهو ذاهب الى اكسفرد ، وكان قد اوشك ان يتمّهُ

ما كاد يضع لورنس منهجاً لفصول الكتاب حتى تبيّن له انهُ في حاجة الى مراجعة اوراقهِ ويومياتهِ وكانت لا تزال في القاهرة . فعرض عليهِ الجنرال غروفز مندوب بريطانيا الجوّي في مؤتمر الصلح ان يسافر في احدى طائرات السلاح الجوّي ، وكانت طائفة منها متجهة الى الشرق الاوسط لتخطيط المواصلات الجوية الامبراطورية . فكتب لورنس مقدمة « الاعمدة السبعة » في الطائرة وهي محلقة فوق نهر الرون بين باريس ومرسيليا ولم يكد يتمها حتى تحطمت الطيارة التي كان فيها عند وصولها الى روما ، فقتل سائقها ونجا هو لانهُ كان جالساً وراء المحركات بعد ان رفض دعوة السائقين الى الجلوس بينهما . فنجا بحياته ولكن ثلاثاً من اضلاعه كسرت وكذلك عظمة ترقوته واخترقت احدى الاضلاع المكسورة رئتهُ وقد ظلّ اثر ذلك يبدو فيها على اثر اي جهد كبير يبذله

لم تكن هذه الحادثة الفردة التي نجا فيها من الموت بل ان لورنس قال للكابتن ليدل هارت — ونحن نلخص عن كتابهِ الموسوم ت . ي . لورنس — انهُ نجا سبع مرات من حوادث مميتة في خلال معالجتهِ الطيران وكانت حادثة روما سادستها . وقد نجا مرتين اخريين على الاقل من حادثتي اصطدام خطيرتين لانهُ كان شديد الميل الى السرعة وهو محترف دراجته الخاصة وكانت من احدث طراز في « الموتوسيكلات »

---

(١) هو دايفد جورج ١٨٦٢ — ١٩٢٧ عالم أثري انكليزي وكان رئيساً لبعثة إنجليزية الملكية وأميناً للمتحف الاشمولي في اكسفرد ، ومديراً للمكتب العربي في القاهرة خلال الحرب الكبرى وصديقاً حميماً للورنس

بعد ان لبث يومين او ثلاثة ايام في احد مشافي روما تحدث تلفونيًّا مع رفيقه في الحرب فرنسيس رُدْ نجل السر رنل رُدْ وكان السر رنل حينئذٍ سفيراً بريطانيًّا في عاصمة ايطاليا فنقل لورنس الى السفارة وبعد بضعة ايام اصرَّ على مواصلة السفر الى مصر مع سائر طيارات السرب. وكان عند مغادرته روما لا يزال في جباتر الجبر ، ولكن الحوائل التي حالت دون الاسراع في وصول الطيارات الى مصر مهّدت له فترة للراحة فالشفاء

فلما انتصف الصيف كان قد عاد الى باريس فنقل سكنهُ بعيد وصوله الى مقرّ الوفد العربي في دار قرب «بوا ده بولون» وهناك اكبَّ على عمله. وقد قال لورنس انهُ كان يكتب في فترات قد تطول احداها حتى تبلغ اربعاً وعشرين ساعةً ، لا يتوقف في خلالها الاّ مرة واحدة لتناول الطعام. وكان متوسط ما يكتبهُ حينئذٍ من الف كلمة الى الف وخمسمائة كلمة في الساعة . وقد بلغ اكثر ما كتبه في أطول هذه الفترات ٣٠ الف كلمة أو نحو سبعين صفحة من صفحات المقتطف اذا كان اساس القياس عدد الكلمات . وكان بين فترات الكتابة فترات طويلة ، يعمد في خلالها الى تحقيق ما كتب وتنقيحه

ذلك ان كتابته كانت ثلاث مراتب . ففي المرتبة الاولى ، كان يروي الحوادث كما يتذكرها ، ثم بعد ذلك يراجع الوثائق والمذكرات اليومية ويعيد كتابة ما كتب وهي المرتبة الثانية . أما المرتبة الثالثة فكانت تنقيح الكتابة من ناحية الاسلوب، حتى يكون الكتاب كلهُ متجانساً . وكانت المرتبتان الثانية والثالثة تستغرقان أياماً بعدد الساعات التي ينفقها في المرتبة الاولى

ومع ذلك ، كان كتابةُ هذا قد اوفى على التمام عند ما غادر باريس في أواخر الصيف . كان قد سرّح من الجيش في شهر يوليو ولكنهُ دعي الى حضور مؤتمر الصلح . وفي نوفمبر اختير زميلاً في كلية كل الارواح All Souls بجامعة اكسفرد تدوم سبع سنوات حتى يتاح لهُ وضع تاريخ الشرق الاوسط ولكنهُ لم ينتظم في كلية كل الارواح فوراً بعد عودته الى انكلترا بل أقام في غرفة فوق مكتب صديقه السر هربرت بايكر المهندس المعماري حيث مضى في انجاز كتابه عن الثورة العربية

وفي آخر السنة غادر لندن متجهاً الى اكسفرد حاملاً معهُ معظم أصول الكتاب في حقيبة من الجلد كالحقائب التي يحملها بعض التجار . وكان عليه ان ينتقل من قطار الى آخر في محطة ردنج فذهب الى بوفيه المحطة ليتناول بعض المنعشات فوضع حقيبتهُ تحت الحوان ولما نهض لتسفر بالقطار التالي نسيها فلما وصل الى اكسفرد تحدث بالتلفون مع مدير البوفيه فلم يعثر هذا على أثر لها

فكان شعوره الاول شعور فرج ، وكذلك كتب الى هوغارث فرحاً ساخراً فقال : « لقد ضيّعتُ الكتاب الملعون » ! ولكن هوغارث كان قد قرأ أصول الكتاب كلها أو معظمها هو وصديقان آخران من أصدقاء لورنس ، فاضطرب عند ما بلغهُ هذا النبأ ، وعاد يحاول اقناع لورنس بوجوب كتابته كتابة جديدة

ألقى هذا الطلب على كاهلي لورنس عبئاً لا ريب في أن كلَّ كاتب يؤثر التملص منهُ . ولا يزال

ضياع أصول كتاب جديد من اكبر المخاوف التي تقلق بال المؤلفين . ولكن لورنس تغلب على ذلك الشعور ومضى في عمله مستعيناً بذاكرته التي كادت ان تكون كألواح التصوير الشمسي، ومستنداً الى يومياته . فعاد الى الغرفة فوق مكتب النشر هربرت بايكر واكبَّ على العمل فما أقبل ربيع سنة ١٩٢٠ حتى كان لورنس قد كتب ثمانية من فصول الكتاب العشرة وهي الفصول التي ضاعت أصولها ، وتمم الفصلين الباقيين وكذلك تمَّ الكتاب

لم يكن الاسراع في النشر ، الباعث الذي حمل لورنس على بذل هذا الجهد العنيف في انجاز كتابه . بل كان غرضه الرئيسي تفريغ ما في ذهنه من حوادث الثورة العربية بكتابتها ، لا فائدة الغير ، او هو على الاقل لم يرمِ الى فائدة احد في عصره . ومما يدل على ان النشر لم يكن الغرض من الاسراع في انجاز الكتاب ان الكتاب لم ينشر قبل سنة ١٩٢٦ وانهُ الّف ثلاثة كتب اخرى ولم ينشر الاّ واحداً منها فقط . وكان احدها كتاباً وصف فيه رحلاته في الشرق الادنى والشرق الاوسط ، فما كاد يتمه حتى حرق اصوله حرقاً . ومن غرائب الاتفاق ان عنوان ذلك الكتاب كان «اعمدة الحكمة السبعة » وهو مستمد من عبارة جاءت في امثال سليمان : — «الحكمة بنت بيتها ونحتت اعمدتها السبعة . ذبحت ذبائحها ومزجت خمرها وصففت مائدتها . ارسلت جواريها تنادي على متون مشارف المدينة . من هو غرٌّ فليمِلْ الى هنا وتقول لكل فاقد اللب . هلموا كلوا من خبزي واشربوا من الخمر التي مزجت . اتركوا الغرارة واحيوا . انهجوا طريق الفطنة .....»

كان الكتاب الذي كتبه قبل الحرب ، كتاب وصف ينطوي على مغزى ادبي . ولكن الكتاب الذي كتبه بعد الحرب كان كتاب تاريخ ينطوي على فلسفة

انقضت فترة ليست بالقصيرة ، بين انجاز التأليف واخراج الكتاب . فقد كان لورنس غير راضٍ عن اسلوبه فيه . فمضى ينقحه ويصقل عبارته ولم يكتف بذلك بل عني بدراسة اصول التأليف دراسة وافية . فطلب الى نفر من اصدقائه ، وكان بينهم طائفة من اكتب الكتاب باللغة الانكليزية ، ان يكشفوا له عن المبادىء والقواعد التي يرعونها في كتاباتهم . وهو يعترف بأن ذلك لم يهده الى السبيل السوي، وان كبار الكتاب لا يجرون على قواعد معينة في الكتابة ، جرياً واعياً، وان الهواة فقط يفعلون ذلك . ولذلك كانت القواعد التي اتبعها في كتاباته ، نتيجة تفكيره الخاص وقد لابسته ملابسةً حتى اصبحت كل رسالة كتبها قطعة من الفن مطبوعة بطابعه الممتاز

وقد جرى على هذه القواعد في تنقيح كتابه في الثورة العربية خلال سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢ فلما انجز النص الجديد، حرق النص القديم، وطبع ثماني نسخ منه بمطبعة اكسفرد، لان نفقة الطبع بالمطبعة كانت اقل نفقة من الطبع بالمكتاب او مثلها على الاقل، فكلفه طبعها — والكتاب مؤلف من ٣٣٠ الف كلة — نحو ثمانين جنيهاً . وكان يعتقد ان النسخ الثمان التي طبعها تكفي اصدقاءهُ الذين كانوا يرغبون في الاطلاع على وصف تام لحوادث الثورة العربية . ولكن دائرة الاصدقاء

الراغبين في ذلك كانت اوسع مما ظن ، فلما اشتدَّ اصدقاؤهُ في محاولة اقناعه بوجوب طبع الكتاب عجز عن ردهم ، وبوجه خاص لانه كان يميل ميلاً خاصًّا الى الكتب المطبوعة طبعاً متقناً والمجلدة تجليداً فاخراً

وكان الباعث الذي حمله على تقرير طبع الكتاب رغبة السر جرترود بل في حيازة نسخة منه بعد ما اطلعت على نسخة صديق لها . فحثته على اخراج طبعة محدودة لاصدقائه . فسلم بذلك لان الطبعة الجديدة تتيح له ان يخرجه على الوجه الذي يرتضيه . فعين لثمن النسخة الواحدة ثلاثين جنيهاً . ثم اتسعت دائرة الأصدقاء حتى صارت شاملة لاصدقاء الأصدقاء . ولما كثرت الاشتراكات حمله ذلك على التفكير في اخراج الكتاب إخراجاً أفخر مما كان يتوقع . فعهد الى طائفة من رجال الفن برآسة إريك كنتغتن في وضع الرسوم لهُ . وكذلك زاد ثمن النسخة الواحدة من ثلاثين جنيهاً الى تسعين جنيهاً . ولكنها مع ذلك ظلت دون ما يقتضيهِ هذا الاخراج من النفقة

وقد قدرت نفقات الطبعة المحدودة بثلاثة عشر الف جنيه ، وكان هو عاجزاً عن النهوض بها فتقدم أحد أصدقائه في الحرب — روبن بكستن وكان عند الاقدام على طبع الكتاب أحد مديري بنك مارتنز — متعهداً بتوفية الفرق بين نفقات الكتاب ودخله . ولكن لورنس رغب في أن يحول دون أية خسارة ، بتكبدها صديقهُ ، فاتفق معهُ على اختصار الكتاب ، واخراج طبعة عادية منهُ ، بعنوان « ثورة في الصحراء »

وأخيراً ظهر كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » في سنة ١٩٢٦ . فتنقلت بعض نسخهِ تنقلاً سريعاً من بائع الى شار الى ان عرضت احداها في دكان كتبيّ بلندن بسبعمائة جنيه

أما كتاب «ثورة في الصحراء» فظهر سنة ١٩٢٧ واعيد طبعهُ خمس مرات . فلما علم لورنس أن ما بيع من هذا الكتاب كافٍ لتوفية الدين على كتاب « الأعمدة السبعة » طلب الى الناشرين ان يكتفوا بذلك . ولكن ما بيع منهُ في الولايات المتحدة الاميركية ، أسفر عن ربح كبير للمؤلف

الاّ ان لورنس رفض رفضاً باتًّا أن يمسّ فلساً واحداً من هذا المال . بل انهُ كان قد دبَّر تدبيراً قبل نشر الكتاب ، اشترط فيهِ تعيين لجنة يحق لها أن تتصرف بأي مال يجنى من بيعهِ في الوجه الذي تراهُ . ولما طلب اليهِ أحد الناشرين الفرنسيين ان ينشر ترجمة لكتابهِ اشترط أن يطبع على النسخة الفرنسية العبارة الآتية : « خصص ربح هذا الكتاب لضحايا الظلم الفرنسي في سورية »

ومن عجائب ما يروى عن كتاب «الاعمدة السبعة» انهُ ظهر من غير ان يظهر عليه اسم المؤلف. والواقع ان اسمهُ كان مطبوعاً على تجربة الصفحة الاولى فلما اطلع عليها شطب اسمهُ ، فلما سئل في ذلك ، قال يبدو الكتاب كذلك أنق مما لو كان اسمي عليهِ (It looks cleaner) . أما النسخ التي أهداها الى أخصائهِ ، فلم يعمها بحروف T. E. L. أي ت.ي. لورنس بل عمها بحروف T. E. S. أي ت . ي . شو وهو الاسم الجديد الذي اتخذه عند ما انتظم في فرقة الطيارات وسلاح الطيران

نجران

بحث جغرافي تاريخي

في منطقة تكاد تكون مجهولة من بلاد العرب

لسعادة فؤاد بك حمزة وكيل خارجية المملكة العربية السعودية

لدراسة جغرافية نجران شأن كبير يرتكز على ثلاثة اعتبارات : أولاً — من الوجهة التاريخية والأثرية بسبب انتشار اليهودية والنصرانية فيها قبل الاسلام ووجود بقايا آثار مدن قديمة فيها قد تساعد كثيراً على حسم الشك عن حوادث تاريخية غامضة . ثانياً — من الوجهة السياسية لأنها كانت السبب المباشر للنزاع بين الملك ابن سعود والامام يحيى تماجرّ الى الحرب الاخيرة بينهما . ثالثاً — من الوجهة العلمية والاجتماعية لان أكثر الخرائط الحديثة لا تحوي عن هذه البلاد شيئاً صحيحاً ولان كثيرين خلطوا في أحوالها ووجود اليهود والاسماعيلية فيها ثم لان موقعها الجغرافي الصحيح ووضعها بالنسبة الى البلاد المجاورة مجهولان لبعض الجهل

موقع نجران

نجران احد الاودية الستة ، وأقربها الى جهة خط الاستواء ، التي تصفى مياه الأمطار المتحدرة من السفوح الشرقية لسلسلة الجبال الممتدة من جنوب بلاد العرب الى شمالها بعد دخولها في البلاد المشمولة بحكم ابن سعود والتي يسميها العرب جبال «السراة» أو «الحجاز» [1] . ومع ان نجران ليس أهم الاودية الستة المشار اليها من حيث طوله ، والروافد التي تصب مياهها فيه والقرى والمزارع القائمة على جوانبه ، فان له شأناً خاصاً من جهات عديدة اخرى اهمها علاقته بتاريخ النصرانية واليهودية ووجود آثار كنيسة ومباني مدينة قديمة يدعي بعضهم انها بقايا المدينة الوارد ذكرها في القرآن باسم «الأخدود» ولما كنت قد ذكرت الأودية الستة فانني أرى من المناسب ان أذكر اسماءها والبلاد التي تنبع منها والتي تنتهي اليها مبتدئاً بها من الجنوب الى الشمال على وجه الترتيب

الاودية الستة بحسب وضعها من الجنوب الى الشمال [2]

اولاً — وادي نجران وهو منفصل عن الاودية التي في بلاد الامام يحيى بجبال مرتفعة تشكل سطحين مائلين خط تقسيم المياه ، سطح جنوبي تنصفى مياهه الى وادي الفرع واضح الذين ينتهيان

---

(١) بعضهم يسمي السلسلة ساق الغراب وهم بالاحرى يسمون السلسلة الغربية ساق الغراب والسلسلة الشرقية لها اسماء اخرى (٢) حصرنا بحثنا في الاودية القائمة ضمن حدود المملكة العربية السعودية فقط

في بلاد الجوف في اليمن، وسطح شمالي تتصفى مياهه الى وادي نجران الاّ ان اكثر مياه الوادي تأتيه من جهة الغرب لا من جهة الجنوب . ومياه الامطار التي تأتي الى وادي نجران من جهة الغرب تتجمع من السيول والروافد العديدة القادمة من بلاد قبيلة سحار وبعض قبيلة بني جماعة (وكلتاهما ترجع في أصولها الى قبيلة خولان بن عامر) . وأما مجرى الوادي نفسه واطرافه ومنتهاه فانه ملك لاحد فروع قبيلة همدان بن زيد المعروفة باليامية

ثانياً — وادي حبونة (ويسميه جغرافيو العرب المتقدمون حبونى) ويقع الى الشمال من نجران وتفصله عنه هضاب عديدة أكثرها مرتفع وفي أعاليها منبسط اسمه الصحن . والواديان يسيران متوازيين تقريباً ويبعد أحدهما عن الآخر في غالب نقاطهما مسافة يوم للجمال المحملة ومصبهما عند رمال المهل اي الربع الخالي يبعد هذه المسافة ايضاً . ووادي حبونة أقل اهمية من نجران وأقل عمراناً وقرى بالرغم من أن هنالك أودية مشهورة تصب فيه منها أودية بدر والخانق وهدادة والحرشف . وهو يصفي المياه التي تنحدر الى جهة الشرق من القسم الشمالي من بلاد بني جماعة اليمانيين كما انهُ يصفي بلاد وادعة من همدان والقسم الجنوبي من بلاد قبيلة قحطان ، ويمكن ذكر ستة أودية مهمة في بلاد بني جماعة ووادعة وقحطان يمكن اعتبارها أساساً لوادي حبونة وهي (١) وادي الحاجر ويصب في هدادة (٢) وادي قتام ويمر ما بين عقبتي الشطبة وعلب اللتين هما نقطة الحدود بين بلاد ابن سعود والامام يحيى الفاصلة بين حدود بني جماعة وسحار الشام وحدود وادعة (٣) وادي العرين ويمر في قرى عديدة منها ظهران والمجزعة (٤) وادي الغيل وينتهي الى حبونة بعد أن يمر في وادي الثقرن (٥) وادي طلحة (٦) وادي رشاد

ثالثاً — وادي تثليث وهو يصفي الامطار التي تتجه الى جهة الشرق من بلاد بطون قبيلة قحطان كما انهُ منتهى عدة أودية مهمة تصفي قسماً من بلاد قبيلة شهران صاحبة الوادي الرابع الذي سنذكره فيما يلي . وهذا الوادي أطول من الواديين المتقدمين واكثر اعوجاجاً منهما وهو في اتجاهه مختلف عنهما نوعاً لانهُ منحرف الى الشمال الشرقي ، والاودية التي تصب فيهِ كثيرة نذكر أهمها وهي (١) السَّجْسَج (٢) جَنَاب (٣) سروم (٤) راحة سَنْحَان (٥) راحة شُرَيف (٦) وادي الحرجة (٧) وادي مخلاة (٨) وادي يَعُوض (٩) وادي الوفيرة (١٠) ظريب (١١) الهَيْج (١٢) وادي المُسَيْرق وهو يتألف من ثلاثة أودية كبيرة في بلاد شهران : وادي الشيق ووادي السَّلِيل ووادي خيبرة ويجمعها بقرب خيبرة وتتجه الى وادي ثَلْثَن ثم تصب في تثليث (١٣) وادي القاعة . وينتهي وادي تثليث عند الرمال المعروفة باسم الحتمية بقرب وادي الدواسر . وقد فاض تثليث عام ١٩١٧ وكسر السد الرملي وطغى على وادي الدواسر فأغرق قرى كثيرة وسبب خسائر عظيمة في الارواح والاموال . ويمكن القول ان مجرى الوادي واطرافه ملك لفروع قبيلة قحطان ما عدا المسيرق والقاعة فانهما لشهران

رابعاً — وادي بيشة وهو أطول الاودية الستة وأهمها ولذلك يقسمونه الى ثلاثة أقسام يسمونها بيشة بن سالم من قحطان وبيشة بن مُشَيْط وبيشة النخل . وهو يصفي مياه الأمطار التي تتجه الى الشرق والشمال من ديار بطني رُفَيْدة وعَبِيدة من قبائل قحطان وديار قبيلة عسير كلها وديار شهران عدا ما يصب في تثليث من المسيرق والقاعة وديار بالاحمر وبالاصمر وبني شهر كلها. أما الاودية الكبيرة التي تصب فيه فاننا نذكرها على وجه الاختصار لان ذكرها كلها يستغرق من التفصيل ما لا يسمح المجال بذكره هنا (١) وادي تَنْدَحَة (٢) وادي أبها الذي يكون اسمه في علوه حيث ينبع عند القا مركز بني مقيد من عسير (خَبِيبِي) (٣) وادي عَتُود (٤) وادي الحُمْرَة (٥) وادي هرجاب (٦) وادي رَجْ (٧) وادي تبالة (٨) بطنة الحبيب . ومن المهم أن نذكر ان وادي بيشة ينبع في علوه من بلاد عبيدة ورفيدة من قحطان عند مكان فيه آثار قديمة لبلدة خربة كانت مشهورة في الكتب العربية باسم « جرش » وبعد أن يمر في بلاد ابن مشيط يجتمع به وادي تِنْدَحة قادماً من ضفته اليمنى ووادي عتود وأبها من جهة الغرب ووادي الحمرة الذي هو الى الغرب والشمال من وادي ابها الى أن تلتقي عند بلاد ابن هَشْبَل فيصبح اسم الوادي اعتباراً من هذا المكان وادي شهران ثم يظل هذا الاسم عليه الى أن يصل الى مزارع تسمى واعِر وهي تعتبر أول وادي بيشة الذي هو الاصل فيما يطلق عليه «وادي بيشة» وهي تبعد عن الرَّوْشَن مركز بيشة اكثر من يومين للجمال المحملة . وعند الوادي بعد قرى بيشة التي آخرها الخبينة الى أن يصل الى منطقة الرمال فيغور فيها في الرمل المسمى رغوة عند مكان اسمه ظاعن

خامساً — وادي رنية ومنبعه الاصلي في بلاد غامد الواقعة الى الشمال من بلاد بني شهر من موضع اسمه ثَرَاد وبعد ان يصفي ديار قبيلة غامد وبعض زهران وبالحُرَث وبني عمرو يبدأ العمران فيه عند نخيل اسمه الاملح وبعد أن يسقي القرى العديدة الموجودة على اطرافه والتي آخرها من جهة مصبه بلدة العلاير الى ان يصل رغوة وينتهي عند عجلة المنحنية . ويصب في هذا الوادي اودية فرعية عديدة أهمها (١) غثران (٢) الهجرة (٣) قَمَرَة

سادساً — وادي تَرَبة واصل منبعه في علوه في ديرة زهران وبني مالك ولكن اكثر مياهه تأتي من ديرة البقوم في حضن واطرافه من حرة سبيع الواقعة الى الشرق والجنوب من الخرمة وينتهي الوادي في عرق سبيع الرملي عند القنصلية والعرق يبعد مسيرة مرحلة المطية عن الخرمة ويفصل وادي تَرَبة عن وادي رنية حرة سبيع المشهورة . ويصب في وادي تَرَبة عدة أودية أهمها (١) الهجرة (٢) المبايع (٣) سعدانات (٤) الجوفا (٥) الحرملية (٦) الشعو (٧) الجنينة (٨) الظليم ومعيذ والسدري

نجران في كتب العرب

ورد ذكر نجران في كثير من الكتب العربية غير انهُ يتراءى لي ان الذين كتبوا عنها في الاعصر القديمة انما كتبوا ما سمعوه كما فعل المتأخرون والفرق بين كتابة السامع والمشاهد عظيم واكثر

داعي الاسماعيلية في نجران (لابس البرد المخطط) والى يمينه احد اولاد حسين بن احمد الكرمي الواقف الى يسار الداعي . وقد اخذت هذه الصورة في ابها

المؤلفين من العرب يذكرون ان نجران مخلاف من مخاليف اليمن وانهُ يقع بين صنعاء واليمامة (نجد) ويذكر بعضهم ان اسمه مشتق من اسم احد حفدة يعرب بن يشجب ويغلب على الظن انهم كانوا يشيرون الى نجران كانهُ علم لمدينة كبيرة لانهم يذكرون ان نجران وجرش مدينتان هما دون صعدة الى جهة مكة وانهما متشابهتان (ذكرت عن جرش انها خربة وقد بقيت منها اطلال دارسة في علو وادي بيشة) . وقد ذكر اسم احدى قرى نجران المسماة بالاخدود في القرآن الكريم في سورة البروج وورد الاسم ايضاً في السيرة النبوية بمناسبة وفود اهل نجران الى النبي (صلعم) ودخولهم في الاسلام قبيل وفاته . وورد ذكر اهل نجران بمناسبة اخرى ايضاً وهي حديث النبي عن مشاهدته لقس بن ساعدة الايادي خطيب العرب المشهور وقد كان قس اسقفاً لنجران قبل الهجرة

النصرانية واليهودية في نجران

يذكر مؤرخو العرب ما يستفاد منهُ ان النصرانية سبقت اليهودية الى نجران وان محاولة احد ملوك اليمن الحميريين الذين هادوا ان يرغم نصارى نجران على اعتناق اليهودية ادت الى تدخل قياصرة الروم بواسطة الحبشة والى فتح اليمن من قبل الاحباش كما هو مشهور في الكتب العربية . وقد لخص السير وليم موير في كتابه (حياة محمد) اقوال مؤرخي العرب في ذلك ونقل الدكتور هيوز في كتابه (قاموس الاسلام) ما هذه خلاصته

كان ذونواس الحميري في احد اسفاره الى المدينة اعتنق الديانة اليهودية وحينما عاد الى اليمن حاول نشرها فيهِ ايضاً . فلقي مقاومة عنيفة من اهل نجران الذين كانوا يدينون بالنصرانية فجهز عليهم جيشاً كبيراً وهدم كنيستهم وقتل كثيرين منهم وكان يحفر لهم حفراً يغرقهم فيها ومعنى الحفرة الاخدود وهو المقصود بالآية الكريمة الواردة في سورة البروج «قتل اصحاب الاخدود الخ» وكان من اثر ذلك ان استنجد نصارى نجران بالقسطنطينية التي كانت حامية للدين المسيحي فعهدت هذه الى ملك الحبشة بنصرة نصارى نجران وكان ما كان من استيلاء الاحباش على اليمن (عام ٥٢٥ م) ونشر النصرانية فيهِ وشروعهم في مهاجمة الحجاز لهدم الكعبة المكية واقامة كعبة اخرى مكانها في صنعاء يسميها العرب (القليس) وربما كانت محرفة عن كلمة (Eglise)

ومن المعلوم ان النبي ولد في العام الذي غزا الاحباش مكة فيهِ . ولم يدم ملك الاحباش في اليمن كما ان النصرانية نشلت في نجران الى ظهور الاسلام وظل في اليمن كثيرون من اليهود ومن العرب الذين دانوا باليهودية الى يومنا هذا . وحينما انتشر الاسلام اوفد اهل نجران اساقفتهم ورؤساءهم الى النبي وسالموه على ان يظلوا على نصرانيتهم ويؤدوا الجزية ولكن حينما قرر الخليفة عمر ألا يبقى في جزيرة العرب دين آخر مع الاسلام صدر الامر باخراج من يصر منهم على النصرانية وعوض على من خرج مالاً مقابل املاكه

الاسماعيلية في نجران

يتمذهب اهل نجران كما يتمذهب سائر ابناء عمومتهم واخوانهم من قبيلة يام بالمذهب الاسماعيلي وهو مذهب احدى الفرق الشيعية الباطنية في الاسلام واتباعه يعتبرون ائمة سبعة من اهل البيت آخرهم محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ويختلفون عن الاثني عشرية بان هؤلاء يقولون بامامة اثني عشر اماماً آخرهم محمد الحسن العسكري ولا يعترفون لمحمد بن اسماعيل بل يتبعون موسى الكاظم. والاسماعيلية باتفسهم منقسمون الى عدة فرق اهمها (١) فرقة الخواجية التي يترأسها آغا خان (٢) فرقة الداودية التي يترأسها طاهر سيف الدين من بومباي (٣) فرقة السليمانية التي يترأسها الداعي المكرمي الذي له منصب في الهند في بدر باغ وهو غلام حسين الهندي. اما كيفية دخول الاسماعيلية بين اهل نجران وسائر يام فما لا نستطيع الجزم به ولا تحديد وقت معين لحصوله. الا ان الذي يتراءى لي ان طبيعة اليامية جعلتهم يميلون الى مخالفة جيرانهم من القبائل في العقائد الدينية وفي العادات الاجتماعية ومع ان اليامية بطن منهم من بطون همدان بن زيد فانهم يختلفون عن مجاوريهم بانهم عرفوا بمزيتين الاولى اختلاف المذهب والثانية كونهم من اشد القبائل شكيمة وقت الحروب ومعتادين الغزو والغارات. ولم تشتد دعوة الاسماعيلية في نجران وتصبح لرؤسائهم سيطرة مدنية وقوة عسكرية حكومية الا منذ ثلاثة قرون ونصف تقريباً حينما قدم الى نجران الداعي الاسماعيلي المسمى محمد بن اسماعيل المكرمي مهاجراً من بلدة (طيبة) التي تبعد عن مدينة صنعاء مسافة بضع ساعات الى جهة الجنوب[١]

المكارمة في نجران

كنت مخطئاً في ظني ان المكارمة من السادة العلويين الى ان اتيحت لي فرصة الاجتماع المتكرر مع نائب المنصوب عن الداعي والمسمى حسين بن احمد فاعلمني ان المكارمة قحطانيون وسرد لي سلسلة نسبه الى يعرب (حسين بن احمد بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن علي بن حسين بن احمد بن محمد وهذا اول من سكن بدر من المكارمة ابن الفهد بن صلاح بن داود التامر بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن علي بن صبيح بن حسان بن مكرم بن سبا بن حمير الاصغر بن المنتهب بن عمرو ابن علاق بن ذي أيين بن ذي يقدم بن العوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطر ابن غريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الاكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان). وسرد علي المكرمي حادثة قدوم محمد بن اسماعيل الى نجران ثم كتب الي خلاصة وافية نقلها عن كتاب جامع لتاريخ ائمة الاسماعيليين ودعاتهم واعمالهم في مدة الدعوة ولكنه رفض ان يطلعني على اصل التاريخ الذي عنده مع انه قديم ويناقله الدعاة خلفاً عن سلف. وفهمت ان سبب امتناعه عن اطلاعي عليه يعود الى ان ما فيه عائد لشؤون باطنية محضة وقاعدة اهل الباطن في الاسلام المحافظة على اسرار معتقداتهم وعدم اطلاع الاجانب عنهم عليها

(١) ذكر لي المكرمي ان بلدة طيبة كانت تسمى في الزمان القديم دورم

كان المكارمة مقيمين في طيبة ولكن الدعوة لم تنقل اليهم الا متأخرة فقد قرأت فيما كتبه الي المكرمي اسماء اربعة دعاة من الهنود قاموا بأمر الدعوة في الهند وطيبة من عام ٩٧٤ الى ١٠٨٨ هجرية وهم داود بن عجب الذي حصل بعد وفاته انفصال فرقة الداودية عن السليمانية وسليمان بن حسن هندي وجعفر بن سليمان وعلي بن سليمان وحين وفاة هذا اوصى بالامر لشخص اسمه ابراهيم ابن محمد بن الفهد (راجع سلسلة النسب) ابن صلاح المكرمي فقام بالدعوة في بلدة طيبة مدة ٤٤ سنة وحين وفاته عهد بها الى حفيده محمد بن اسماعيل بن ابراهيم فحصل بينه وبين الزيود حرب غلب فيها فهرب الى القنفذة ومنها دعاه اسماعيليو نجران ليكون بينهم فحضر الى بلاد نجران وسكن في بلدة بناها واسماها الجمعة ولكنها الآن خراب

ومع ان المكارمة غرباء عن نجران وليس لهم سلطة زمنية (لا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار ان اليامية مؤلفة من ثلاثة فروع لكل فرع رئيس زمني قوي) فانهم نجحوا في اعتظم وأصبحوا اصحاب الشأن في الامور الدينية والزمنية وامتدت فتوحاتهم الى الاطراف المجاورة وتوسل بعضهم الى تريم في حضرموت وبعضهم الى اواسط نجد أيام النزاع بين آل سعود وابن دواس وآل معمر

أما الذين تعاقبوا من دعاة المكارمة في نجران فهم: (١) محمد بن اسماعيل توفي ١١٢٩هـ (٢) هبة ابن ابراهيم توفي ١١٦٠ (٣) اسماعيل بن هبة توفي ١١٧٤ (٤) حسن بن هبة توفي ١١٨٩ (٥) عبد العلي بن الحسن بن اسماعيل بن ابراهيم توفي ١١٩٥ (٦) عبد الله بن علي بن هبة توفي ١٢٢٥ (٧) يوسف بن علي بن هبة توفي ١٢٣٤ (٨) حسين بن حسين بن علي بن هبة توفي ١٢٤١ (٩) اسماعيل ابن محمد بن حسن بن هبة توفي ١٢٥٦ (١٠) حسن بن محمد بن حسن بن هبة توفي ١٢٦٢ (١١) حسن بن اسماعيل وهو من آل شبام ومن غير المكارمة توفي ١٢٨٩ (١٢) احمد بن اسماعيل بن محمد بن حسن بن هبة توفي ١٣٠٦ (١٣) عبد الله بن علي توفي ١٣٢٣ (١٤) علي بن هبة توفي ١٣٣٠ (١٥) علي محسن ابن حسين آل شبام تولى ١٣٣٠ وهو الداعي الى الآن وخليفته غلام حسين الهندي والمنصوب الآخر حسين بن احمد المكرمي . وجميع المكارمة الاحياء الموجودين في بدر ونجران وشهارة في اليمن اربعة اخفاذ ويجتمعون في جد أعلا اسمه محمد بن الفهد المار ذكره في سلسلة النسب وحسين بن احمد المكرمي الخليفة المقبل يقول ان لفظه اسمه نفذ آل ذي الجدين دليلاً على انه مكرمي أباً وأماً

سكان نجران

يقطن نجران فرع من فروع قبيلة همدان بن زيد القحطانية كما انه يوجد فيه عدد قليل من اليمنيين (اليهود) بعضهم من اصل يهودي والبعض الآخر من العرب الذين اعتنقوا الديانة اليهودية ويوجد فريق ثالث من السكان يحسب من الطبقات المنحطة التي لا يحترمها العرب ومكانة هذا الفريق اعلى من مكانة اليهود وأحط من مقام القبائليين . اما اليهود فانني قد علمت بعد البحث الدقيق بواسطة زعماء المكارمة واليامية انهم لا يزيدون عن مائة عائلة منتشرة في قرى وادي نجران

وحبونة وعملهم في المصانع التي يحسب العرب القبائليون انها حطة في قدرهم مثل الخرازة وسائر اشغال الجلود والحدادة والسكرة وسائر الاعمال الصناعية . واليهود كاهن يقيم في الخلاف يسميه الاهالي « النشاح » وهم يسبتون يوم السبت ويجتمعون غالباً في بيت الكاهن ويقرأون بالعبرانية واليهود متمتعون بحماية زعماء اليامية الثلاثة وحماية المكارمة ايضاً ويظهر انهم مسرورون من معيشتهم وهم يؤدون الجزية سنة فسنة ويبلغ مقدارها ريالاً واحداً عن البالغ ذكراً او انثى . وذكر لي بعضهم ان احد هؤلاء اليهود اغري على السفر الى فلسطين فأقام فيها مدة ثم عاد منها الى قومه فسئل عن اسباب عودته فقال : « وجدت معاملة المسلمين والنصارى غير التي نعرفها عنهم في بلادنا وغير ما نقرأه في كتبنا ووجدت اليهود غير اليهود الذين نعلمهم فقنعت نفسي وعدت الى قومي »

اما العرب القبائليون او اليامية فانهم ثلاثة بطون :—

﴿ اولاً ﴾ — بطن آل فاطمة — كبيرها جابر بن حسين ابو ساق

١ آل سالم
٢ آل شريه
٣ آل سعد
٤ آل المحامض
٥ آل سليم
٦ آل ذيبان
٧ الزيادين
٨ آل زمناتان
٩ آل القفيلي
١٠ آل بشر
١١ القشانين
١٢ الشركان في هدامة
١٣ المكابيل في حبونه
١٤ آل مخلص بدو
١٥ آل زابن »
١٦ آل معجبة »
١٧ آل راكه »
١٨ آل فطيح »
١٩ آل رشيد »
٢٠ آل فهاد بدو
٢١ آل العرجاء »
٢٢ آل سالم بدو وحضرهم في بدر وفي حبونه
٢٣ آل فروان بدو وحضرهم في بدر وفي حبونه
٢٤ آل سفران بدو وحضرهم في بدر وفي حبونه
٢٥ آل لبيد بدو في بدر
٢٦ آل عمرو » وحضرهم في بدر
٢٧ آل معمر »
٢٨ آل زائد حضر في حبونه
٢٩ آل شرار حضر في نجران
٣٠ آل دكان » » »
٣١ آل معيط » » »
٣٢ آل سعد » في حبونه
٣٣ آل قائد » في حبونه
٣٤ آل الخريت » » »
٣٥ آل الطويل » » »
٣٦ ابن قنة » » »
٣٧ ابن حامد » في نجران

آل ابو طالب عليم

﴿ ثانياً ﴾ — بطن آل ام واجد كبيرها ابن نصيب آل المهري

١ وهم ثلاثة أقسام آل غانم وآل علي بن سعيد وآل حسن المحمد وابن الخرور يسكنون نجران
٢ آل الحارث وفيهم آل بحري — آل الحارث في نجران — وآل بحري في حبونه
٣ ابن الحزوير
٤ آل عامر
٥ الدلاوين
٦ آل بليان } يطلق على هؤلاء الثلاث
٧ العطازة } آل عامر وهم بدو
٨ آل علي بن عامر } وحضرهم في حبونه
٩ آل سليع بدو وحضرهم في حبونه
١٠ الخضرا في حبونه
١١ آل هميم »
١٢ آل بحري
١٣ آل عباس في نجران
١٤ وادعة » »
١٥ آل قريع بدو وحضرهم في حبونه
١٦ الهيسان بدو وحضرهم في حبونه
١٧ آل رزق بدو وحضرهم في نجران
١٨ آل علي بن الأحسن في نجران وحبونه حضر

﴿ ثالثاً ﴾ — بطن ادشم (اجشم) وكبيرها سلطان بن منيف

١ آل مقاتل ومنهم بنو منيف في نجران
٢ آل حرث »
٣ زبيد »
٤ آل بوزيده في نجران
٥ آل منصور »
٦ آل سليمان وفيهم آل بدر وال مطيف والحسان وآل كليب وآل مطارد وآل خطاب وآل سنان وآل جريشه والدويس في نجران
٧ آل حسن في نجران
٨ ابن سليمان وهم آل هتيله بن علي وآل مشرف — وآل حابس وآل سوران وآل حوار في نجران
٩ ابا الحارث في نجران
١٠ الصقور »
١١ آل جعفر » ويقال لهم آل جبير
١٢ آل ربعه »
١٣ آل مصعب »
١٤ آل ريح »
١٥ الاشراف » عجرة آل الهندي
١٦ آل جعران » في بدر
١٧ آل الهندي وقد ورد ذكرهم بصفة متفرقة ولكنهم كما يأتي :—
آل حسن
آل سليمان
بالحارث
آل منصور
آل مقاتل
آل حرث
آل ابو زبده آل جبر
الربعة الاشراف عجرة آل الهرف
آل جبر

ومن اليامية بدو يتبعون الاقسام السابقة وبعضهم ليس فيها

١ جماعة ذيب المهان (من آل قطيع)
٢ جماعة ابو نقايا (من آل قطيع)
٣ جماعة حسين بن سداح بن آل معجبة
٤ جماعة الخدري من آل مطلق وآل خلاص
٥ جماعة منير الرشيد من آل زائد من الرشيد
٦ جماعة فلاح بن صحمه من آل عمرو
٧ جماعة ابراهيم الاسلومي من آل عامر يتبع بن نصيب
٨ عوض بن حليمة من آل فروان
٩ مفاشر آل سالم من آل سالم
١٠ صالح بن حمد آل لبيد من آل لبيد
١١ جابر بن دكام يتبع بن نصيب

ثانياً : آل ام واجد وكبيرهم ابن نصيب واكثر في حبونة ولهم في نجران ثماني قرايا سأذكرها فيما بعد. ثالثاً : ادشم او اجشم وكبيرهم سلطان بن منيف ولهم في نجران ١١ قرية كبيرة سأتي على ذكرها حين ايراد اسماء القرايا ومواقعها فيما يأتي :

قبائل اليمن المشهورة ونسبة اليامية الى همدان بن زيد

علمت من كثيرين من الثقاة ان القبائل العربية التي تقطن جبال اليمن الواقعة الى الشمال من صنعاء حتى حدود بلاد ابن سعود ترجع انسابها الى اصلين كبيرين ويحدها من شماليهما قبائل عربية سعودية تنحدر من اصل آخر سأذكره ايضاً . اما الاصلان فهما : اولاً همدان بن زيد والثاني : خولان بن عامر والاصل الذي يجاورها من شماليهما هو قحطان بن عامر « وربما كان ابن عمرو » . اما قبيلة همدان بن زيد فانها تنقسم الى قسمين كبيرين (١) حاشد وهو اقربهما الى صنعاء (٢) بكيل وتنقسم بكيل الى عدة اقسام اذكرها فيما يلي

اولا — دهم وتتألف من فرقتين ذوي محمد وذوي حسين وهما رأس بكيل . ثانياً — سفيان اهل الحرف . ثالثاً — ارحب . رابعاً — وائلة وأهل النرع . خامساً — اليامية وهي اهل نجران وحبونة وآل مرة والعجمان في نجد . سادساً — وادعة التي تقيم في بلاد ظهران

واما قبيلة خولان بن عامر فانها تقيم في السورات الى جهات الغرب من اقسام وفروع بكيل وخولان ثلاثة مراكز رئيسية في الادارة الاول : مركز رازح والثاني : مركز سافين والثالث : مركز صعدة . واما اهم اقسام خولان فانها كما يأتي : —

اولاً قبيلة سحار وهي في صعدة واطرافها وفي بلاد الصعيد المجاور لصعدة توطنا قرية واحدة منفصلة عن بقية سحار بواسطة بني جماعة وهي اقرب القرايا اليمانية الى حدود الملك ابن سعود واسمها « بياد » قرية ابن صبحان . ثانياً قبيلة بني جماعة وهي في بلدة باقم واطرافها . ثالثاً قبائل رازح والنظير . رابعاً قبائل بني مشيخ وبني منبه . خامساً قبائل فيفا وبني مالك وبني عبد الله التابعون لابن سعود . وبهم مما ذكرنا اعلاه ان اليامية اقارب في نجد وفي اليمن على السواء . (ومن شاء زيادة التوسع عليه ان يراجع قسم القبائل العربية في كتابي قلب جزيرة العرب)

[البحث تتمة مع خريطة لنجران]

طلسم الآباد

لالياس فتحل

لا تطمعي يا نفسُ في ادراك ما ... أعيى حجا المتعمق المتفلسفِ

طُلْسمُ آبادٍ خلال قشوره ... تبدو الظنون الحائمات وتختفي

القربُ منه هو البعاد بعينه ... ان لم يزد في غمضه المتكثفِ

أنا ما عدلتُ عن التسائل قائماً ... بحقيقة أروت غليل تشوّفي

لكنني الفيتُ ابلائي سدى ... ثوب الشباب من الجنون المتلف

وَلَوَ أنني ادركتُ بعد الجهد ما ... امّلتُهُ ، وكشفتُ ما لم يكشف

افكنت ادرج في نعيم دائم ... صفو السعادة فيه غير مزيّف ؟

لا ! فالحياة بجهلنا وبعلمنا ... لم يعرُها نقصٌ ولم تتشرّف

يا نفسُ لن تجدي السبيل فاطفئي ... هذا السراج ، فما الضياء بمسعف

ما زلتُ ابحث ممعناً في حيرتي ... واجدُّ خلف الوهم جدّ تلهّف

حتى رجعتُ الى الشكوك مصدّعاً ... ورأيتُ اني مصدر السر الخفي

عاصمة الارجنتين

الدفتيريا وعلاجها الواقي

بحث علمي صحي

للدكتور محمد علي

[بكتريولوجي بمعامل مصلحة الصحة]

اذا اردنا ان نحدد معلوماتنا الطبية عن مرض الدفتيريا ، وجدناها تقع في اربع مراحل ، الاولى مرحلة المشاهدات الاكلينيكية ايام كان الطبيب يشخص الدفتيريا معتمداً على مشاهدات خارجية اكثر ما تكون عرضة للخطإ للتشابه الكبير بين الدفتيريا وامراض الحلق المختلفة الاخرى . والثانية مرحلة اعتمد فيها الطبيب على التشريح المرضي في تمييز الامراض وتشخيصها . والثالثة مرحلة التجارب وفيها تكشف للطب سبب المرض . فبالتجربة العلمية امكن احداث مرض الدفتيريا في الحيوانات فكان ذلك مدعاة للتفكير والبحث عن العامل الحي المجهول المسبب لهذا المرض . وفي عام ١٨٨٤ نال فخر هذا الاكتشاف العظيم العلامة لوفلر بكشفه عن الميكروب المسبب للدفتيريا ، وما لبث ان ايد العلماء كشفه فأصبح حقيقة ثابتة . وتوالت الجهود بعده فكشف الشيء الكثير عن خواص هذا الميكروب وتاريخ حياته . وأمعن كل من رو وبرسين في دراسة خواصه وتوصلا سنة ١٨٨٠ الى فصل سم الدفتيريا الفعّال (توكسين) وذلك بترشيح مزرعة من الدفتيريا في المرق ، وبحقن هذا التوكسين في حيوانات التجارب تبين لهما الشبه بين مفعوله ومفعول باشلس الدفتيريا نفسه . وكان عملهما هذا ختام مرحلة التجارب وتمهيداً للمرحلة الرابعة الهامة

ويعتبر عام ١٨٩٠ بداية المرحلة الرابعة التي انشاء فجرها اكتشاف بهرنج وكيتا ساتو لمصل الدفتيريا العلاجي . ذلك الاكتشاف الخالد الأثر الذي يعتبر بحق فاتحة جدية للتقدم المطرد الذي بلغه تحضير الامصال العلاجية فيما بعد ، وقد بلغ الغاية في هذه الايام ، ولعل اول نتيجة مذكورة مشكورة محسوسة له هي قلة الوفيات من الدفتيريا ، قلة واضحة في جميع انحاء العالم

***

بعد ذلك اتجهت البحوث الى ايجاد الوسائل لوقاية القابلين للعدوى بالدفتيريا وخصوصاً الاطفال بين السنة الاولى والخامسة عشرة من العمر حينما يكونون اكثر تعرضاً للمرض من غيرهم

كان من المعلوم اذ ذاك امكان التحصين ضد الدفتيريا بزيادة مقدار الانتي توكسين Antitoxin الطبيعي الذي في الجسم اي في الدم وذلك بحقن مصل الدفتيريا الحاوي للانتي توكسين . وهو المصل المضاد لسموم الدفتيريا وقد رغبوا في الاستفادة من تلك الظاهرة في الوقاية كأول خطوة في هذا السبيل ولكن التجارب المتعددة والمشاهدات الكثيرة اثبتت حبوط هذه الطريقة . ومما لا شك فيه انه يمكن تأخير ظهور اعراض المرض بحقن مقدار كافٍ من مصل الدفتيريا لمن تعرض للمرض او لمن اصابته العدوى وما زال في دور الحضانة ، فتحدث بذلك مناعة وقتية تبقى ما بقي في الدم مقدار واف من « الانتي توكسين » المحقون ، واذا ما تضاءل هذا المقدار بسرعة وهو غالباً ما يحدث ، زالت عن المريض المناعة وتعرض للمرض فتبدو اعراضه واضحة خصوصاً ما زال ميكروب الدفتيريا في حلقه

وحبوط هذه الطريقة في ايجاد الوقاية الكافية صرفت عنها الافكار وحولتها الى اتجاه آخر

***

وفي عام ١٨٩٢ قام كل من فون بهرنج ووارنيك بعدة تجارب في الحيوانات القابلة للعدوى ، فأثبتا امكان حقنها مع بقائها سليمة بمقادير متزايدة من الميكروبات الحية الفعالة وذلك بعد اعطائها حقنة واقية من المصل . مضى على ذلك ست سنوات عند ما تمكن نيكاروف من تحصين الحيوانات باعطائها حقناً متكررة من التوكسين المتعادل بالانتي توكسين (اي ان كل حقنة من هذه الحقن كانت تحتوي على مقدار معين من التوكسين مع مقدار آخر معيَّن من الانتي توكسين لتخفيف فعلهُ التسمي) .. ثم حقنها بعد ذلك بالتوكسين وحده بغير ضرر يذكر . وفي عام ١٩٠٠ اقترح دراير تعيين المقادير اللازمة من التوكسين والانتي توكسين وذلك بواسطة حقنها في خنازير الهند قبل استعمالها في تحصين الخيل

وبالرغم من الجهود المتوالية لاستنباط طرق للوقاية لم تسفر أية طريقة حينئذ عن الفائدة المرجوة في الحيوانات فكان من الصعب جداً تطبيق احداها على الانسان

وجاء بعد ذلك بهرنج عام ١٩١٣ واعلن عن نجاحه في توصله الى طريقة نافعة لتحصين الانسان ضد الدفتيريا . وطريقته : ان يحقن مركباً مؤلفاً من التوكسين والانتي توكسين داخل الجلد . وصرح أن تركيبه هذا الذي لم يذكر طريقته لا يضر خنزيراً من خنازير الهند اذا حقن به

ولعلَّ الفضل كل الفضل في تقدم هذه الطريقة في العلاج الواقي من الدفتيريا راجع جلُّهُ الى اعمال بارك وزنجر اللذين استعملا مركباً معيَّراً من « التوكسين انتي توكسين » فكان ذلك سبباً في ذيوعه وتعميمه لتحصين الاطفال والافراد القابلين للعدوى . ومما يؤسف لهُ ظهور بعض العواقب غير المحمودة لاستعمال هذا المركب . ويعزى ذلك الى خطإٍ في تركيبه وتحضيره ، فكان باعثاً على صرف النظر عنهُ الى محاولة استعمال التوكسويد (التوكسويد هو توكسين الدفتيريا مضافاً اليهِ مادة

الفورمالين بحيث يضعف فعلها التسممي مع بقاء مقدرتها على توليد المناعة) بدل التوكسين لقلة ضرره اذا قيس بالتوكسين مع كفائته في التحصين. وأول من استعمل مركباً من التوكسويد والانتي توكسين هم الانجليز والاميركيون وكانت نتائجه محمودة . أما الممالك الاخرى وخصوصاً فرنسا فاقتصرت على استعمال التوكسويد وحده فأسفر فيها عن نتائج تفوق ما كان منتظراً منهُ ويرجع فضل ذلك في فرنسا الى اكتشاف رامون سنة ١٩٢٤ لخواص هذا التوكسويد الذي سماه « اناتوكسين رامون »

وتركيبه هذا عبارة عن توكسويد ، محضر باضافة فورمالين الى السموم المرشحة من مزرعة دفتيريا في مرق ؛ ثم حفظه في فرن التفريخ مدة طويلة كافية لازالة قوته السامة وهو مع ذلك لم يفقد خاصة اتحاده بالانتي توكسين بل يظلُّ كفوءاً للتحصين كما تبين ذلك من التجارب العديدة

***

ويحسن هنا ان نشير الى طريقة شيك المتبعة لكشف قابلية العدوى في الاشخاص. فهي عبارة عن حقن مقدار يسير جداً من التوكسين داخل الجلد ومراقبة تأثيره المحلي في الجلد . فمن كان قابلاً للعدوى ظهر في مكان الحقنة التهاب يختلف شدة وضعفاً باختلاف قابلية الشخص للعدوى وتعتبر التجربة ايجابية وليس لها أي تأثير ضار بالشخص . واذا لم يبدُ أي تفاعل موضعي يعتبر الشخص سلبيَّ النتيجة لتجربة شيك أو غير قابل للعدوى لتمتعه بنوع ما من المناعة الطبيعية ضد الدفتيريا وتعرف هذه التجربة باسم كاشف شيك Schick

ويقول رامون ان الحالات التي اصبحت سلبية لتجربة شيك بعد تحصين تام بالاناتوكسين (أي بعد ٣ حقن) بلغت نسبة النجاح عندهم من ٩٤ الى ٩٨ في المائة أي ان نجاحها فاق كثيراً نتائج استعمال « التوكسين انتي توكسين» بل ان كثيرين غيره من العلماء منهم ديكس وسفارتس وجيتي يذكرون الاناتوكسين بالنجاح الكامل اذ بلغت نسبة النجاح عندهم ٩٨ ٪ أو ما يزيد

وطريقة الوقاية به هي أن يعطى على ثلاث دفعات حقناً تحت الجلد الاولى نصف سنتمتر مكعب والثانية سنتمتر مكعب بعد ثلاثة أسابيع من الحقنة الاولى . والاخيرة حقنة تختلف من سنتمتر مكعب الى سنتمتر ونصف بعد اسبوعين من الحقنة الثانية . ومنعاً لما قد يحدث من تفاعل في البالغين يحسن اعطاء مقادير صغيرة تتراوح بين عُشر سنتمتر مكعب وربع سنتمتر حقناً تحت الجلد قبل اعطاء العلاج الواقي السالف الذكر

وللحقنة الثالثة شأنها الكبير وقد وجد ان ٣٣ ٪ ممن اكتفوا في الوقاية بحقنتين يظلُّ امتحانهم يسفر عن نتيجة ايجابية لكاشف شيك دلالة على عدم تكون المناعة اللازمة لديهم[1]

وينصح رامون امعاناً في الوقاية لكل من أتمَّ العلاج الواقي اي الحقن الثلاث ان يأخذ سنوياً حقنة اناتوكسين مقدارها سنتمتر مكعب واحد

(١) وقد جاء في بعض الجهات المثلية أنهم قد سنوا هذه الطريقة بحيث يكتفي بحقنتين بدلا من ثلاث حقن

والثابت الآن أن المناعة تتم في نهاية الشهر الرابع من أخذ الحقن ، وتبلغ أقصاها في الشهر السادس كما يتبين جليًّا من مراقبة المحقون بتجربة شيك وتستمر المناعة في الاطفال عامين أو ما يزيد اذا لم يتم العلاج كله . أما اذا أتمّ الحقنة الثالثة فالمناعة اكيدة مدى أعوام طويلة

***

ولقد كان لتعميم استعمال « الاناتوكسين » للوقاية بفرنسا أكبر الفضل في اختفاء أوبئة الدفتيريا من جلّ المعاهد والمدارس وتدليلاً على ذلك يذكر موزار انهُ حقن ما يزيد على ٣٠٠٠ طفل في مستشفى برش في مدى سنوات اربع بدايتها ١٩٢٥ ، ففي العامين الاوليين اي ١٩٢٦ و١٩٢٧ كان عدد حالات الدفتيريا ١٠٣ وعدد الوفيات بها ٨ ، اما في العامين التاليين لهما اي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ فبالرغم من شدة التعرض لعدوى جديدة من المرضى الجدد لم تظهر سوى خمس حالات في ١٠٠٠ طفل محصّن . وحتى هذه الحالات الخمس كان شفاؤها سريعاً

أما في المدارس فقد هبطت عدد الاصابات بالدفتيريا في المحصنين الى حد أدنى

وفي عام ١٩٢٨ عممت الحكومة التحصين المجاني بالاناتوكسين رامون

وفي فبراير ١٩٢٨ حقن ٥٥٠٠ طفل في المدارس الابتدائية منهم ٥٠٪ تقل أعمارهم عن ٦ سنوات ولم يمرض أحدهم بالدفتيريا لغاية سبتمبر سنة ١٩٢٨

وفي اجتماع يناير ١٩٣٠ لجمعية طب الاطفال ذكر لبربوليه وجورنيه ان ظهور اصابات الدفتيريا في الافراد المحصنين أمر نادر الحصول ، بل وجدا انها لا تظهر الاّ فيمن لم يتم العلاج بحقنه الثلاث

وكذلك اتضح جليًّا فائدة هذه الطريقة في الوقاية من الدفتيريا ، فاصبح فرانسا تعميم استعمالها كطريقة صحية ناجعة في فرنسا عموماً وادخلت حتى في الجيش

ثم اتخذتها بلجيكا وهولندا طريقة للوقاية من الدفتيريا فنشأ عن ذلك هبوط عظيم في عدد الوفيات بهما كما دلت على ذلك تقارير مصالح الصحة

***

وكان لنجاح طريقة التحصين ضد الدفتيريا بالحقن في امريكا أكبر الاثر في انكلترا في البداية ، ولكن النجاح الباهر الذي نالهُ في انكلترا بعد ذلك فاق كل وصف . فمثلاً في ادنبره حصّن ١١ الف نفس وبقي ٩٥ الف بغير تحصين فبلغت نسبة الاصابات بالدفتيريا في غير المحصنين ١٠ امثالها في المحصنين ولم تحصل اي وفاة في المحصنين ، وقد بلغت الوفيات في غير المحصنين ٦٣ من كل ١٠٠٠٠٠ نفس وهذا احصاء واحدٌ فقط من الاحصاءات التي تبين اثر التحصين ومفعوله في انكلترا مما ادى الى تعميم استعماله في جميع انحاء انكلترا واسكتلندا وارلندا ، ومما يستحق الذكر دلالة على عدم ضرر التحصين انهُ لم يصب اي واحد من ١٥٠٠٠٠ نفس حصنوا بها باي ضرر يذكر

وفي الولايات المتحدة ويبلغ سكانها ١٢٢ مليون و ٧٠٠ الف نفس عام ١٩٣٠ بدأ التحصين ضد

الدفتيريا من امد طويل، ولكن المجهود الجدي بدأ حقيقة عام ١٩٢٩ — ١٩٣٠ حيث عم التحصين في نظام مضمون وكانت اصابات الدفتريا عام ١٩٣٠ تبلغ ٦٢٬٢٧٤ في الالف تقابل ٨٠٬٠٤١ في الالف عام ١٩٢٩ اي ان نسبة الاصابات هبطت من ٠٫٧ في الالف الى ٠٫٥ في الالف وهي قلة واضحة ولاشك

وكان عدد الوفيات في عام ١٩٣٠ — ٥٠ ٪ اقل منهُ عام ١٩٢٩ والاصابات قلت في عام ١٩٣٠ — ٦٥ ٪ والوفيات ٧٠ ٪ عن عام ١٩٢٨

ومن الادلة الواضحة ان في عام ١٩٣٠ حدثت ٣٥٣٠ اصابة وكان ٩٣ ٪ من اصحابها تقريباً ممن لم يتحصن ضد الدفتيريا و٢ ٪ ممن تحصن وهؤلاء لم يستعملوا العلاج كاملاً

اما عام ١٩٣٠ فقد قلت الاصابات فيهِ قلة واضحة مما دل على فائدة التحصين ضد الدفتيريا

***

اما في المانيا فقد اختلفت الآراء في بادىء الامر بين تحبيذ لهُ ورفض ولكن ساد اخيراً الاعتقاد بفائدة التحصين فذاع استعماله في كثير من المدن والمعاهد والمدارس

وقررت وزارة الصحة البروسية في نوفمبر سنة ١٩٢٧ تحصين جميع الاطفال الذين تقل اعمارهم عن خمس سنوات كما قررت تحصين كل من كان ايجابيًّا لتجربة شيك وعمره اكثر من خمس سنوات خصوصاً في الاماكن التي زادت فيها اصابات الدفتيريا

وفي كندا سنة ١٩٣٠ كانت اصابات الدفتيريا ٧٥٣٤ والوفيات ٥٧٩ يقابل ذلك في عام ١٩٢٩ ٨٨٨٤ اصابة و٨٧٩ وفاة ويدل ذلك على نقص في اصابات الدفتيريا ووفياتها . وما من شك في ان النجاح سيكون عظيماً عند اتمام التحصين العام الذي بدأ عام ١٩٣٠

امام هذه الدلائل الواضحة على فائدة التحصين ضد الدفتيريا نجد ان ممالك الارض طرًّا قد اتخذتهُ كاداة ناجعة في الوقاية من مرض طالما فتك بالانسانية . ومن ذلك مثلاً ما قررتهُ اليابان والصين وبلدان اميركا الشمالية والجنوبية وروسيا وجميع ممالك اوربا

***

اما مصر فلا يمكن اعتبارها بين البلدان التي تحسب معرضاً للدفتيريا ولكن الجدول الآتي يحتوي على نسبة اصابات الدفتيريا في القاهرة : —

٣٣٣	اصابة عام	١٩٢٦	اي بنسبة	٣٠٫٣	في ١٠٠٬٠٠٠
٤٨٦	»	١٩٢٧	»	٤٤٫١	»
٣٤٤	»	١٩٢٨	»	٣١٫٣	»
٣٠٥	»	١٩٢٩	»	٢٧٫٦	»

وهي نسب عالية وقد لاحظتها مصلحة الصحة العمومية ، فعملت على تحضير الاناتوكسين في معاملها بالقاهرة حتى تزود المصريين بسلاح ناجع في مقاومة هذا المرض الخطر على غير المحصنين

سوريا في زمن الصليبيين

[تتمة البحث]

لفؤاد زيادة

الصليبيون وجموعهم

كانت اوربا المسيحية في القرنين العاشر والحادي عشر تختلف كل الاختلاف عن الصورة التي رسمناها للشرق . كان الاقطاع سبيل الحياة السياسية ، الا حيث قامت المدن التجارية التي ابتاعت حريتها من النبلاء ، لقاء ضريبة تدفعها لهم . وقد فرض هذا على الاتباع قيوداً اجتماعية سياسية ثقيلة جداً ، كما فرضت عليهم الحياة الزراعية قيوداً اقتصادية . ولم يعرف الحرية الا اولئك التجار الذين كانوا يتجولون بين اوربا والشرق . وكانت الكنيسة قد سيطرت هناك على العقول ، فأغلقت دونها أبواب المعرفة الا ما رضيته ووافق عقائدها وتقاليدها ، فكانت آمال اتباعها في السماء ، وسبيل تحقيقها ارضاء الرئيس الروحي أو التبرك بأثر من آثار القديسين أو الحج الى البلاد التي قضى فيها المخلص أيامه على الأرض[1] . وهذه فكرة جديدة تستهوي الافئدة ، وتملك الالباب ، ذلك أن عودة المسيح أصبحت قريبة فليعمل كل جهده ليكون له ملكوت السماوات . فكان همُّ الكبير والصغير ، المجرم والبريء ، أن يفوز بهذه النعمة

وهذا الطاعون والقحط ، يهجمان على غرب اوربا في أواخر القرن الحادي عشر ، فيتركان الناس على شر ما يكونون[2] ، فقر مدقع ، وارض ليس من يعمل فيها ، ويأس من النجاح في بلادهم . فسعى بعضهم الى الارض المقدسة ليكفر عن ذنبه ، ودخل آخرون الدير ليصوموا ويصلّوا[3] . ومن هنا كانت بين الجماعات الأوروبية نزعة قوية نحو تبديل ما هم عليه ، وميل الى تحسين أمورهم[4] ، وكثيرون خرجوا من بلادهم ليعملوا في مكان آخر لندرة الاعمال عندهم[5]

والتجار الذين سحرتهم ثروة الشرق ، وراقتهم اسواقه ، رغبوا في أن يكون لهم منها حصة اكبر ، لتزداد مغانمهم ، ويقوى نفوذهم ، لاسيما وان التنافس بين تجار المدن الايطالية نفسها كان قويّاً ، والتزاحم كان شديداً[6]

---

(١) راجع « الرحلة والرحالون في القرون الوسطى » — المقتطف (٢) Lamb 39,43 (٣) Lamb 33 والرحلة والرحالون (٤) Prutz 15 (٥) جوانفيل ١٧ (المقدمة) (٦) الخشني ١٠٨—١٠٩

أو الناقة على الحياة الاجتماعية بما يتفق ورغبته. فهم تكال للسلمين جزافاً[١] — «هم عباد اصنام[٢] ..» «وهم يعبدون محمد كالٰه[٣]» وهم جبناء ضعفاء تعوزهم الشجاعة ... يعمدون في الحرب الى طريقة الهرب ... سهامهم مسمومة، وهي، لا الشجاعة، التي تنزل الموت بعدوهم[٤]» — ليزيدوا حماستهم. وتشويق المؤمن الى ملكوت السموات، والمجرم الى الغفران، والعبد الى الحرية[٥]. والجائع الى الشبع، والفقير الى الثروة، والامير الى الامارة، والفارس الى الاجر[٦]، والتاجر الى الربح[٧]، والشهواني الى النساء الشرقيات الجميلات — كل يخلع ثوبه ويرتدي ثوب التقي والصلاح، ويضع شارة الصليب، لانها حرب دينية

هذه الحملات الصليبية اذن حققت تلك الاماني التي كانت تخفق بها الصدور، واوجدت للقوى والرغبات الحبيسة منفذاً للانطلاق، ومجالاً للعمل، وسبيلاً للاعلان عن نفسها[٨]. ثم فقدت بعد سنين، صبغتها، وصار للفرنسيين والبنادقة اعمال اخرى[٩]. من دون ان يعنى الآخرون بالدين في فلسطين. وبعض الامراء أرادوا ان يتخلصوا من نقمة ملك فرنسا عليهم، فحملوا الصليب ذراً للرماد في العيون[١٠]

والحملة الصليبية الاولى. والفظائع التي ارتكبتها في طريقها[١١]. وفي احتلال القدس[١٢]. يحت مما يشرف. وقد تظهر لنا رغباتهم من خلال تصرفهم السيء مع مسيحيي فلسطين انفسهم. فقد استولوا على اديرتهم. وطردوهم من الكنائس والبيوت. فتبعثر المسيحيون في جهات فلسطين وشرق الاردن[١٣] وكان بطريركهم يقيم في القسطنطينية أو في القاهرة تحت حماية الخلفاء الفاطميين[١٤]

وعلى هذا فان هذه الروبعة الاجتماعية التي هبت على اوربا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. كانت لها عوامل اقتصادية وسياسية ودينية[١٥]. وقد هزت شعوب اوربا من بروج الى صقلية. وحملت في مدى القرنين الى سوريا نماذج من جميع الاصناف والاجناس البشرية التي كان العالم الاوروبي يعج بها[١٦]. وعلى ما بينها من تفاوت في الجنس واللغة والفكر، فقد كانت كلها تجمعها وحدة الدين والحماسة والشارة[١٧]. فهم على حد تعبير شرف الدين ابن عنين[١٨]

قد اجتمعوا رأياً ودينا وهمة وعزماً وان كانوا قد اختلفوا سنا

---

(١) Prutz 88 (٢) الكلية ١٨ : ٢٠٨ — ٢٠٩ و Lamb 153 (٣) الكلية نفس المكان (في الكلية ١٨ : ٢٠٦ — ٢١٢ مقال في الموضوع) (٤) الكلية ١٨ : ٢١٠ والنوادر ١٢١ (٥) Prutz 16 وفي نفس الكتاب ٧٢ — ٨٨ و ١٠٨ — ١٠٩ (٦) جواتيل ٤٢٦١، ٤٢٦٢، ٤٢٦٤، ٤٢٦٥، ٤٢٦٢، ٣٠٢٦٢ (٧) المسني ١١٠ (٨) Prutz 15 وجواتيل ٣٣ — ٣٤ (المقدمة) و Kugler 65,426-7 (الاصل) ١٧٦ (٩) جواتيل ١٦ (المقدمة) (١٠) جواتيل ١٧ (المقدمة) (١١) ولمج Lamb 175 عن احتلال المرة (١٢) Kugler 61 (١٣) تاريخ الكنيسة ٧٠ (١٤) نفس المكان (١٥) حتي — كتاب المتطف الذهبي — ١٤٣ و Prutz 119 (١٦) La Monte 203 و Lamb 126 (وهذه رواية مؤرخ معاصر هو فلكر) (١٧) Kugler 11 و Lamb 126 (١٨) المقريزي (السلوك) ١ : ٢١١

تداعوا بأنصار الصليب وأقبلت جموع كأن الموج كان لهم سفنا

كان في الجيوش الصليبية . ومع التجار الصليبيين [١] . الفرنسيون من مختلف المدن [٢] . واللومباردیون [٣] من مدن ايطاليا التجارية الشمالية . والمالطيون [٤] . والاسبان [٥] والاسكندنافيون [٦] . والانكليز . والهنغاريون [٧] . والبلغاريون [٨] . والجرمان من القبائل المتفرقة في أواسط اوروبا وكان عددهم كبيراً جداً حتى تألفت منهم فرقة الفرسان التوتون . وكانت فلاحهم الخاصة حصينة [٩] . وكان بين هؤلاء القادمين على رواية المؤرخين المعاصرين من الغربيين . القاتل . واللص . وقاطع الطريق . والمجرم [١٠] . والقرصان . والسكير . واللاعب . والراهب . والراهبة . والرجل . والمرأة . والطفل . والعاهرة . والمحكوم عليه بالاعدام [١١] . والملك . والأمير والفلاح . والتاجر . والنبيل . والغني . والفقير . وباختلاف هم اختلفت الغايات والاطماع [١٢] . من دينية خالصة . الى مادية بحتة . والأخيرة هي التي غلبت متسترة بالأولى [١٣] . وقد كان هناك من جاء يفتش عن اميرة شرقية غنية يتزوجها [١٤]

***

انهُ لمن الصعب تقدير عدد الاوربيين الذين هبطوا البلاد السورية في القرنين المذكورين ، فان هذا البحث لم يستوفه المؤرخون بعد ولكننا نسمع دائماً الارقام تعلو عشرات الالوف الى المئات في الحملة الواحدة . فالحملة الاولى كانت نحو نصف مليون [١٥] والثانية فاقتها [١٦] والثالثة بلغت ربع المليون [١٧] وفي حصار عكاء كان عدد الافرنج لا يقل عن خمسمائة من الآلاف [١٨] حتى ان القاضي ابن شداد ركب دابته بعد احدى المعارك العادية في تلك السنوات ، وخاض بين القتلى واجتهد ان يعدهم فلم يقدر [١٩] . وهناك غير المتحاربين التجار والحجاج الذين زاد عددهم كثيراً في هذه الاثناء ولذلك فلا يبعد ان يكون عدد الذين اشتركوا في هذه الحروب مليونين من الافرنج [٢٠]

---

(١) ان التجار وحركتهم جزء من الحملات الصليبية . راجع La Monte 227,8,30,33,34 (٢) Prutz 25 وقد كان عدد الآتين من بريتني كبيراً حتى انشىء لهم مستشفى خاص بهم في عكاء (١٢٥٤) . (٣) Prutz 112 ؛ الخطط ١ : ٢٨٤ و ٣٠٤ والحسني ١١٠ (٤) Prutz 112 (٥) راجع Prutz 112 و Lamb 43 و 277-9 (٦) مثل سيجور وجماعته . راجع EarlyTravels 60-62 و Kugler 10,11,104 (٧) وقد عثر في البلاد السورية على نقود هنغارية وغيرها . Prutz 113 (٨) ابن جبير ٢٩٣ (٩) منها قلعة القرين في ضواحي عكاء (١٠) بركهارد في Prutz 119 (١١) يعقوب تقري — في Prutz 119-120 ، راجع ايضاً Lamb والفتح ١٦٩ — ١٧١ (١٢) Kugler 11,21,31 و Prutz 337 و La Monte 228,230-1 (١٣) Prutz 120-1 (١٤) في Prutz 121 امثلة كثيرة لهذا النوع من المحاربين (١٥) Kugler 30 وميشو — في الخطط ١ : ٢٧٩ راجع ايضاً La Monte 136 و Lamb 276-7 (١٦) Kugler 137 (١٧) Kugler 23 راجع الهامش (١) (١٨) الخطط ٢ : ٢١ (١٩) النوادر ١١٣ (٢٠) الحسني — عن تحف الزهور — ٩٩ وتقدر محمد كرد علي (الخطط ٢ : ١٢٨) عدد من نقل من الفرنجة والغربيين بخمسة ملايين

والامراء جالت في نفوسهم خواطر متعددة عن أمارات خاصة ينشئونها ، في البلاد التي «تفيض لبناً وعسلاً» ، حيث لا ملوك يحكمونهم [١] . والفرسان كانت تعروهم هزة اذا هم ذكروا انهُ من الممكن أن يحققوا الاغراض التي أقسموا ان يسعوا وراءها ، يوم قلدوا وشاح الفروسية

والبابا [٢] كان يتطلع وهو شديد الشوق الى اليوم الذي يستطيع فيه أن يعيد الكنيسة البزنطية الشرقية والارمنية الى حظيرة الهدى ، وحصن الطاعة الروحية

هذه هي الهواجس التي كانت تجول في الخواطر ، لما ان جاءت رومة ، او ادعي ان قد جاءت رومة [٣] ، رسالة صاحب بزنطية ، يستنجد بحامي النصرانية الاكبر ، ان يوقف التقدم الحثيث ، تقدم الجيوش التركية ، في هجومها العنيف على دولته الكبيرة

وسنحت الفرصة ، وكان على العرش الروحي ، البابا الفعي [٤] ، اوربانوس الثاني ، الفرنسي الاصل . فنسل الى كلرمون الفرنسية ، في خريف ١٠٩٥ ، ووقف بين مئات من رجال الدين والامراء وآلاف من غيرهم [٥] ، وقال «ان الاتراك قد أسروا وقتلوا كثيرين (في الشرق) وهدموا الكنائس ودمروا مملكة الله [٦]» . وطلب من الحاضرين [٧] «ان يذكروا الالوف الذين لاقوا موتاً شنيعاً» وعدد الفظائع التي زعم ان الشرقيين ارتكبوها مع الحجاج المسيحيين ومع مسيحيي الشرق ، وفي الكنائس . وذكرهم بقول المسيح ان من ترك بيته وارضه وأهله من أجلي ، جوزي على ذلك بمائة ضعف ، ونال ملكوت السموات . ولما وثق أنهُ أثار الشجون ، وأسال العبرات ، استصرخهم : «فعلى عاتق أي غيركم يقع اذن واجب الانتقام ؟ من أعمال الظلم هذه ؟ واسترداد الاراضي المقدسة؟ انتم الذين حباكم الله بالاصالة والشجاعة الفائقة ؟ والقوة الجسدية والمقدرة على الانتصار على كل من يجرؤ على مقاومتكم ؟ لا ترهبوا الموت ، لأن فيه تاج الشهادة . فالطريق قصير ، والعناء قليل ، والجزاء وفير أبدي . احلوا سلاحكم وامضوا فانهُ خيرٌ لكم ان تقعوا في المعركة من ان تتألموا لما يصيب اخوانكم ، وما تتعرض له مقدساتكم . سيروا . . . فاني أرى أمامكم في الطليعة ، القائد الذي لا يغلب — المسيح»

وفعلت هذه الكلمات فعلها في نفوس الجماهير ، فصاحت «ارادة الله ، ارادة الله» وشجع كل من سمع الخطاب من لم يسمع ، وكذلك انضم الناس الى الجيوش التي بدأت في السنة التالية تهد على سوريا لتنقذ البلاد المقدسة من أيدي حكامها المسلمين . وروج كل طماع السعوة بين الفئات المتدينة

---

(١) Lamb 44 و Kugler424 (٢) Prutz 120 و Kugler 86و Lamb 53, 65-6,25,69,95 وتاريخ الكنيسة ٧٥ و La Monte 295 والعلاقة بين البابا والفرق الدينية في La Monte 206 والتاجر الايطالي والبابا وهناك بحث واف في العوامل التي دفعت البابا الى اثارة الحروب في Lamb 277-9 (٣) Lamb 277-8 (٤) Lamb 41,43,44 (٥) حضر الاجتماع ١٤٠ من رؤساء الاساقفة و٢٢٥ مطراناً و ٤٠٠ رئيس دير — Kugler 18 (٦) الكنيسة ٢٠٧ :١٨ و Kugler 11 (٧) Lamb 48-9

الاختلاط في سوريا

يبدو لنا الآن ونحن ننظر النظر المشارف مدى احتكاك هذه الملايين من مختلف الاجناس البشرية، والعادات والاخلاق خلال قرنين ، والاثر العميق الذي تركه هذا الاختلاط في نفس الجماعات الغربية التي اتيح لها ان تعاشر اقواماً راقين ، مخالفين لهم في الدين والمدنية . وهذا الاحتكاك امر فرضه التجاور في المسكن ، والتبادل في المصلحة . فان الصليبيين بعد ان استوطنوا سوريا ، ورأوا ماعاد عليهم من الفائدة المادية ، كان امراؤهم وتجارهم يحبون ان ينتشر السلم ويستتب الأمن بينهم وبين جيرانهم المسلمين ، ليعيشوا في اطمئنان[١] وليضمنوا لتجارتهم سيراً امناً الى اسواق بغداد . وكان اكثر الساعين الى ذلك تجار ايطاليا في الموانىء الكبيرة .حتى انهُ لم يكن غريباً ان يكون بين المسلمين والصليبيين حروب ومعارك ، وفي نفس الوقت تروح القوافل بالمتاجر وتجيء[٢] وليس عليها الا ان تدفع الجعل[٣] . وقد يتفق ، كما روى ابن جبير ، ان يدخل سبي الافرنج مدينة ، وتخرج في نفس اليوم قافلة من تجار المسلمين الى بلاد الصليبيين[٤] .اضف الى هذا ان امراء الصليبيين قد جندوا كثيرين من اهل البلاد في جيوشهم[٥] .ثم ان جهل هؤلاء الامراء اصول الزراعة ، وقلة الزراع الافرنج ، حملهم على استخدام السكان الوطنيين . وكانوا بادىء الامر يشتدون معهم ، لكن بعد حين احسنوا اليهم[٦] واقطعوا اصحاب النفوذ منهم الارض[٧] بل ولّوا على بعض الضياع التي كان لايعمرها الا المسلمون ، رؤساء مسلمين من قبلهم ، حتى في امكنة قريبة من مراكزهم[٨] . وكثيراً ما قيل ان فارساً افرنجياً اخذ اقطاعاً من امير عربي ، لقاء مال دفعهُ اليهِ[٩] . وقد كانت بعض الاراضي الواقعة على الحد بين المسلمين والصليبيين تقتسم غلاتها مناصفة، مثل البطحاء بين بانياس وهونين[١٠] وعلى هذا فقد كان الافرنج والمسلمون يعيشون معيشة ترفيه ، حتى ان ابن جبير اضاف الى وصفها[١١] « نعوذ بالله من الفتنة» . ولعل اغرب ما روي عن الاتفاقات التي عقدت حينئذٍ ما رواه ابن جبير ، من انهُ كانت شجرة كبيرة بين بيت جن (الشامية) وبانياس ، تسمى شجرة الميزان ، وهي حد بين الامن والخوف فمن اخذ وراءها (شرقها) الى جهة بلاد المسلمين ، ومن اخذ امامها (غربها) فالى جهة بلاد الافرنج . ولهم في ذلك عهد يوفون بهِ[١٢]

وهكذا فقد ضعف النفور بين السكان انفسهم من الفريقين[١٣] حتى ان ابن جبير لاحظ

---

(١) Prutz 61,62 وحتى انه لما استولى ابن قلاون على عكاء كان فيها تجار مسيحيون اوربيون (٢) ابن جبير ٢٦٨ و Prutz 360 (٣) الحسني ١١٥ (٤) ابن جبير ٢٨٠ و ٢٨٢ وجواتيل (٢٤٦) يقص حكاية يوحنا الارمني الذي ارسله صليبيو عكاء الى دمشق ليبتاع معدات عسكرية مع ان صاحب دمشق والافرنج عكاء كانوا في حرب (٥) موزرو — الكلية ١٨ : ٢١١ و Lamb 270 ولامونت . (٦) الحسني ١٠٦ وموزرو — الكلية ١٨ : ٢١١ و La Monte ٢٠ (المقدمة) (٧) اسامة ٣ - ١٠ و ١٢٠ و La Monte 21 (المقدمة). (٨) ابن جبير ٢٨٤ واسامة ٨٢ (٩) اسامة ٩٧ «القرية كانت بيننا وبين فارس من الافرنج كفر طاب و Lamb 173 (١٠) ابن جبير ٢٨٢ — ٢٨٣ (١١) ابن جبير ٢٨٤ (١٢) ابن جبير ٢٨٤ (١٣) Prutz 61

ذلك في اهل صور فقال عنهم انهم [١] « ألين في الكفر طبائع ، واجرى الى بر غرباء المسلمين شمائل ومنازل ، نخلائقهم اسمح ، ومنازلهم اوسع واربح ، واحوال المسلمين بها أهون واسكن » وقد شهد ابن القلانسي بصور عرساً صليبياً ، فوصفه ، ووصف ثوب العروس المزركش الفضفاض ، ومشيتها الفاتنة ، ونقلها الى بيت عريسها ، يتقدمها المسلمون وسائر النصارى من النظار ، وليس من ينكر ذلك [٢] . حتى الرهبان كانوا يضيفون المسلمين في الدير [٣] واهل لبنان المسيحيون يقدمون للمنقطعين لله من المسلمين القوت ، ويحسنون اليهم [٤]

ويحدثنا المؤرخون المعاصرون عن الثقة المتبادلة بين المسلمين وجيرانهم من الصليبيين ، بعد ان اقاموا في البلاد مدة ، وتبلدوا وعاشروا المسلمين [٥] وكثيراً ما كان صاحب الامر في جهة ، يمر به رسول عدوه فيكرمه [٦] او يطلب احدهم الامان لجماعة تجتاز بلاده فلا يبخل بذلك [٧] وتسل المعرفة بينهم حدود المودة ، كهذا الذي يحدثنا اسامة عنه ، فانه كان فارساً محتشماً وصل من بلادهم يحج ويعود . فأنس باسامة ولازمه وكان يدعوه « أخي » وبينهما المودة والمعاشرة [٨] . وهذا صلاح الدين ، يقدم عليه صاحبه بالناصرة ، فيحترمه ويكرمه ويثوا كله ، ويعرض عليه الاسلام ويذكر طرفاً من محاسنه ويحثه عليه [٩] كما ان تبادل الهدايا مع الرسل كان مألوفاً [١٠]

فسوريا اصبحت لهؤلاء الصليبيين بلاداً تفوق غيرها بالحرية حيث الملك والبطريرك والامراء والتجار والحجاج والعامة من الناس جربوا ان يتبلدوا مع جيرانهم من المسيحيين الشرقيين [١١] والمسلمين

والحق ان الاختلاط الاجتماعي [١٢] بدأ بين الشرقيين والغربيين بعد مرور زمن قصير جداً من نزولهم البلاد . فان بلدوين ملك القدس ارسل لحيته . وحيّى بالانحناءة الشرقية . واكل على بساط على الارض . وقدم امامه المبوقين على عادة سلاطين الشرق . وتنكر واتخذ الزي الشرقي . فلبس العمامة والجبة المرصعة بالجوهر . [١٣] وعلى هذا سار كثير من الامراء فيما بعد . حتى ان الامير هنري طلب الى صلاح الدين ان يبعث له بعمامة وفروة . لان الفرنج يحبون هذا الزي [١٤] ولم يقتصر هذا على الامراء . بل شمل الكل تقريباً . رجالاً ونساء [١٥] وحذا الفرنجة حذو الشرقيين في اعيادهم وحفلات لهوهم . فاستخدموا جوقات الطرب في ساعات السرور . وقلدوهم في بناء دورهم . فجعلوها فسيحة ذات غرف واسعة ودواوين مكشوفة [١٦] وقلدوا الشرقيين كذلك في مآكلهم . واتخذوا طباخات مصريات . وامتنع بعضهم عن اكل لحم الخنزير تقليداً للمسلمين [١٧]

---

(١) ابن جبير ٢٨٧ (٢) ابن جبير ٢٨٨ (٣) ابن بطوطة ١ : ٤٩ (٤) ابن جبير ٢٦٨ (٥) اسامة ١٣٤ و١٤٠ و ١٩٦ و Lamb 262 ينقل قول فكر المصر « ان الثقة المتبادلة جمت » (٦) اسامة ٨٢ و٨٧ (٧) اسامة ٣٤ (٨) اسامة ١٣٢و١٤٠ (٩) النوادر ٢٤ (١٠) القلانسي ٣٥٦ (١١) Lamb 262 (١٢) جوائيل ٢٦١ — ٢٦٣ (١٣) و(١٤) Prutz 62 (١٥) Early Travels واسامة ١١٦ (١٦) حتى كتاب المقتطف الذهبي ١٤٥ — ١٤٧ (١٧) اسامة ١٤٠

وقد كان كثيرات من المسيحيات في حريم الامراء والكبار من المسلمين . وكان اولادهن دعاة سلم . وعمّال صلح بين الفريقين[١] وكان صاحب جبيل (الصليبي) متزوجاً ابنة سلطان حلب[٢] وتزوج كثير من الصليبيين بنات البلاد المسيحيات اومن تنصر من المسلمات كما ان المسلمين تزوجوا مسيحيات ابقين على دينهن او اسلمن[٣]

واعجب الافرنج ببراعة السوريين في الرماية والمسابقة واللعب الصوالجة . واخذوا يرتاضون بها . ويتمجنون على منوالها[٤] وكثر اجتماع الفرسان من الفريقين للرياضة والصيد وعقدوا لهذا عهوداً خاصة[٥] وكانوا يقبلون هدايا بعضهم بعضاً كان نوعها حتى في ايام الحرب[٦] وشملت هذه العادة فرسان الفرق الدينية الصليبية والحشاشين الشرقيين[٧] كما ان الجند العادي كان اذا وقفت رحى الحرب انس البعض بالبعض بحيث ان الطائفتين كانتا تتحدثان وتتركان القتال وربما غنى البعض ورقص البعض لطول المعاشرة . ثم يرجعون الى القتال بعد ساعة[٨]

وكثيراً ما احتفظ السلاطين والملوك والامراء برهائن توثيقاً لحلف اومعاهدة . وهؤلاء الرهائن كانوا عادة من كبار القوم وابناء الامراء . ومعاشرتهم لاندادهم من المسلمين كانت ذات اثر طيب في تعريف الفريقين كل بالآخر[٩] حتى الاسرى كان امراء المسلمين يعاملونهم معاملة حسنة . ويعطونهم قسطاً وافراً من الحرية . وعلى هذا المنوال كان حظ بعض المسلمين في اسرهم عند الصليبيين[١٠]

وتعلم كثيرون من القادمين اللغة العربية ليتمكنوا من التخاطب مع السكان في المتاجرة والمناسبات الاجتماعية[١١] كما تعلم بعض الشرقيين اللغة الفرنسية والايطالية[١٢] واتخذ كثير من الامراء كتاباً شرقيين يتكلمون العربية وغير العربية من اللغات الشرقية[١٣] كما انه كان من حق الاستاذ الاعظم ونائبه في الفرق الدينية ان يكون له كاتب عربي[١٤] وعمل العرب كتاباً وتراجمة للتجار واصحاب المعامل التي انتشرت في المدن السورية[١٥] ، وقلما فرق هؤلاء في المعاملة بين المسلم والمسيحي الشرقي[١٦] وقد رأى ابن جبير في عكاء كتّاب الديوان من النصارى يتكلمون العربية ويكتبون بها[١٧]

وقد ادرك الصليبيون من اول الامر تفوق الشرقيين عليهم في الطب ، فكانوا يستدعون اطباء المسلمين لمعالجتهم[١٨] والصليبيين العذر في استدعاء اطباء المسلمين اذا كان اطباؤهم من ذلك النوع الذي اورد ذكره اسامة بن منقذ في الاعتبار[١٩] فقد روى ان صاحب المنيطرة كتب الى عمه يطلب

---

(١) و(٢) Prutz 63 (٣) Prutz 141-3 والكلية ١٨ : ٢١٢ (٤) حتى في كتاب المتطف الذهبي ص ١٤٤
(٥) Prutz 68-9 والكلية ١٨ : ٢١٢ (٦) Prutz 89 (٧) جوانفيل ٢٤٥ و٢٤٨ و ٢٥٠
(٨) انوادر ٩٢ (٩) اسامة ١٠٥ والمقريزي «السلوك» ١ : ٢٠٨ وللفتح ١٩٣ (١٠) الكلية ١٨ : ٢١٢
(١١) جوانفيل ٢٤٦ والنوادر ٨٠ (١٢) Prutz (١٣) جوانفيل ٢٧٧ و Sykes 64 والخطط ٤ : ٣٩ (١٤) دائرة المعارف البريطانية مادة Templars (١٥) Prutz 145 (١٦) Prutz 146 والكلية ١٨ : ٢١١ (١٧) ابن جبير ٢٨٥ (١٨) Prutz 62 فلا عن يعقوب الصوري (١٩) اسامة ١٣٢–١٣٤

اشار طبيب يداوي مرضى من اصحابه . فارسل اليه « ثابتاً » فاقام عشرة ايام حتى عاد ، فقالوا له : « ما اسرع ما داويت المرضى » قال « احضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دملة ، وامرأة قد لحقها إشاف . فعملت للفارس لبيخة ، ففتحت الدملة وصلحت . وحميت المرأة وربطت مزاجها . فجاءهم طبيب افرنجي فقال لهم هذا ما يعرف شي يداويهم . وقال الفارس دايماً أحب اليك أن تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين . قال اعيش برجل واحدة . قال . احضروا لي فارساً قويا ونأساً قاطعاً . فحضر الفارس والفأس . وأنا حاضر . فحط رجله على قرمة خشب وقال للفارس : اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها . فضربه . وأنا أراه . ضربة واحدة . ما انقطعت . ضربه ثانية فسال مخ الساق . ومات من ساعته . وابصر المرأة فقال : الشيطان قد دخل في رأسها . فأخذ الموسى . وشق رأسها صليباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح . فماتت في وقتها . فقلت لهم : بقي لكم الي حاجة ؟ قالوا « لا » ، فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم اكن اعرفه . وروى اسامة عن أحد امراء الصليبيين[1] وقد رافقه من شكاء الى طبرية ، انهُ كان في بلد الامير فارس كبير القدر ، فمرض وأشرف على الموت ، فجاؤا الى قس كبير من قسوسهم ، واستصحبوه الى المريض . فلما رآه القس طلب شمعاً فليّنه وعمله مثل عقد الاصبع ، وعمل كل واحدة في جانب أنفه ، فمات الفارس

وقد كان عند الافرنج أمس آخر آثار استغراب العرب ، وهو عماتهم ، فقد كانوا لا يزالون يحتكمون الى وسائل الامم الجرمانية التي استعملتها في القرن الخامس للميلاد وقبله . وقد ذكر لنا اسامة انه مرّ بنابلس ، وحدث ان أحد الفلاحين اتهم انه كبس ضيعة من ضياع المدينة فقال الفلاح « انصفني : أنا ابارز الذي قال عني اني دللت الحرامية على القرية » فجاء صاحب القرية المقطع بحداد قوي ، واعطاها شحنة البلد عصاً وترساً ، واخيراً تغلب الحداد الشاب ، وبرك على خصمه يداخل أصابعه في عينيه ، ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله . فطرحوا في رقبته حبلاً وجروه وشنقوه ، اذ ثبتت لهم ادانته[2]

ولعلّ خير ما يمثل الاتصال بين الغربيين والشرقيين ما ذكره المقريزي عن الامبراطور فردريك من انهُ كان متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات ، وانهُ بعث الى الملك الكامل بعدة مسائل مشكلة في الهندسة والحكمة والرياضة فعرضها على الشيخ علم الدين قيصر الحنفي — المعروف بتعاسيف — وغيره فكتب جوابها[3]

فالاستيطان في البلاد الشرقية ، وتقليد الشرقيين ، والتزاوج ، والثروة التي حصل عليها الغربيون أنستهم بلادهم الاصلية ، فلم يفكروا بالعودة اليها ، ولم يسمعوا حتى باسمها ، واثبتت لهم أنهُ من الممكن للمسيحيين أن يعيشوا مع المسلمين على وفاق تام ، فيكون لكل حظه من العمل والاتجار

(١) اسامة ١٣٧ (٢) اسامة ١٣٧ — ١٣٩ (٣) السلوك « المقريزي » ١ : ٢٣٢

والورع والربح [١] ، بل ويكون لكل مصلى: فالمسلم مسجده والمسيحي كنيسته ، وبهذا نستطيع ان نعلل ما رواه المعاصرون من تَرك الصليبيين المتأخرين للمساجد في المدن . فالهروي يقول [٢] « ان جميع ما على أبواب الصخرة من آيات القرآن العزيز واسامي الخلفاء (ر) لم تغيره الافرنج» وابن جبير قضى مدة اقامته بصور بمسجد بقي في أيدي المسلمين [٣] ويضيف «ولهم فيها مساجد اخرى» ويصف الهروي [٤] مساجد عكاء ، وابن جبير وابن بطوطة يوافقانه على ذكر المساجد . ومن هذا ما رواه المؤرخون [٥] من انهُ لما زار الامبراطور فردريك القدس نزل في دار القاضي ، وفي تلك الليلة أمر القاضي المؤذنين ان لا يؤذنوا ألبتة . فلما أصبح قال الملك للقاضي « لمَ لم يؤذن المؤذنون على المنائر ؟ » فقال القاضي «منعهم الملوك اعظاماً للملك واحتراماً له» فقال له الامبراطور « لخطأت فيما فعلت . انهُ كان اكبر غرضي في المبيت بيت المقدس ان اسمع أذان المسلمين وتسبيحهم بالليل»

وقد تغير رأي الصليبيين في الشرقيين والدين الاسلامي . فقد بلوا من شجاعتهم الكثير من اول الامر . فبعد ان قالوا عنهم انهم يفرون من الحرب ولا يجرؤن على التلاحم في المعارك [٦] رأوا « انهُ ليس لهم الحكمة والعلم الكافي على وصف شجاعة الاتراك [٧] واعترفوا « بمهارة الشرقيين الحربية وفروسيتهم وكرم اخلاقهم »[٨] و« انهم محبو الضيافة والفائقون في الادب واللطف »[٩] ومن الجميل ان نلاحظ ان الصليبيين كانوا في السنين الاول من القرن نفسه قد عللوا عظمة عماد الدين زنكي بان جعلوه ابن الكونتس ايدا (Ida) التي اشتركت في حملة ١١٠١ ، وفي زمن الحملة الثالثة اعتقدوا ان قليج ارسلان من نسل جرماني شريف . ولكن بعد ان انتشرت شهرة صلاح الدين ، ظهرت خرافة تعلل عظمة توماس بكت احد مشاهيرهم بجعله ابناً لام عربية [١٠] ومن تأثرهم بالحياة الشرقية اعتنق كثيرون منهم الاسلام [١١] ، حتى شعر البابا فريغوريوس العاشر بالخوف من ذلك ، وبضرورة وضع حد لهذا الامر ، فحرم مديد المعونة الى المرتد [١٢] وفي معاهدة عقدت سنة ١٢٨٣ أرغم الافرنج على التعهد بحماية حقوق المرتدين عن الدين المسيحي [١٣]

***

ويحق لنا ان نسأل الآن ، ما كانت آثار هذا الاختلاط ؟ ما الذي حمل هؤلاء الغربيون من بذور المدنية الشرقية الى بلادهم ؟

المؤرخون والباحثون مجمعون على ان هذه الحملات احدثت انقلاباً كبيراً في الحياة الاوربية ، في

---

(١) Prutz 72 . وهذا ما كانت تقاومه الكنيسة لانه يحول دون تحقيق غايتها (٢) الهروي « الخطوطة ١٩ (٣) ابن جبير ٢٨٨ (٤) الهروي « الخطوطة» ١٩ (٥) المقريزي «السلوك» ١ : ٢٣١ـ٢٣٢ وهناك تجد الروايات المختلفة للقصة اللطيفة (٦) الكاية ١٨ : ٢١٠ (٧) الكاية ١٨ : ٢١١ و Lamb 120 وهو ينقل عن مؤلف معاصر هو كاتب الكتاب المعروف باسم Gesta (٨) الكاية ١٨ : ٢١١ وهنا ينقل موزو عن جيبرت (٩) الكاية ١٨ : ٢١٩ نقلا عن بركارد «١٢٨٣م» (١٠) موزو الكاية ١٨ : ٢١٦ (١١) موزو الكاية ١٨ : ٢١٩ عن رئيس فرقة الدومنيكان الاعمى (١٢) موزو الكاية ١٨ : ٢١٩ . صدر هذا الامر سنة ١٢٧٤ (١٣) نفس المكان

المجتمع ، والثقافة ، والحكومة [١] والقانون [٢] والبابوية ، والكنيسة ، والتجارة [٣] ولكن الخلاف بينهم في مدى هذا الانقلاب كأثر لهذه الحملات . وسبب ذلك ان المدنية العربية انتقلت الى اوروبا عن طريق الأندلس وصقلية [٤] والشرق . والمتفق عليه أن العلم كان سبيله الطريقين الاولين ، والناحية الاجتماعية والاقتصادية تأثرت بالطريق الثالث [٥] فالحروب الصليبية فتحت امام اوروبا أبواباً جديدة للعمل والتفكير ، واوجدت لهم اغراضاً جديدة في الحياة فاتجهوا في نهضتهم اتجاهاً نافعاً حرّاً ، بعد أن كانوا مقيدين بالنظام الاقطاعي [٦] والنواحي التي نقل الصليبيون اثرها الى اوربا متعددة ، لا نستطيع ان نحيط بها في هذه الالمامة الوجيزة ، وعلى ذلك فنحن نجتزىء بأمثلة تبين القصد ، دون ان تبلغ بنا الحد [٧] . فقد اخذوا من الشرق الورق [٨] ، والسكر [٩] ، ودود القز وتربيته [١٠] ، والفواكه كالليمون والمشمش [١١] ، وصنع الاقمشة كالموصلين (الموصلي) [١٢] والدمقس (الدمشقي) والاقطان [١٣] والسجاد [١٤] والاصباغ واتقاء الالوان [١٥] والجبة وصنع المرايا [١٦] وطواحين الهواء [١٧] واستعمال الزنوك والشمار الخاص [١٨] والمسابح [١٩] واستخدام الحمام الزاجل [٢٠] وقلدوهم في البناء الحربي والديني [٢١] والتطعيم بالصدف والتنزيل بالفضة والعاج [٢٢]

وكانت طبيعة الحروب التي شنوها تقضي عليهم بتخليد ذكرى ابطالهم بقصص شعرية ثم اخذوا القصص الشرقية لاشعارهم [٢٣] مثل كتاب كليلة ودمنة [٢٤] ولما عرفوا قصص التسامح الاسلامي كما ظهر في اعمال صلاح الدين وخلفائه صاغوها شعراً وقصصاً واصبحت غرام الشعراء في اواسط اوربا بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر [٢٥] وهكذا فقد تأثرت الحياة الادبية والانتاج الادبي وكان تأثره عميقاً [٢٦] كما انهم افادوا معرفة جغرافية من الرحلة ومن درس الكتب العربية [٢٧] وعلوماً جديدة [٢٨] كالصيدلة والجبر والطب فان مدرسة مونبلييه الطبية أثر من آثار احتكاك الصليبيين بالشرقيين [٢٩] كما انهم نقلوا عن الشرقيين مستشفياتهم [٣٠]

عكا (فلسطين)

---

(١) Pruts 335,402 وفي الكتابين يعطي امثلة لكلمات ادارية دخلت اوربا عن طريق الحروب الصليبية (٢) La Monte 20-24 « المقدمة » ، حتى « كتاب المقتطف الذهبي » ٤٢ (٣) يمكن مراجعة الامكن التي يتلخص فيها آراء المؤرخين في المسئلة . Legacy of Islam ٦٨–٧٢ و Sykes 64 وجوزي ١٢١ و Travel & Travellers و Kugler 431-2 و Pruts ٥٥ و ١٩٤ و ٤٠٣

(٤) و (٥) Legacy of Islam 63-1 و Legacy of Israel 215-237 و Sykes 65 (٦) « نقلا عن جنكل » و Pruts 55,72,397,479,493 وحتى « الكتاب الذهبي » ١٤١ و١٤٣ (٧) راجع التفصيل في Pruts والكلية المجلد التاسع (٨) انشطط ١٢٩:٢ (٩) حتى Lamb (١٠) Pruts 325 (١١) Pruts 408 (١٢) و (١٣) حتى الكتاب (١٤) Leg. of Islam 63 و Pruts 433 (١٥) Legacy 61 و Pruts 410 (١٦) حتى « الكتاب الذهبي » (١٧) و Pruts 415 (١٨) Legacy 60 (١٩) (٢٠) للزائر ١٢٨ (٢١) Pruts 194,423 ورأي بلوكر في Legacy 58,62,63 وآراء اخرى في Legacy ايضاً ص ١٦٨ و ١٧٦ (٢٢) Pruts 432 (٢٣) Pruts 444,450 (٢٤) Pruts 450 و Legacy (٢٥) Pruts 441 (٢٦) Legacy 64 و Leg. 64 (٢٧) Pruts 441,451 (٢٨) Legacy 66,471 (٢٩) حتى « الكتاب الذهبي » ١٤٤-١٤٨ و Legacy 349-50,473 (٣٠) Legacy 57 و Legacy 349-50

عجيبة المرأة المضيئة

امرأة ايطالية تنطلق منها اضواء غريبة

ورأي الدكتور بروتي بعد فحصها

من الحقائق المعروفة ان بعض اسماك البحر وحشرات البابـة يضيء اضواء فسفورية درسها العلماء وفسروها [1]. وقد نقل الرواة روايات عن ظهور مثل هذا الضوء احياناً في آدميين ولكنهُ كان في الغالب يسند اليهم قبيل الوفاة . واذن لا يستغرب القول بان ما يعرف عن هذا التألق في الانسان نزر لا يعتمد عليهِ . لذلك عني العلماء في مختلف الاقطار بما روي عن سيدة ايطالية تدعى «حنة مونارو» وقد اطلق عليها لقب «سيدة بيرانو المضيئة». ولكن الدكتور بروتي احد اطباء البندقية لم يشأ ان يدع الحكاية للسماع فاغتنم هذه الفرصة ليدرس ظاهرة التألق في هذه المرأة درساً علميًّا

بدأ الدكتور بروتي بجمع اقوال الذين شاهدوها فتبين له من اقوالهم ان ميعاد ظهور الضوء كان في الهزيع الاول من الليل وانهُ لا يظهر مطلقاً في خلال النهار او حين تكون حنة نائمة نوماً خفيفاً . هذا التألق او هذا الضوء الفسفوري لا يدوم اكثر من ثلاث ثوان او اربع ، وهو يظهر دائماً في ناحية القلب ويختلف في لونه من اخضر الى احمر

اما السيدة نفسها بحسب اقوال الشهود فلا تشعر بالضوء والضوء لا يؤثر فيها ولا يترك اي اثر من رائحة او حرارة او لون

فذهب الدكتور بروتي الى هذه السيدة وفحصها فحصاً دقيقاً فوجدها سوية من كل ناحية الا انها تشكو « الازما » « اي الربو » وارتفاعاً يسيراً في ضغط دمها . وهي فقيرة معوزة ولكن الطعام الذي تتناوله لا يختلف عن الطعام العادي المألوف في شيء . ولكنها في الصيام تصوم وتحافظ على جميع قواعد الصوم محافظة دقيقة فلا تتناول الا الحساء واللبن . وفي خلال الصوم تبدو ظاهرة التألق فيها على اشدها وخاصة في خلال الاسبوع المقدس عندما يكون الصوم مطلقاً حتى الظهر من كل يوم — ففي ليلة واحدة من ليالي هذا الاسبوع ظهر الضوء فيها ٢٥ مرة

ولما اقتنع الدكتور بروتي بأن ظهور هذا الضوء ليس وهماً اجمع عليه الرواة اقام آلة سينمية قوية لها فلم شديد الاحساس يمكن ان يدوّن عليه اي اثر ضوئي من تلقاء نفسه « تدوينًا اوتوماتيكيًّا » في خلال الليل

وعلق فوق منطقة القلب بصاصة — (وهي بطرية كهربائية ضوئية تتأثر بأقل اختلاف في قوة

---

(١) راجع فصل الضوء البارد والاحياء المنيرة في متطف يونيو ١٩٣٠ ص ٥١ ويوليو ١٩٣٠ ص ١٥٩

ضوء ما حتى انها تفرق مثلاً بين الضوء المنعكس عن سيجارين لون أحدهما أعمق من لون الآخر ويظهر تأثرها هذا في قوة التيار الكهربائي الذي تولده) — متصلة بآلة كهربائية حساسة تدعى غلفانومتر لقياس قوة الضوء بعد تحوله الى تيار كهربائي في البصاصة. ومبالغة في الاحتياط أقام آلة كهربائية اخرى تدعى الكترو سكوب عملها ان تثبت ان طاقة كهربائية لم تستعمل في احداث هذه الظاهرة ، وهذه الآلة تعمل ذلك بفحصها مقدار الشحنة الكهربائية في الهواء حول سرير المرأة ، وهل تغيرت هذه الشحنة وما مدى تغيرها . ثم انهُ فصل بين قوائم السرير والارض بمادة عازلة ليحول دون اي اتصال كهربائي خفي

وبعيد ما اطفئت الانوار في الغرفة ظهر ضوء خارج من اغطية السرير فأدار الدكتور بروتي الآلة السينمية لتصويره وكان متوسط سرعة الجهاز ست عشرة صورة في الثانية

وقد استغرق ظهور الضوء ثلاث ثوان وثلاثة اجزاء من ١٦ جزءاً من الثانية (٣ ٣/١٦) ثم خبا رويداً رويداً . وقد أضيء به عظام التكين والوجه . وظهر من منطقة حول القلب مساحتها بقدر الكف وكان على جانب من اللمعان حتى ظهرت به الاسرة المجاورة . أما الغلفانومتر وهو الآلة التي تقيس التيار الكهربائي فلم تسجل شيئاً ، وأما الالكترسكوب الذي يقيس الشحنة الكهربائية في الهواء فلم يدل على ان قوة كهربائية خارجية قد استعملت

أي أن المظاهر صحيحة على قدر ما يستطيع الباحث أن يؤكد ذلك بعد اتخاذ جميع أسباب الحيطة

بعد ذلك فحص الطبيب الباحث دم المرأة لمعرفة قوته الاشعاعية فظهر انهُ يفوق الدم السوي في ذلك ثلاثة اضعاف . ولهذه الحقيقة صلة بتعليل الظاهرة

يرى الدكتور بروتي انهُ قد حال دون الخداع كتناول العقور أو استعمال تيار كهربائي ثم هو يقول انهُ يمكن تعليل هذه الظاهرة كما يلي على ما جاء في مجلة اللانست الطبية: —

ان شعور المرأة الديني القوي يؤثر في عمل غددها الداخلية أي الغدد الصم فيحدث تغيرات فسيولوجية تؤثر في املاح الدم وخاصة املاح الكبريت فيه فتجعلها تتألق تألقاً فصفوريًّا وهو يرى ان حالة الصوم تساعد على حدوث هذه التغيرات

ومما يؤيد رأي الدكتور بروتي ان الطبيب الباحث الأميركي الدكتور كريل اثبت من عهد قريب أن طوائف من الاشعة تنطلق من أدمغة الكلاب ومنها الاشعة تحت الاحمر وان اشعاعها يزيد بحقن خلاصة الغدة الدرقية أو خلاصة الغدة التي فوق الكلى ثم ينقص اذا حُقن بمادة مخدرة . أي ان الدكتور كريل بيَّن ان هناك صلة بين الغدد الصم وحالة الاشعاع وهي هذه الصلة التي يعتمد عليها الدكتور بروتي في تعليل ظاهرة الضوء الشاع من جثة مونارو « سيدة بيرانو المضيئة »

صورة داخل مغارة قادیشا

مغارة لوراي بولاية فرجينيا الاميركية وهذا الجانب منها يعرف بمضرب العرب

مناظر لبنان في الصيف

مغارة قاديشا العجيبة

لميشيل سليم كعبر

... وقفلت راجعاً من الأرز الخالد ، بعد ان قضيت زمناً في هيكل الدهور ، في ذلك الصبح السعيد ، وقد ارتفعت الشمس في كبد الافق ، فاسرعت الى الفندق ، وجمعت حقائبي ، ومن هناك الى السيارة . وكان بنزينها قد نفد بالامس لدى وصولنا الى الارز . ولكن انحدار الطريق يسهل علينا الهبوط الى بشرّي ، مدينة المقدّمين ، حيث تملأها ثانية

ورفع السائق قدمه عن الدواعط ، فانحلّت ، وتدحرجت السيارة هابطة على ذلك الطريق الكلسي الابيض ، على كتف قاديشا الجميل ، الوادي المقدس ، حيث لا يزال الى اليوم يفوح من جنباته شذى القداسة ، وعطر التقوى . وكان تدحرج السيارة لذيذاً مريحاً ، لا عنف فيه ولا شدة ... ألا ليت السيارات تدرج بهذه السهولة ، دون ضجيج آلاتها المزعج ! ويالها من أمنية !

وعند ما انتصفنا الطريق ، ما بين الارز وبشرّي ، ضغط السائق على الكوابح ، فوقفت السيارة ، وتهدّدت حركتها الاندفاعية . فنزلنا منها ، أنا والسائق ، ومن هناك أخذنا طريقاً فرعيًّا ضيقاً كمسالك العنز ، فالوادي العظيم الهائل تحت اقدامنا عن جانب ، والجبل يلتصق بأكتافنا عن الجانب الآخر ، وكلما تقدمنا ازداد ارتفاعاً وشموخاً . وعرض هذا المسلك المؤدي الى مغارة قاديشا لا يتجاوز في بعض الاحيان متراً وربع متر ، وقلما يتسع الى مترين . انهُ حقًّا لمنظر يبعث الدهشة والروعة في النفس ، ويأخذ بمجامعها . وكنت اتوقف مراراً عن المسير ، ونحن معلقين بين السماء والارض لأتملى من منظره ، واجتلي روعة محاسنهِ المخيفة ، فعشرات الامتار من فوقنا ، ومئات الامتار من تحتنا ... ترى لو زلّتْ قدم أحدنا ، وهوى الى الهوّة السحيقة ، فوق الصخور الناتئة ، ماذا يكون مصيرهُ ؟ لا لا خوف من الزلل ما دامت الاعصاب ثابتة والسير هادئاً وطيداً !

سرنا مسافة طويلة ، قد تزيد على ثلاثة ارباع الميل ، على درب المأعز هذا ، وما هو كذلك بل هو ممرّ شقته شركة كهرباء قاديشا الوطنية ، لتصل الى المغارة لاجل اعمالها الخاصة . ولما نكد ندنو من المغارة ، حتى طرق اسماعنا خرير المياه العذب ، الذي تحوّل ، مع اقترابنا شيئاً فشيئاً ، الى هدير عظيم ، هدير تلك الالوف المتدفقة ، على دوّامات شركة الكهرباء ، التي تنير شمال لبنان كله ، هابطة

نحو الوادي العظيم ، كأنها امواج بحر صاخب تتدافع بعضها اثر بعضها ، في زئير دائم متواصل ، هي رمز الحياة الجاهدة المثمرة

هذه المياه التي تمنح الحياة للوادي المقدس ، لعرين لبنان ، تحكي في تدفقها الحي ، التدفق الخصب الذي امتاز به الشعب الذي يرتوي منها على مدى الاجيال . وما السمعاني والحصروني ويوسف كرم وجبران ، سوى بعض اولئك الذين شربوا من هذا المعين الخالد ، فنفحهم بروح العبقرية ، ووهبهم اكسير الخلود !

ووصلنا المغارة ، والمياه تهدر هديراً ، فوجدنا هناك بعض الزوّار ، ينتظرون في الخارج ، المراقب الدليل القائم عند مدخلها ، الذي اقتطع لنا تذاكر الدخول . ومن ثم ادخلنا اولاً الى شبه غرفة منقورة في الصخر . فأضيئت الانوار الساطعة ، لتنير حالك الظلام المخيم في جوف هذه الاتفاق الممتدة المتشعبة تحت الجبل الشامخ ، مسافات لا يعلم مداها وعدد شعبها الاّ الله خالقها

تبلغ مساحة هذه « الغرفة » الاولى ، اكثر من خمسة وعشرين متراً مربعاً على احد جوانبها يقع الممر الضيق الذي يبلغ عرضهُ اكثر من متر واحد ، مدته شركة كهرباء قاديشا مسافة طويلة في الداخل . ومن بعد هذا الممر حتى الحائط المقابل من الغرفة المذكورة ، مياه المغارة التي تنصب خارجاً الى مجراها في الوادي المقدس ، حيث تعرف بنهر قاديشا ، حتى مقربة من طرابلس ، ومن هناك يتبدل الاسم الى نهر « أبو علي » .. ويبلغ عمق هذه المياه ، في « الغرفة » كما استدللت بالحدس والتخمين ، امتاراً عدة ، لا كما هي في اعماق المغارة ، حيث هي اقلُّ عمقاً بحسب اتساع المجرى او ضيقه

غطسنا ايدينا في هذه المياه ، فاذا بها باردة كالثلج ، ولم يسعنا ابقاؤها فيها كثيراً . ثم ارتشفنا منها قليلاً ، وتلذذنا بطعمها العذب ، بهذا الرحيق الزلال ، الخارج من كنف الطبيعة قبل ان تدنسه يد الانسان

انّ تخطينا هذه « الغرفة » او قل ان انتقالنا منها الى مقدمتها ، نحو الظلام ، ثم انارة الكهرباء ، وسطوعها ذلك السطوع الباهر ، الذي يحيل ليل المغارة الدامس الى نهار منير ، هو الذي خيل الينا وجود هذه « الغرفة » الوهمية ، لاتساعها عما سواها ، ولشكلها المربع تقريباً ، لضيق النفق في ناحيتها الداخلية . على اننا لم نكد نتخطاها ، وتضيء الانوار ، حتى سمعنا صوت الدليل يقول : « من يطلب بطيخاً او قرعاً ؟ لدينا هنا من كل صنف . فمن يرغب ؟ » . والتفتنا نحن في دهشة واستغراب ، نفكر في ما يعنيه وما الذي بعثهُ في هذا المكان على المناداة على شيء يجتنى في الحقول ، لا بين الصخور وفي اغوار الكهوف ، فاذا تحت اقدامنا هوة واسعة ، فيها اشكال من الصخور الشمعية اللون ، في قوالب مختلفة مستديرة منها ما يشبه البطيخ او القرع حقّاً . ولما رأيناها عرفنا قصد صاحبنا . فابتسمنا لوصفه الفكاهي الطريف . فهذه المغارة ، تعج بهذه البوارز والنواتىء في الصخور فمنها ما يبرز من الارض

Stalagmite ومنها ما يتدلّى من السقوف Stalactite وهذه الرواسب المتحجرة توجد في كثير من المغاور او الكهوف في العالم وتكثر وتقل في بعضها لكن المغارات المشهورة بها قليلة . وهي تتخذ في اكثر الاحيان اشكالاً غريبة ، كرأس فيل ، او رؤوس بشرية ، او اقدام ، أو تماثيل ، وقد تتكون اشكالاً مخروطة ، أو تبدو كالجليد ، ويغلب عليها اللون الاصفر الشمعي ، ويضرب لونها مراراً الى الاحمرار أو الاسوداد ، وغير ذلك من الالوان الجميلة ، اما تبدو كلها كأنها مصنوعة من الشمع ، مع انها من الصخر ، وتحس في نفسك لدى رؤيتها بشعور غريب . وانك تود مسكها ، وانها ستذوب أو تنثني أو تنكسر حال لمسك لها . مع انك حين تمسها حقيقة تشعر بها صلبة دون شك لانها من الصخر ، وتحس بها باردة كالثلج ، وخاصة في المغاور التي كقاديشا

في فرنسا مغارات عديدة مثل هذه : أشهرها ، كما أعرف ، ما يقع في جبال البيرنه ، فهناك قرب لورد عدة منها : كمغارة الدئب ، ومغارة الملك ، وقد زرت الاخيرة . لكن أشهرها مغارة بيتارام التي يقصدها السياح خصيصاً ، وفيها ينحدر المرء في بعض أجوافها الى ستين متراً . وفي لبنان ايضاً غير مغارة قاديشا هذه ، مغارة نهر الكلب ، أي مغارة جعيتا ، قرب بيروت . وهاتان المغارتان تعدّان من أشهر مغاور العالم ، بهذه النواقيء الغريبة التي فيهما ، فضلاً عن أن حدود نهايتهما لا تعرف حتى اليوم ، رغم الجهود التي بذلها كثيرون من الباحثين . والذي اذكره ان بعض اساتذة الجامعة الاميركية ، دخلوا مغارة جعيتا في زورق ، قبل الحرب بمدة سنوات ، قاصدين ارتيادها والوصول الى آخرها ، اي الى منبع نهر الكلب ذاته ، وبقوا هنالك زمناً طويلاً ، وأطاعوا الكرة مرة أو مرات اخرى ، لا اعلم تماماً ، فلم يفلحوا ، لبعد الشقة ، ثم لضيق المغارة في الاقاصي التي وصلوها . وكذلك دخل المغارة منذ بضع سنوات ، ثلاثة من الروس ، وقضوا فيها يوماً أو يومين ، وخرجوا منها من دون نتيجة — وقد قبض عليهم البوليس وحقق معهم ، خوفاً من أن يكونوا من الشيوعيين ، وبنيّتهم تسميم أهالي بيروت . كذلك مغارة قاديشا ، لم يعرف بعد منتهاها ، ولم اسمع ان احداً سعى لمعرفته ، بذات الاجتهاد الذي بذل لاجل معرفة مغارة جعيتا ، وذلك لان المغارة المذكورة لم تكتشف أو بالاحرى لم يشق اليه درب الماعز الذي سبق وصفه ، الاّ منذ ست سنوات ، على ما اتصل بي . وقد سألت الدليل ، حينما وصلنا الى اقصى ما سُمح لنا بالتوغل فيها ، هل نهايتها قريبة من مكاننا : فقال لي أن بعضهم توغل فيها قليلاً ، فاتضح لهم انها طويلة جداً . هذا مع العلم ان المسافة التي سرناها نحن تعد بعشرات الامتار ، كلها تحت الجبل العظيم . الذي تنبت عليه ، من فوقنا ، أشجار الارز الخالد !

وكان الدليل يسير بنا ، يروي لنا ما يفقهه من معنى هذه الاشكال ، فيصفها بلهجة فكاهية ، بتلك اللهجة اللبنانية العذبة ، التي يمتاز بها أهل الشمال . ولما ادخلنا الى كهف صغير هناك اضطررنا ان ننحني كثيراً ، لان المدخل كان واطئاً جداً . كذلك في الداخل كان السقف واطئاً ، فكنا ننحني

فيه قليلاً . وقد شعرنا في هذه النقرة ببرودة اكثر مما شعرنا به في النفق الكبير ، مع ان لا ماء فيها أبداً . وأرانا الدليل شيئاً في طرف هذه النقرة المستديرة المجوفة السقف ، يشبه ثمرة (زر) طربوش مقرفي ، وقال لنا : « هذا طربوش ابينا نوح ، ألا ترون شرابته هنا ؟ ... قد تركه هنا لما زار لبنان ، اذ نام هنا فنسيه . وكبر الطربوش كما ترون ، وصار مغارة صغيرة ، في داخل المغارة الكبيرة . ويظهر ان الجبل ارتفع مع انتفاخ الطربوش ! »

وكان الدهليز أو النفق يضيق احياناً الى مترين ونصف متر ، ثم يتسع الى خمسة او اكثر قليلاً ونحن نسير على الممر الضيق ، ونستند الى الحائط بأيدينا ، في ذلك الجو المشبع بالبرودة ، وان لم يكن رطباً ، كما يظن المرء لاول وهلة . وكانت الاشباح العديدة في النواتئ تعد بالعشرات في كل خطوة ، ولهذه الكثرة ما عدت اذكرها كلها ، بل بعض التي فكهنا الدليل بأوصافها الغريبة . ولكني لا اقدر ان اعدد هنا حتى هذه : —

« انظروا هنا لا في أعلى : هذه هي الملكة فكتوريا ، ونابوليون ، والملك ادوارد ... ما لكم ؟.. لا تضحكوا .. اني اتكلم جادًّا .. أنا لا اعرف الهزل ... انظروا جيداً . نعم ، هؤلاء هم ، للملكة فكتوريا ، التي دعوا باسمها الذارعة التي غرقت في طرابلس قبل الحرب .. وهذا نابليون .. انتم تعرفونهُ ! ولويس الرابع عشر ... لا تخالوني اسخر منكم ... لا ... هم ليسوا في بلادهم في اوروبا ، بل جاؤوا الى هنا ، وجمدوا ايام الشتاء ، لما اشتد البرد عليهم ... انظروا ايضاً ، هذا خرطوم فيل ، مده ليأخذ تلك التفاحة ، أو عنقود العنب ، فجمد . . . أتريدون شراء بعض التفاح ، والبرتقال اليافاوي ، والعنب الرحلاوي ... أتريدون غزلاناً ... !! »

وكذلك كنا ننتقل من مكان الى آخر ، والدليل يتابعنا بهذه الاحاديث . ويسلينا بوصفه لتلك الاشكال والاشباح الغريبة . والحقيقة ان بينها ما كان يشبه الملكة فكتوريا ، ونابوليون ، والملك ادوارد ، وسواهم ، عن بعد ، بعض الشبه ، كأن أحد المثالين نحتهم على عجل في الصخر . . . وهذه المغارة تعد حقًّا أعجوبة من أعاجيب الطبيعة لكثرة ما فيها من النواتئ ، وانها لترتسم صورها في المخيلة لغرابة اشكالها . ولما انتهينا الى آخر الممر ، ووجدنا الصخر يرتفع في وجهنا ، مع ان دهليز المياه ذاته ، لا يزال واسعاً يتغلغل الى الداخل ، لكن لا سبيل الى السير فيه ، التفت الينا الدليل قائلاً : — « هنا آخر الحدود المسموح بها ، كما ترون . والنية متجهة الى التوسع في داخل هذه الدهاليز والانفاق ، عما قريب . ولعلكم تشاهدونها وقد تمت في الزيارة التالية ... والآن نرجع من حيث أتينا . . . ومع السلامة ! . . . . »

***

وكان الميعاد قد أزف للمثول بين يدي غبطة البطريرك الماروني الجليل ، فأسرعت خارجاً من المغارة ، نحو السيارة . . . . قال الديمان ! . . . .

أيقال كريات بيضاء

لدبعن ظاهر نمير الله

نظر النطاسي اللامع امين باشا المعلوف في الجزء الاول من مدخل فن الجراثيم للطبيب احمد حمدي افندي الخياط فجاد عليه بكلمة نشرها مقتطف مارس سنة ١٩٣٥ جاء فيها ما يأتي :

« قال الكريات البيضاء والكريات الحمراء والصواب بيض وحمر ولا يجوز غيرها » (كذا) واظن انها غيرها فسقطت الميم في الطبع

وهذا الاعتراض شافهني به العلامة الأب انستاس ماري الكرملي سنة ١٩٣٢ في مدينة بيروت فردَّ قولي الهضاب الملساء وقال المُلْس

ورأيت هذا القول نفسه لشيخ العروبة احمد زكي باشا اذ كنتُ في القاهرة سنة ١٩٢٠ قال نسيباً لي هنالك عرض مقالاً له لدى ذلك العلامة جاء فيه الليالي السوداء فابدلها بالسود

وهذه قضية لا يصحُّ ان تظل تحت خفاء فها انا ذا اوضح ما عندي فيها

التاء والالف في الدلالة سواء فكما تقول التاء للجمع تقول الالف للجمع ايضاً وهذه أدلتي

١ — « كليم عوراء وعوران » جمع افعل وفعلاء على فُعْل وفعْلان معلوم تقول اسود وسوداء على سود وسودان والنظير كثير

وكلم مختلف فيها فالمعاجم تجمع كلة على كلم فهي صيغة جمع عندها . واما المحقق الاطوي فيورد في شرحه امتحان الاذكياء للعلامة البركوي ص ٣٤ من نسخة الاستانة سنة ١٢٧١ ما يأتي :

«الكلم اسم جنس . اشارة الى انهُ ليس بجمع ولا اسم جمع . مع ان عدم وقوعه الأ على الثلث (الثلاث) فصاعداً كونهُ احدها . ووجهُ اولها عدم ثبوت فعِل بكسر العين في صيغ الجمع وارجاع ضمير المفرد اليهِ (كالكلم المحكم) وجعله مصدَّراً ومنسوباً بلا ردهِ الى واحده . ولو كان جمعاً لم يجز واحد مما ذكر . ووجه الثاني مجيء واحده بالتاء وهو لم يوجد في اسم جمع » اه

فاللغويون قالوا كلم جمع كلة والاطوي يقول كلم اسم جنس الواحد منهُ كلة . ولا ريب في ان اسم الجنس يشارك الجمع على انهُ يدل على اكثر من اثنين . ولهذا عد اللغويون اسم الجنس من الجموع

وقد جاء كلمٌ عوراء . قالت امية بنت ضرار (حماسة البحتري فصل ١٧٤)

ما بات من ليلة مذ شدَّ مئزره ... قبيصةُ ابنَ ضرارٍ وهو موتورُ

لا تعرف الكلم العوراء مجلسهُ ... ولا يذوق طعاماً وهو مستورُ

وكلم عوران . قال كعب ابن سعد الغنوي (حماسة البحتري فصل ١٠٨)

وعوراء قد قيلت فلم استمع لها وما الكلم العوران لي بقبول

فالجمع او اسم الجنس يأتي نعته على صيغة فعلاء

٢ — الحمر الخشباء — جاء في مادة قرن في معجم البلدان « القرن... موضع ذكره ذو الرمة قال:

يردّفن خشباء القرين وقد بدا لهن الى ارض الستار زيالها

اي ركبن الحمر الخشباء وهي القطعة من الارض كانها جبل » اه . فحمر هنا جمع حمراء وقد نعتها بخشباء ونعت الجمع جمع . فخشباء من صيغ الجمع

٣ — الشيعة الشنعاء [1] جاء في ذروة من معجم البلدان قول الصليحي

وطالعت ذروة منهنّ عادية وانصاعت الشيعة الشنعاء شُرّادا

ولشيعة وجها تخريج . اولهما : شيعة جمع شائع بمعنى ناصر او موافق . مثل صحبة جمع صاحب ورُوقة جمع رائق. والاصل شُيّعة فجيء بكسرة بدل الضمة لسلامة الياء كما جرى ذلك في شيب جمع أشيب والاصل شُيُب . وقد جاء الصحاح بفعلة جمعاً لفاعل وشاهده قول امرئ القيس

علون بالطاكيّ فوق عقمة كجرمة نخلٍ او كجنة يثربِ

فان هذا القول ردّه بعضهم ونقل ردهم صاحب البستان فقال «جاء الصحاح بهذا البيت شاهداً على الجرمة بمعنى القوم والصحيح ان الجرمة هنا ما جُرم وصُرم من البسر » فذهبتُ الى صيغة جمع لا وجه لردّها

وثانيها . شيعة جمع شاع بمعنى نبير مثل جيرة جمع جار وقيعة جمع قاع وفتية جمع فتى وإخوة جمع اخ (أخو) وولدة جمع ولَد اي أن فعلة صيغة جمع لفَعَل والشواهد على جمع فعلة على فعل كثيرة

فشيعة صيغة جمع لا شك فيها وقد جاء نعتها على فَعْلاء ونَعْتُ الجمع جمع فشنعاء صيغة جمع لا صيغة مفرد . ومن هذا الباب قول طاهر ابن ابي هالة من قواد ابي بكر الصديق (أخبار في معجم البلدان)

فلم تَرَ عيني مثل جمع رأيتهُ بجمع بجازٍ في جموع الاخابثِ

فتلتاعُ ما بين قُنّة خاصرٍ الى القيعة البيضاء ذات النبائثِ

فقيعة جمع قاع كما تقدم التنظير . ولكن المعترض له ان يعترض هكذا : قيعة مفرد ودليل ذلك قول معيار اللغة « القاع أرض مهلة مطمئنة مستوية .. والقيعة كصيغة بمعناه كالقيع بلا هاء ومنهم من جعل الاولى (أي قيعة) جمعاً ومنهم من جعل الاخيرة جمعاً » وقول محيط المحيط « وقيل قيعة مفردة بمعنى القاع . ويستدل على صحة قيعة مفرداً نعتها بذات فذات من نعوت الافراد لا الجموع

(١) هذه كلمة تقلتها كما جاءت اما أنا فمن يجلون شأن الشيعة (امين)

قلت لو سحّ عند اللغويين ان قيمة مفرد كحيفة وصيرة لاقتضى ان يذكروا صيغ جمعها كما ذكروا الحيفة جيفاً وأجيافاً وهذه في الحقيقة جمع اي جيف على أجياف كعنب على أعناب. وذكروا الصيرة صيراً وصيَراً فاهي صيغ الجموع التي ذكروها لقيمة وهي وزان قِدَة وقد جمعوا قِدَة على قِدَد وأقِدَة فان هذا الاهمال اما عن عدم اطمئنان الى ان قيمة مفرد واما عن عدم استيفاء البحث. فعلى الرأي الاول تكون قيمة عند اللغويين صيغة جمع لا صيغة مشتركة بين الجمع والمفرد وعلى الثاني يكون الاهمال دليل نزارة المادة اللغوية عند اصحاب المعاجم او حيرتهم في هذه الصيغة

أما ذات فن نعوت المفرد والجمع ودليل ذلك ان معجم البلدان قال «أميل جبل من رمل جمعهُ أُمُل (مثل قَليب وقُلُب) قال الراعي

مهاريس لاقت بالوحيد سحابة الى أُمُل الغرّان ذات السلاسل

فنعت أملاً بذات . وجاء في شعر ذي الرمة (طبع بيروت)

وبين الحبال العفر ذات السلاسل . والحبال جمع حبل اي الرمال المستطيلة فنعتها بذات . وجاءت ذات نعتاً لحمام . قال الشماخ (الساري في معجم البلدان)

حنّت الى سكة الساري فجاء بها حمامة من حمام ذات أطواق

فجعل ذات نعتاً لحمامة من القطع بين الموسوف والصفة وهو معيب عند البلغاء وجعلها لحمام من الفصيح . وحمام كسحاب فمن قال سحابة ج سحاب قال حمامة جمعها حمام ومن قال سحاب اسم جنس والمفرد سحابة قال الحمام اسم جنس والافراد بالتاء ومن هذه الطائفة نعامة ونعام والخلاصة أن ذاتاً نعت لاسم الجنس او للجمع واسم الجنس في معناه جمع . فمن قبل قيمة في قول طاهر الآنف الذكر صيغة جمع بجعد بيضاء نعتاً لجمع ونعت الجمع جمع

٤ — كتيبة شهباء وفارسية خضراء وسمهرية سمراء . مجيء الجمع بالتاء وارد كثيراً على صيغ متعددة فنسوة جمع نسوٍ ومارّة جمع مارٍ وعسّالة جمع عسّال ومسلمة جمع مسلم ومقاتلة جمع مقاتل وهندية جمع هندي وكتيبة جمع كتيب . وفارسية جمع فارسي وسمهرية جمع سمهري . وقد نعت باعث ابن صريم اليشكري (من شعراء حماسة حبيب) كتيبة هكذا

وكتيبةٍ سفع الوجوه براسل كالأُسد حين تذبُّ عن أشبالها

وما ينعت بجمع فهو جمع . وقد جاء في صفة كتيبة فعلاء كشهباء وخضراء قال حسان (السيرة لابن ابي اسحاق) بكتيبة خضراء من بلعزوج

وجاء في شعر ابن حلزة اليشكري

ثم حجراً اعني ابن ام قطام ولهُ فارسيـــة خضراء

وجاء في شعر المتنبي

وبساتينك الجياد وما تحـ ـملُ من سمهريةٍ سمراء

والسمهرية والعسّالة مثلان في مجيء التاء جمعاً لمفردها وقد نعت المتنبي عسالة بذبل قال

معطي الكوانب والجرّد السلاهب والـ ـبيض القواضب والعسّالة الذبل

اذن لا فرق بين سمراء وذبل ومن يذهب الى وجود فرق بينهما عليه أن يجيء بدليله فسمراء صيغة جمع لان الجمع ينعت بجمع ولا ينعت بمفرد . ومن هذا الباب مركوزة جمع مركوز ومقربة جمع مقرّب قال المتنبي

وأردية خُضْرٌ ومُلك مُطاعةٌ ومركوزةٌ سُمْرٌ ومُقْرَبة جُرْدُ

٥ — اسم الجمع ينعت بفعلاء. اسم الجمع كما عرفه الاطوي له مفاد الجمع وليس له مفرد من بنائه ولا يفرد واحده بالتاء او بياء النسبة كفَيْلق . فقد جاء فيلق شهباء وفي السيرة لابن اسحاق للعباس ابن مرداس السلمي قوله

حتى صبحنا أهل مكة فيلق شهباء يقدمها الهمام الاشوسُ

وفي السيرة ايضاً شاهد آخر هو

رُميتْ نطاةُ من الرسول بفيلق شهباء ذات مناكب وفقار

واسم الجمع متضمن معنى الجمعية اذن صيغ الجموع وصيغ اسماء الجموع وصيغ اسماء الاجناس يجيء في نعتها ببناء فعلاء

٦ — فعلاء صيغة جمع — اما مجيء فعلاء صيغة جمع فوارد كثيراً . ففي ترجمة الاحنف التميمي التي نشرتها المكتبة العربية في دمشق ان زياد ابن ابيه قال له : « هذه الحمراء قد كثرت بين اظهر المسلمين وكثر عددهم (كذا) وخفت عدوتهم . والمسلمون في ثغورهم وقد خلفوهم في نسائهم وحريمهم . وحمراء جمع احمر كأحمرين جمع احمر »

وجاء في مادة شجر في محيط المحيط « قال سيبويه الشجراء واحد وجمع وكذلك القصباء والطرفاء والحلفاء » ومن هذه الطائفة البرشاء والغوغاء والعشراء والدهماء وذهب اقرب الموارد الى ان برشاء جمع ابرش وبرشاء

ومجيء الواحد والجمع على بناء واحد وارد في فُعُل كفُلُك وفُعْل كفُلْك وفِعال كدِلاص وفعيل كقطين وفاعل كالحاجّ والداجّ ووالد قال جرير (ديوانه جزء ١ : ١٣٢ طبع مصر)

اعياك والدك الادنون فالتمسْ هل في شفاعة ذي الاهدام مفتخر

فكما شارك بناء فعلاء بناء أفعل في المجيء على فعل وفعلان شارك بناء أفعل بناء فعلاء في المجيء على فعلاء

٧ — عرب عاربة وعرب عرباء اي عربٌ عُرَحاء خلّص — هذا نص وارد في كتب اللغة فاذا يقال في عرب أاسم جنس او جمع

جاء في الصحاح « النسبة الى اعراب أعرابي لانهُ لا واحد له . وليس الاعراب جمعاً لعرب كما كان الانباط جمعاً لنبط . وانما العرب اسم جنس »

فهذا قول صريح بأن عرباً اسم جنس . واردُّه هكذا : قد جعل الصحاح عرباً من طائفة مستقلة عن طائفة نبط وحبش وعجم . والتفرقة بين طائفتين لا بد لها من فارق فأين الفارق ؟ فقد جاء نبطي وحبشي وعجمي للواحد كما جاء عربي للواحد . وحبش وأحباش وحُبُش وحُبُشان كعرب وأعراب وعُربان وعُرُب وعُرْب . ووجه الخلاف ان اعراباً ليست جمعاً لعرب كما ذكر الصحاح وأحباش جمع حبش . قلت أعراب أصالة جمع عرب ثم نقل الى فئة من العرب هم البدو وواحدهم بدوي . فالشيء يكون عاماً ثم يتخصص فكل تمر يجتنى قطيف تمراً كان او مشمشاً او خوخاً او تفاحاً وجمع قطيف قطائف كصعير وصغائر . والاستعمال خصص قطائف بنوع من التمر . والمنجور كل ما نجر صندوقاً كان او خزانة او باباً او شباكاً وقد خصص منجور بالمحالة . والدقيق كل مدقوق بزر صمتر كان او بزر كتان او قمحاً او شعيراً وقد أُطلق الدقيق على القمح خاصة فاذا اريد سواه قيل دقيق صمتر او دقيق شعير والنظائر كثيرة . ومن هذا الباب استعمال اعراب للبدو فالتفرقة بين اعراب وانباط وانجام وأحباش من عمل الاستعمال لا من عمل اللغة . والاعرابي كالانصاري والحرسي والبدوي فالبدو جمع باد كالصحب جمع صاحب

***

أما الذهاب الى ان عرباً جمع فلو الذي رحمه الله وقد أورد في لمعه النواجم في اللغة والمعاجم مقدمة معجم الطالب لتأييد مذهبه ما يأتي

اولاً — لا يقال عرب على الواحد ولا على الاثنين وانما يقال على الثلاثة فما فوق تقول هذا الرجل من العرب وهذان الرجلان من العرب وهؤلاء عرب . (ويصح ان تقول هو عربي وهما عربيان وهم عرب كما تقول هو حبشي وهما حبشيان وهم حبش وهو حرسي وهما حرسيان وهم حرس) وذلك من خصائص الجمع واسم الجمع ولكن اسم الجمع لا يكون له مفرد من لفظه يجمع عليه جمعاً قياسياً وعرب له مفرد من لفظه يجمع عليه جمعاً قياسياً فهو جمع (مثل حرس وحارس)

ثانياً — وجوب كون الضمير الراجع اليه ضمير الجمع او ضمير الجماعة نحو العرب يقولون والعرب تقول وما هو اسم جنس يعود اليه ضمير الجمع فيقول القنا الخطية والقنا السُلُب قال الأخطل (ديوانه طبع بيروت)

ومن ربط الجاش فان فينا قَنًا سُلُباً وافراساً حصانا

وقال أبو الاخيل العجلي (حماسة حبيب)

كفى حزناً ان لا أزال ارى القنا تمجُّ نجيعاً من ذراعي ومن عضدي

وضمير المفرد ايضاً قال الاخطل (ديوانه) «اذا ما القنا الخطي عُلِّثت مخاضبهُ» وقال المتنبي

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطِمُ

لذلك تكون صيغة عرب ليست اسم جنس كما ذهب اليه الجوهري ولا اسم جمع لانهُ يقال فيلق شهباء وفيلق لجيب

ثالثاً — اتفاق اللغويين والنحاة على انهُ مؤنث وليس فيهِ علامة تأنيث ولا هو مما يطلق على مفرد مؤنث وهذه خاصة جمع التكسير كارجال قامت وقعدت

رابعاً — تصغيره على عريب بدون تاء والمفرد المؤنث المعنوي اذا صغّر تلحقهُ التاء كشمس وشميسة وارض وأريضة . وجمع التكسير الذي لا تاء فيه اذا صغر لا تلحقهُ التاء كأصحاب . ولما خفيت هذه الحقيقة وحسبوه مفرداً مؤنثاً قالوا ان تصغيره بدون تاء شذوذ . (وما الشذوذ الاّ ثمرة تقليم له من طائفته الى طائفة اخرى . ولو انزلوه في طائفته لوجدوا قياسهُ صحيحاً فالشذوذ من عملهم لا من بناء صيغته) وازيد على ذلك ان عرباً جمع لعارب أو عريب فلعارب تخدم خادم ولعريب تخدم خديم . وعرُب وعرْب لعارب كجاهل وجهُل وجهْل ولعريب كقليب وقُلُب وقُلْب . وعُرْبان وعِربان لعارب مثل حوران لحائر وحيطان لحائط ولعريب مثل فُصلان وفِصلان لفصيل واعراب لعارب كاشهاد لشاهد ولعريب كاشراف لشريف . اما عاربة فلعارب خاصة مثل سابلة وعارة وقاطنة وجالية فهي لسابل ومار وقاطن وجال وبهذا يعرف ان عاربا اولى من عريب بعرب

***

فما ان عرباً جمع وجاء نعته بعرباء فصيغ الجمع يأتي نعتها بفعلاء . وبما أن عرباء وصرحاء وخلص معنى واحد ولا خلاف في جمعية صرحاء وخلص فلا وجه للشك بأن عرباء صيغة جمع والاّ كان بين صُرَحاء وعرباء فارق فما هو وما الدليل عليهِ . اذن يقال أدلة غراء كما قال والدي في تسميته أحد كتبه الادلة الغراء وهضاب ملساء كما جاء في كلامي وشمائل حسناء كما اورد شاعر الاقطار العربية خليل بك المطران في رثاء الامير كمال الدين بن السلطان حسين كامل رحمهُ الله . وكريات بيضاء كما جاء في كلام احمد حمدي افندي الخياط

ولكل من الاب انستاس ماري الكرملي الجليل والنظامي امين باشا المعلوف ومن يذهب مذهبهما ان يزيف ادلتي واشترط في الرد ما يأتي

١ — ان يكون نقيّاً من المطاعن فينظر الى القول لا الى القائل

٢ — ان يعيّن موضع الشاهد فلا يكتفي بانهُ قال المازني او الفارسي او الشاعر لأتمكن من العثور على موضع الشاهد

٣ — ان يرسل نسخة من رده اليّ لا تصفح ما جاء بهِ . فانهُ لا يعلم الغيب الاّ الله ولا شك في أن الحقيقة بلت البحث

دمشق : البطريركية الارثوذكسية

صورة فلحية

الدكتور احمد النقيب

بقلم نفر لا شكري

لا يزال بيننا وبين الطبيعة مناجاة دائمة تحدثنا بمقاييس مقنوسة نحسها في كل شيء . فان الزهرة النضرة ، أو السنبلة التي يقصفها الريح في الحقل ، أو العنقود الذي تطمح اليه أنظارنا متهدلا بالبستان انما هو دليل واضح تبديه الطبيعة اشارة الى خصبها ، وانها تعطي الانسان دائماً ما تنطوي عليه من ثمار وزهر

وليس أبلغ من هذا الشعور تناجينا به طبيعة مصر الخصبة التي ما زالت تحتفظ بمقاييسها القديمة بينها وبين أهلها وزروعها وشمسها وسائر ضروب حياتها . فان الثمرة التي تنبتها تربة خصبة لا تكاد تختلف عن الانسان المثقف الذي يخرجه نوع سام من التهذيب . ولعل سر الطبيعة نفسها في ذلك التهذيب لا يفترق عن أثرها في النبت . وهذا لعمري ما نسميه بالعلاقة بين الانسان ووطنه

***

هذا رجل من رجال مصر ، في حدود الأربعين ، ذو قامة عالية ، ربعة الى الطول ، خطي اللون ، ساكن النظرات ، حاضر البديهة ، موفور القوة ، متواضع السمت ، يغلب عليه الحياء ، وتبدو عليه مع ذلك مخائل الثقة العظيمة بالنفس ، والرغبة العميقة في ان يعمل دون أن يتكلم

هذا الدكتور احمد النقيب ، الطبيب الجراح الدائم الصيت ، هذا الشاب المصري الطموح ، الشجاع ، الجريء ، قد ضرب لأمثال مصر وشبابها المتوثب أحسن الامثال كيف يستحيل الامل الكامن عملاً بارزاً ، ونصراً مبيناً . وأقام الدليل الحسي على ان استعداد شباب مصر المأمول لجسام الاعمال التي تحتاج الى الجرأة والاعتداد بالنفس ، والاعتماد على الله وعلى الهمة العالية الشماء ، لا يقل مثقال ذرة عن استعداد أية أمة غربية أو شرقية ، أو عن استعداد أي شباب في أي بلد عظيم

هذا الدكتور النقيب قد جاهد في الطليعة مع النخبة المستنيرة من رجال المواساة لتشييد صرح مصري عظيم يكون بينة على النهضة القومية في هذه البلاد ودليلها ، وآية المبادىء الوطنية التي تجاهد في سبيلها بارزة في أحسن مظاهرها وأجل صورها ، والنهضة الاجتماعية في بعض معالمها الواضحة للابصار المتحدثة بلغة القومية ومنطق الاستقلال

وغداً يجوس المصريون خلال فكرة قومية استوت قائمة على أحسن بقعة مصرية ، في رأسها

يخفق العلم المصري مدللاً على قوة باعثها ، وصدق احساسها ، وسلامة دوافعها . وتمشي في ساحة مستشفى المواساة الفخم جموع المصريين يشهدون الوطن على مدى وطنيتهم ، وقوة ايمانهم بالفكرة القومية التي تتمثل بهم ، وبلغ عرفانهم لمساعيها البارز فيهم . غداً يتفقد المصريون ردهات هذا المستشفى ، ويشهدون أجزاءه وجهاته ، فيختبطون بوجودهم على قطعة مستقلة من مصر المطالبة باستقلالها ، فتجتمع بهم وبالبناة الصالحين الذين أنشأوها ، الوطنية المصرية بسائر قواتها ، وتواجه العقيدة القومية اثباتها ، وتزدحم في مكان واحد معانيها وآياتها ، وتتجلى مصر في أفخم عناوينها وشاراتها ، ويبرز الايمان بالكفاءة المصرية شواهده قائمة ماثلة . ومنشآته في البر متحدثة عنه بلغة العزمات النافذة ، والهمم المنجزة ، والاخلاص المكين

وغداً يذكر الدكتور النقيب اخوانه من شباب مصر بما تحتويه فطرتهم من صفات الرجولة ، ومناقب الفتوة التي تنازعها الآمال ، فاذا بالعزمة الصادقة تسمو بتلك الآمال من عالم الأماني والاحلام الى عالم الحقائق المجيدة ، يسجلها الوطن للعاملين من أبنائه في كتاب العزة الوطنية التي أودعها القدر بين ايدي الشباب العاملين امانة مقدسة

لقد وضع الدكتور النقيب ورجال المواساة النواة الطيبة الصالحة ، وبقي امام الشعب بأكمله ان يستكمل هذه المنابت ، ويحمي هذه الحقول ، فان كل نواة تقتضي تعهداً ، وكل مستنبت يطلب مزيداً من الجهود ، واذا كان الدكتور النقيب والعاملون من رجال المواساة قد اقاموا هذا الصرح الانساني الفخم بجهود الجبارة ، وهمة البطولة ، واخلاص الوطنية ، فقد وضعوا به القاعدة ، واصبح الواجب القومي مقتضياً البناء فوقه ، والمزيد عليه ، والتوسع في اجنحته وطبقاته . وما دام أخطر دور التعمير والانشاء قد تم ، فلتمض الامة احياء وقادرين ، وزعماء وهداة ومجيدين ، في بناية الباقي ، والوفاء بما يريد الوطن . ويوحيه استقلاله ، ويقتضيه مكانه بين الشعوب

***

وهنا يحق لنا ان نشرح بايجاز حياة الرجل الذي يعدُّ رمزاً عالياً للفكرة التي اوحت بانشاء هذا المستشفى

ولد الدكتور احمد النقيب بمدينة الزقازيق في ١٠ يناير سنة ١٨٩٥ وتلقى علومه الاولية بمدرستها الابتدائية ثم انتقل الى القاهرة وحصل على شهادة البكالوريا من المدرسة التوفيقية ثم انتظم في مدرسة الطب ونال شهادتها في يناير سنة ١٩١٩ وتولى بعد ذلك تدريس التشريح العملي بها الى ان عين طبيباً بمستشفى قصر العيني . وفي غضون ذلك ظهرت آيات براعته وخبرته ، وافضت به كفاءته الى اداء مهمته في المستشفيات العامة وفي سنة ١٩٢٥ عين جراحاً لمستشفى الاسكندرية . وكانت رغبته القوية في خدمة الطب تسوقه دائماً الى الاختبار والترقي فانه في سنة ١٩٣١ تخصص في جراحة المجاري البولية على الاستاذ العالمي السر ظومسون دوكر والمستر ايفردج بانجلترا ولم ينقض عامان حتى قصد

الى برلين في بعثة جديدة للغرض نفسه فتخصص على الاستاذ « ليشتنبرج » من اشهر اطباء جراحة المجاري البولية في المانيا

ولم يزل الدكتور النقيب في غضون هذه المدة من البحث واختبار حالات معاهد الطب في عواصم اوربا وزيارة المستشفيات الكبيرة حيث خطرت له فكرة مستشفى المواساة على اثر مشاهدة مستشفى « مارتن لوثر » في برلين ، وكان قبل ذلك قد بحث هذه الفكرة عن طريق اتصاله المباشر بالطبقات الاجتماعية وهو ذلك الاتصال الجليل الذي يتوصل اليه الطبيب لعلاقة مهنته المباشرة بادواء الناس . ولانهُ اكفأ من سواه في اقتراح الوسائل التي تخفف آلام الجماهير . وكان يعلم ان الطبقات الراقية مع اعترافها في الغالب بخبرة الاطباء الوطنيين تميل الى الالتجاء نحو المستشفيات الاوربية على اعتقاد انها اكمل واعظم ضماناً ، ويعلم من جهة اخرى حال المستشفيات الوطنية وحدود تراجعها الحزن عن الخطوات التي وصل اليها الطب الحديث باعتباره قاعدة رئيسية في الحضارة ، وان الامم التي وصلت الى الترقي الحقيقي انما وصلت عن طريق القوة التي يوفرها الطب . ونعتقد ان الترقي الاوربي مدين للطب باشياء كثيرة جميعها ذات اثر ظاهر في نشاط الحضارة الغربية . ولما عرضت هذه الفكرة وجهت النظر بادىء ذي بدء الى تقدم العصر وجهود الوسائل الصحية وبخاصة للمستشفيات الوطنية ، وكان من الطبيعي ان يدل ذلك على الفارق بين طموح مصر الجديدة الى الترقي وتراجع قاعدة تعد اعظم قواعد الحضارة وهي الطب . وفي الحقيقة ان الكثير من الوطنيين اذا فكر في الالتجاء الى احد المستشفيات الوطنية يرى انهُ في حاجة الى ضمان كاف يقنعهُ بتحقيق الغاية التي يرجوها . ولعلَّ ذلك يرجع الى ضعف الجهود التي ينبغي ان تبذل لترقية المستشفيات المنسوبة الى الوطنيين ، وقد عرض الدكتور النقيب فكرته الشريفة على رجال المواساة فقوبلت بالتأييد . والظاهر انها رغبة كمينة في نفوس الذين يميلون الى خير مصر وسعادتها . واقترن هذا التأييد باستعداد صادق لانشاء مستشفى وطني يضارع سائر المستشفيات الاوربية وان تكتمل فيه الوسائل ، وان يكون نموذجاً صحيحاً يرمز على السوام الى جهود الوطنيين

***

ومن الممكن ادراك هذه الجهود من مجرد النظر الى البناء الفخم الذي تحقق به المشروع والذي يقال انه استنفد ما يقرب من ربع مليون جنيه . وهو وحده كاف للدلالة على ان الفكرة التي تحققت قد خيبت ظنون الذين كانوا ينسبون الى جمعية المواساة التعلق بالنظريات والاحلام . ولا شك في ان اكمال هذا المشروع سيظلُّ رمزاً للخطوات الواسعة التي وصلت اليها الوسائل الصحية في مصر بل في سائر الشرق العربي فان الجهود التي بذلت تدل على الثقة في ان المستشفى سيكون سورة تجاوز باستكمالها وتخامها ما بلغه العصر من الرقي . وطبيعي ان هذا الانشاء الصحي سيظل يحض الذريات المصرية على الاعتراف بالجميل للطبيب صاحب الفكرة الذي استحثَّ جماعة المواساة على سد الفراغ الحادث من تأخير المستشفيات الوطنية ونقص وسائلها ومباشرة العمل على

ان لا يكون ثمة ميزة تجعل الوسائل الصحية في عاصمة كبيرة مثل الاسكندرية تتخلف عند الحاجة عن تحقيق آمال جميع الطبقات

وبعد ، فلعل الظاهرة البارزة في حياة الدكتور النقيب لا تُحَدُّ بشغفه بالفكرات الجيدة التي تولي صاحبها خلوداً حقيقيًّا ، بل ان هذه الظاهرة تشمل اشياء اخرى ، بل ترجع الى اول عهده بصناعته عندما كان طبيباً بمستشفى قصر العيني حيث برهن على مقدار ثقة الرجل الكفء بخبرته ومقدرته . فقد حدث في الهزيع الاخير من احدى الليالي ان نقل الى مستشفى قصر العيني رجل مطعون بسكين في صدره وبطنه حتى تمزقت رئته وطحاله ومعدته . وكانت حالته تنبيء بأنهُ ليس ثمة امل في انقاذه فحادث الطبيب « النوبتجي » البروفسور « دولي » الذي كان يتعين عليه وقتئذٍ اجراء العملية للمصاب فكلفه البروفسور دولي إجراءها وكان المصاب يمت بنسب الى اسرة عريقة من الاعيان واتفق ان الدكتور بدرخان كان حاضراً فأكبر ان يجري العملية طبيب آخر غير البروفسور دولي فلم يطق الطبيب النوبتجي هذا الشك في كفاءته وغضب ثم نهض لساعته وتولى بنفسه اجراء العملية الجراحية ونجح في انقاذ المصاب بعد ان كانت حالته تنذر بالخطر وكان ذلك الطبيب النوبتجي هو الدكتور احمد النقيب فنال بتصريح خاص مكافأة كبيرة على توفيقه في اول عمل جراحي برهن على براعته . ومنذ ذلك الوقت ظهرت مهارة الدكتور النقيب وذاعت شهرته وطار صيته . والدكتور النقيب يتصف بالصراحة التي تكون عادة في فطرة المشتغلين بصناعة الطب ، وتتجلى في حديثه القوة وفي منطقه بيان الرجل المثقف الواسع الاطلاع الغزير العلم . وهو الى هذا كله خطيب زلق اللسان ، فسيح العبارة ، تقترن فصاحته بحماسة وجاذبية تنم على مقدرته وقوة تأثيره

ولعل اكبر مزايا الدكتور النقيب نشاطه ، وانه رغم قيامه بمهمته في المستشفى الاميري حيث يقوم باجراء العمليات الجراحية يؤدي هذه المهمة نفسها في مستشفى خاص له في حي محرم بك بالاسكندرية ، ولا يترك الفرص التي يزيد بها في تجاربه وعلمه عن طريق انقاذ المرضى الذين يجدون فيه دائماً الطبيب البارع المتفذ

وبعد ، ففي هذا العصر الذي قوي فيه النشاط في الحياة العلمية وبخاصة الطب ، وهو نشاط يتكافأ مع الحالة التي وصلت اليها الانسانية بعد الحرب ، نستطيع ان نعد الدكتور النقيب في مصر من الرجال الذين تفخر بهم البلاد

واخيراً ما دامت مصر تؤدي مهمتها في سبيل الترقي فحسب الشباب ان يراقب دائماً المثل العليا التي تخلدها حوادث ظاهرة في تاريخ الجماعات . فاذا ذكر مستشفى المواساة باعتباره مثلاً لمجهودات صحية عظيمة فلا غرو ان هذا الفخر سيشترك فيه اسم الطبيب الذي اقترح انشاءهُ ومهد السبيل لتحقيقه . فاذا كان هذا المشروع عملاً لخير الانسانية ومواساتها فانهُ من جهة اخرى يغذي النشء بنية ظاهرة لعوده التضامن لخدمة الوطن

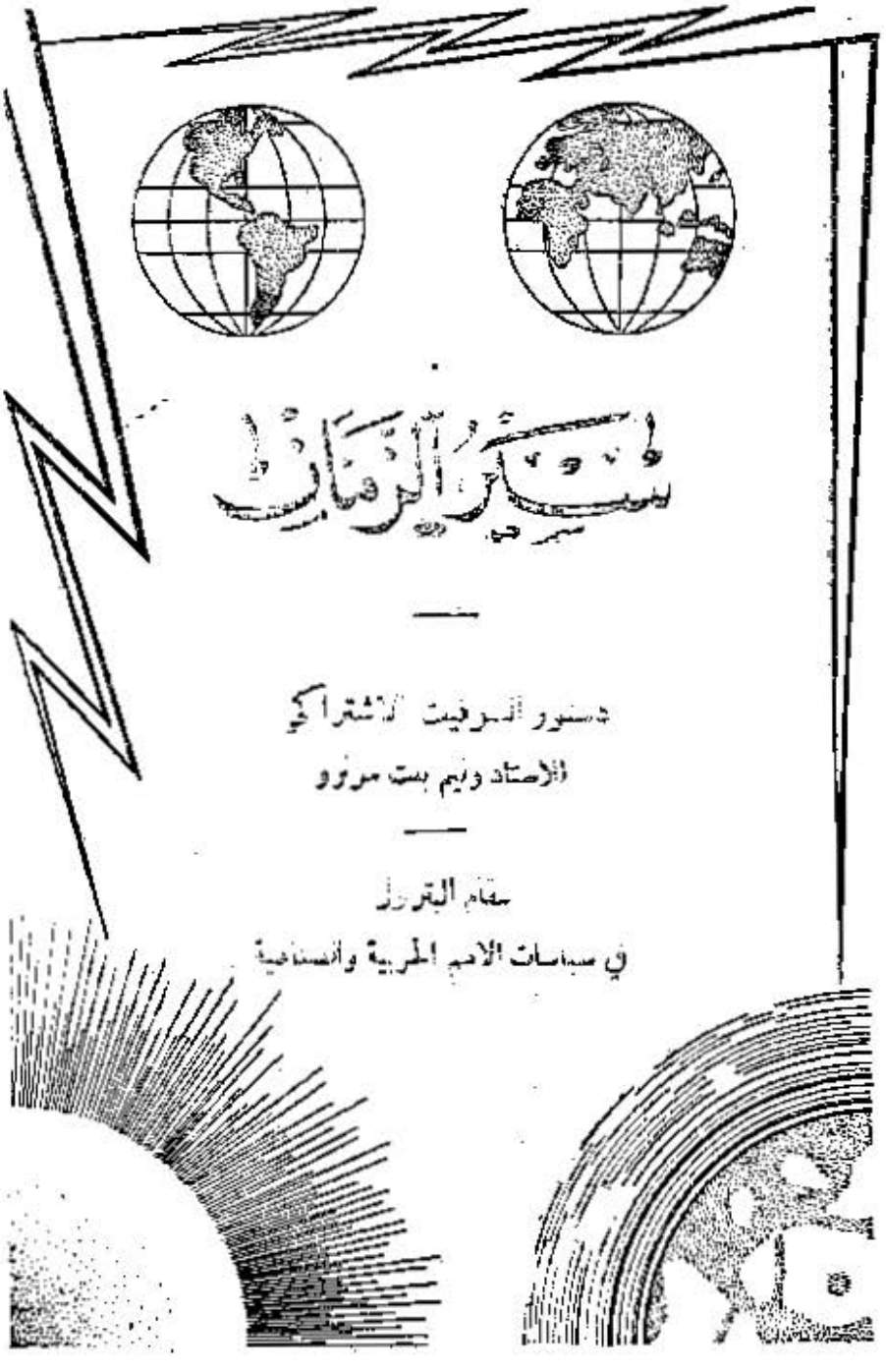

لسحر الزمان

دستور الشرقيات الاشتراكي

الأستاذ وليم بيت مرزو

مقام البترول

في سياسات الامم الحربية والصناعية

الدكتور احمد النقيب

الدستور السوفياتي الاشتراكي [1]

للاستاذ وليم بنت سترو [2]

— ١ —

حملت الينا الاخبار اللاسلكية ان مؤتمر سوفيت الاتحاد الاعلى — وهو اعلى هيئة تشريعية في بلاد الاتحاد السوفياتي — اقر في اجتماعه السنوي الملتئم في موسكو خلال شهر يناير من السنة الحالية ، إدخال تعديلات جوهرية على الدستور السوفياتي الاشتراكي يمنح فيها للفلاحين حق التمثيل المباشر والاقتراع السري والمساواة بين الريف والمدينة في جميع ما يتعلق بالانتخاب الى هيئات الحكومة المحلية وحكومة الاتحاد العليا. وقد تلقت الصحافة والدوائر السياسية خارج بلاد السوفيت هذه التعديلات بالاعجاب والامتعاض معاً . اما الذين أعجبوا بها فهم الشيوعيون والدمقراطيون الذين يرون فيها تقدماً نحو تحقيق المجتمع القائم على الدمقراطية الاقتصادية اولاً والسياسية والاجتماعية ثانياً ، وهم المؤمنون بان لا سبيل الى تحقيق الدمقراطية الحقيقية ونجاحها الا بمعالجة النظام الاقتصادي من الاساس والقضاء على حكم الطبقات في المجتمع . اما الذين امتعضوا من هذه التعديلات فهم الرأسماليون ودعاة دكتاتورية الطبقات المستغلة كالفاشستية والنازية الذين يرون فيها نجاحاً جديداً للمبادىء التي يدّعون انها مستحيلة النجاح وان الافضل للشعب ان يجرد من إرادته ويخضع للحكم الفردي . ومهما يكن موقف البلاد الرأسمالية ازاء هذه التعديلات والنظام المطبّق في الاتحاد السوفياتي فالحقيقة الواضحة هي ان الدمقراطية السياسية التي أعلنتها الطبقات البورجوازية منذ الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ تعاني اليوم ازمة الاخفاق في معظم بلاد اوربا وحتى في البلد الذي اعلنت فيه وطبقت فيه اولاً . حالة اننا نرى نجاح الدمقراطية في البلاد التي كانت الى قبل الحرب العظمى ابعد البلدان عنها يتحقق شيئاً فشيئاً في الاتحاد السوفياتي تحت اشراف دكتاتورية العمال التي تطبقها على اسس غير التي طبقت عليها دمقراطية البورجوازية وترمي الى غايات غير التي ترمي اليها هذه الطبقات الرأسمالية الاستعمارية . وفيما يلي دراسة للدستور السوفياتي الذي يعد اول دستور من نوعه طبق في العالم

كثيراً ما يتوهم البعض ان روسيا امة واحدة كما هي انكلترا او فرنسا او ايطاليا اذ يرون على الخريطة الجغرافية اراضي واسعة تمتد غرباً الى شمال اوربا وشرقاً الى شمال آسيا تزيد مساحتها على ثمانية ملايين ميل مربع او ما يقارب سدس الجانب اليابس من الكرة الارضية او ثلاثة اضعاف مساحة

---

(١) Socialist Soviet Constitution (٢) استاذ التاريخ والحكومات في معهد جامعة كالفورنيا التي بامريكا وقد نقل هذا الفصل المتع كامل قراتجي مدرس الاجتماع والتاريخ بمدرسة النجف الثانوية في العراق

الولايات المتحدة الاميركية تقريباً، ويطلق عليها جميعاً اسم (روسيا) ويقرأون ايضاً ان فيها ما لا يقل عن ١٥٠[1] مليون نسمة من الروس يسكنون هذه الاراضي الواسعة تديرها حكومة واسعة من العاصمة موسكو فليس غريباً اذاً ان يعتبروا روسيا بلاداً موحدة كما هي الولايات المتحدة الاميركية

لكن روسيا ليست امة بهذا المعنى بل هي مجموعة غير منتظمة لاقطار واجناس مختلفة. فقد كانت قبل الحرب مكونة من اقاليم ضعيفة الصلة فيما بينها يزيد عددها على العشرين يسكنها الروس والبولونيون واليهود والفنلنديون واللتيّون والتتر والاتراك والمغول وغيرهم من عناصر مختلفة اللغات والاديان والميزات يقارب عددها المائتي عنصر . واول هذه المقاطعات واكبرها مساحة واكثرها سكاناً هي (روسيا الاصلية) التي تمتد من سواحل بحر البلطيق الى جبال اورال ومن الدائرة القطبية الشمالية الى البحر الاسود ويسكنها الروس على اختلاف طوائفهم . وفي الجهات الشمالية الغربية والغربية والجنوبية الغربية من بلاد الروس تقع فنلندة ولاتفيا ولتوانيا وبولندة تسكن كل واحدة منها شعوب ذات لغات واديان مختلفة ؛ وفي الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية تقع قفقاسية وآسيا الوسطى الروسية وسيبيريا وفي هذه الاقطار ايضاً تسكن شعوب تختلف عن بقية شعوب الامبراطورية في اللغة والدين والجنس ايضاً . هكذا كانت روسيا قبل الحرب امبراطورية واسعة تشمل ما يقارب سدس القسم اليابس من الكرة الارضية فيها شعوب مختلفة الاجناس واللغات والاديان الى غير ذلك من الفوارق الاجتماعية . لكن المعاهدات التي عقدت بعد الحرب العظمى فصلت بعض هذه المقاطعات عن امبراطورية آل رومانوف واصبح الجانب الاكبر الباقي من هذه الامبراطورية يدعى بـ (الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية المتحدة — United Socialist Soviet Republics, U. S. S. R.) او بتعبير مختصر (الاتحاد السوفياتي — Soviet Union, S. U.)

ولكي نفهم حاضر الاتحاد السوفيتي يجدر بنا ان نلقي نظرة سريعة على تاريخ الامبراطورية القيصرية في عصورها الاولى فنقول : نشأت الامبراطورية القديمة بطريقة هجرة التجار او اللاجئين الى الحدود الروسية حيث احتكوا بالقبائل الاصلية ولم يمض زمن طويل على احتكاكهم هذا حتى استأثرت القبائل الجديدة باملاك القبائل الاصلية . اما في العصور التي اعقبت الهجرات الاولى فقد توسعت الامبراطورية الروسية بالطريقة التي توسعت بها امبراطورية روما القديمة اذ اعتمدت على الدم والحديد فكانت الحروب والفتوح عماد هذه الامبراطورية التي لم تختلف عن روما في طرق الاحتلال والفتح

لكن قياصرة الروس لم يكونوا رجالاً منظمين اداريين كما كان أساتذتهم قياصرة روما . فقد أقاموا حضارة بيزنطية اكثر منها رومانية واسيوية اكثر منها اوروبية ويرجع السبب في ذلك الى

(١) كان عدد سكان الامبراطورية الروسية قبل الحرب العظمى يقارب ١٥٠ مليون نسمة اما بمدينة ١٩٣٤ فقد بلغ ما لا يقل عن ١٦٨ مليون نسمة في بلاد الاتحاد السوفياتي بالرغم عن انفصال بعض اقسام الامبراطورية القديمة عنها

وقوع روسيا خلال القرن الثالث عشر تحت سيادة التتر وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر تأثرت كثيراً بالمبادىء السياسية والعقائد الدينية البزنطية بسبب سقوط الامبراطورية البزنطية ودخول الارثوذكسية الى روسيا

ولم تدخل الحضارة الاوربية الى روسيا الا في عصر بطرس الاكبر بفضل الجهود التي بذلها لاخراج بلاده من عزلتها وتأسيس حكومة مركزية قوية فيها ولو أنهُ لم يتمكن أن يؤثر فيها اكثر من ان يعطيها صبغة اوروبية شفافة فقط

وبفضل جهود القيصر الاكبر ومن عقبهُ من القياصرة ، منال كاترين الثانية اصبح لروسيا شأن كبير في السياسة الاوربية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ومع ان مبادىء الثورة الفرنسية لم تدخل روسيا لكن نابوليون حمل رايتها اليها وهو في أوج عظمته في حملته على موسكو فارتدّ بجيشه متعثراً على ثلوجها فكان في ذلك بدء انحطاط امبراطوريته اذ كان تقهقره هذا أمام الروس بداية ضعف قوة فرنسا الحربية التي انتهت بواقعة واترلو . هكذا كانت روسيا ولا تزال في موقع حصين مكنها من أن تقهر نابوليون وتحمي نفسها من الفتوحات الخارجية طيلة عصور تاريخها

ان جميع ما كان في روسيا ساعد على قيام حكم القياصرة المستبدين الطغاة وأهم هذه العوامل سعة البلاد وتعدد الاجناس الساكنة فيها وأمية الشعب والروح الحربية والحياة الريفية المتأخرة وتقاليد العقلية الشرقية ، كلها ساعدت على قيام الحكم الاستبدادي وبقائهِ فيها ، ومع أن بعض القياصرة كانوا يحاولون بين آن وآخر ادخال مبادىء الحكم الدمقراطي لكن عملهم لم يكن بذي بال لانهم لم يريدوا أن يقتسموا السلطة العملية بأيدي ممثلي الشعب . ولما سارت الروح الدمقراطية بعد سنة ١٨٤٨ وقادت الى وضع دساتير في فرنسا وايطاليا وبروسيا وادخلت بعض التعديلات السياسية في النمسا ، لم يكن لها أثر يذكر في النظم السياسية في روسيا

وبعد بضع سنين من ثورات سنة ١٨٤٨ في اوروبا ألغى القيصر اسكندر الثاني العبودية الاقطاعية بين الفلاحين في روسيا سنة ١٨٦١ وادخل الاصلاحات على حالة الفلاحين الاقتصادية لكنهُ لم يقصر على سلطة الملاك ولم يمنح الشعب حق الاشتراك في ادارة شؤون الحكومة المركزية بل اكتفى بمنحهم بعض الحقوق في الادارة المحلية في المقاطعات بأن ينتخبوا منهم بطريقة الانتخاب غير المباشر — ممثلين في مجالس الولايات (الزمستفوس Zemstvos) التي خوّلت حق فرض الضرائب المحلية والانظمة المتعلقة بشؤون محلية كنظام الطرق والجسور والمدارس والصحة العامة والبنايات العامة ودور العجزة وجمعيات اعانة الفقراء لكنهُ رفض تأسيس مجالس بلدية أو (دوما — Duma) في المدن للقيام بالاعمال التي تقوم بها الزمستفوس في الولايات

وما فتئت هذه المجالس المحلية حتى اصبحت معاقل للحركات الدستورية الحرة التي كانت ترمي

الى الاصلاح السياسي في الامبراطورية بأجمعها واخذت تزداد قوة في مطالبتها بدستور دمقراطي ودعوة برلمان عام . ولم تتقدم هذه الحركات الدستورية الحرة تقدماً محسوساً الاّ بعد نهاية القرن التاسع عشر . أما السلطات المركزية والحاشية المحيطة بالقيصر فكانت تعتبر هذه المبادىء الحرة ثورية لذلك كانت تخاف من كلمات (الدستور) و (البرلمان) خوفاً شديداً حتى أخذت تمنع ظهورها على صفحات الجرائد ، وفي نفس الوقت كانت تعاليم كارل ماركس وتلاميذه تتغلغل في روسيا فتحول الكثير من الشبان الاحرار الى الاشتراكية وتعبئة الاعضاء للحزب الاشتراكي الدمقراطي

ودامت الحال على هذا المنوال حتى خاضت روسيا الحرب مع اليابان سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ وخرجت منها مقهورة في البر والبحر فأحدث هذا الخذلان إستياءً عامًّا أقلق السلطات الامبراطورية المستبدة واضعف مركزها . وقابل هذا الضعف في سلطة القيصر ازدياد عدد الاشتراكيين الدمقراطيين في روسيا وتمكن مبادئهم بالرغم من الاضطهادات العنيفة المتواصلة التي كانوا يلاقونها . وزاد في خوف السلطات تكاثر الاضطرابات والاضرابات المتتالية التي كان ينظمها الاشتراكيون الدمقراطيون بين عمال المصانع والفلاحين في الارياف حيث أخذ الفلاحون يسطون على أملاك الاشراف ويحتلون قصورهم مما اضطر السلطات الى اعلان الاحكام العرفية في كثير من انحاء الارياف المختلفة . وكان تلاميذ المدارس في المدن ينظمون الاضطرابات والاضرابات العامة الخطرة فتغلق الجامعات . وقد اوضحت جميع هذه التبدلات العامة وجوب تعديل السياسة الرجعية القديمة القائمة على الاستبداد والاضطهاد ، لذلك رأت الحكومة القيصرية — احتفاظاً بمقامها — ان تبدأ بالنزول على مطالب الشعب بدعوة برلمان امبراطوري عام

لذلك أسرع القيصر واصدر في عام ١٩٠٥ سلسلة من المراسيم وعد فيها بوضع دستور للشعب الاّ أن هذه المراسيم القيصرية — بالحقيقة — لم تلغ الحكم الفردي الاستبدادي بل — بالعكس — اكدت سيادة سلطة الامبراطور التنفيذية وايدت حقه بالرفض (فيتو — Veto) لجميع التشريعات التي يضعها البرلمان بصورة عامة وصرحت ببقاء الوزراء مسؤولين أمام القيصر فقط . لكنها منحت الحق بدعوة برلمان وطني عام يتألف من مجلسين . المجلس الاعلى وهو مجلس الامبراطورية ، والمجلس العام او الدوما . وفرضت هذه المراسيم تعيين نصف اعضاء مجلس الامبراطورية الاعلى من قبل القيصر وانتخاب النصف الآخر من قبل مجالس المقاطعات والملاّك والاشراف وغرف التجارة والصناعة والكنيسة والجامعات لمدة تسع سنوات على ان لا يقل عمر المنتخب عن الـ ٤٠ سنة وان يكون حاملاً لدرجة علمية . أما فيما يخص اعضاء الدوما فقد حتمت المراسيم القيصرية ان ينتخبوا بواسطة مجالس الولايات على اساس اقتراع الذكور فقط . واكدت أوامر القيصر عدم السماح بالبحث في هذه المراسيم او في الشؤون الحربية والخارجية والمالية في مجلس الدوما انما يكتفى بأخذ موافقة هذا المجلس في وضع القوانين العامة فقط

ظهرت هذه التبديلات وهي على الورق تمظهر جذاب ينبيء عن بدء موفق في سبيل الوصول الى توطيد سيادة الشعب لانها اوصلت روسيا سنة ١٩٠٥ الى ما كانت قد وصلت اليه انكلترا منذ سبعمائة سنة مضت حين فاز الاشراف بالبراءة العظمى Magna Carta في زمن الملك يوحنا سنة ١٢١٥ . لكنها لم تكن بداية عصر جديد لسببين هما : اولاً — لان الشعب الروسي لم يعرف كيف يتصرف بالسلطة التي منحها تصرفاً معتدلاً . وثانياً — لان القيصر ووزراءه لم يقبلوا النظم السياسية الجديدة عن طيبة خاطر

***

ولما اجتمع مجلسا الدوما الاول والثاني بين ١٩٠٦ و ١٩٠٧ كان بين اعضائه كثير من الاحرار والمتطرفين الذين اقلقوا الوزراء بخطبهم الشديدة وحملوا مجلس الدوما على الاستياء وعدم الاكتفاء بالسلطات التي منحها حتى هجم بعض زعمائه على الدستور الصوري، وطالبوا بدستور قائم على سيادة الشعب الحقيقية. وبالرغم مما نصت عليه المراسيم القيصرية بدأ مجلس الدوما يبحث في كيفية جعل الوزراء مسؤولين امام الدوما مباشرة ليؤسسوا بذلك نظاماً برلمانياً حقيقياً . وكذلك طلب اعضاء الدوما العفو العام عن جميع المسجونين السياسيين وتقسيم الاراضي على الفلاحين والانتخاب المباشر لاعضاء الدوما بحسب انظمة الاقتراع العام . وذهب بعض المتطرفين الى حد المجاهرة بأن واجب الدوما ليس سن القوانين فقط بل العمل للثورة الاجتماعية وانجاحها

ولما اتضح للسلطات القيصرية ان مجلس الدوما شديد التطرف في دمقراطيته ومناقشاته ومبادئه لم تر بداً من حله مرتين متتاليتين وقرر القيصر ووزراؤه ان قد حان الوقت لادخال التعديل في قانون الانتخاب فأصدر القيصر مرسوماً سنة ١٩٠٧ الغى به الاقتراع الفردي للذكور وأمر ان ينقسم المقترعين الى طبقات (كوريا — Curiae) هم الملاك وأصحاب المعامل والتجار والفلاحون والعمال وان يخصص لكل طبقة عدد من المقاعد في المجلس . وكذلك ادخل تعديلات أخرى ترمي الى منح حق تمثيل غير متناسب الى الملاكين من بين المقترعين . فكانت جميع هذه التعديلات منافية تماماً للحقوق التي منحت سنة ١٩٠٥

وطبقت تعديلات سنة ١٩٠٧ كما امل القيصر ووزراؤه اذ انتخب الدوما الثالث تحت رقابتهم وبموجب التعديلات الاخيرة فكان اقل تطرفاً وأسهل انقياداً لرغبة الوزراء اذ كان مؤلفاً من الملاكين والتجار بالدرجة الاولى فكان هؤلاء يطيعون الاوامر عادة ليبقوا طيلة السنوات الخمس أي مدة اجتماع المجلس . اما الدوما الرابع فقد افتتح خلال سنة ١٩١٢ وبقي منعقداً حتى نشوب الحرب . لكن كلا المجلسين الثالث والرابع لم يكونا يمثلان الشعب الروسي تمثيلاً حقيقياً وكانا تحت تأثير الطبقات المالكة والمرفهة من الشعب . ومع انهم كانوا يستطيعون في بعض الاحيان

اقناع القيصر او الوزراء بتعديل مواقفهم الا انهم لم يكونوا — بالحقيقة — ليقوموا الا بالاعمال الاستشارية فقط . وقد مثل الحالة حينذاك احد الاحرار الروسيين بقوله «ولكي يتمكن الشخص من التمتع بحق البقاء حيًّا عليه ان يصبح آلة صماء في ماكنة الدولة الاوتوقراطية المستبدة »

وكذلك اخفقت الحركة التي كانت ترمي الى تحقيق الدمقراطية السياسية والتي ابتدأت حوالي سنة ١٩٠٥ فكان مثل الشعب الروسي كمثل الذي طلب الخبز فأعطي حجراً . وأيقظ هذا الاخفاق السياسي احرار الروس واضطرهم الى الاتفاق مع الاشتراكيين الدمقراطيين في اعتقادهم ان ليس في الامكان توطيد النظام البرلماني في روسيا بالوسائل الدستورية

***

وعند نشوب الحرب الكبرى كانت معظم الطبقات في روسيا باستثناء الامراء وبعض الملاك ومعظم اصحاب الصناعة الكبرى — ترى رأي الاحرار الدستوريين والاشتراكيين الدمقراطيين . ومع ان نشوب الحرب ودخول روسيا فيها وحد البلاد توحيداً ظاهراً زمناً قصيراً — كما يظهر ان الحرب تعمل على ذلك وقتيًّا — الا ان الحالة لم تدم طويلاً اذ بالرغم من انحياز الدوما الرابع الى جانب الحكومة القيصرية وتعضيده لها في دخول الحرب لكنه عندما اقترح القيام ببعض الاصلاحات الضرورية والتي من شأنها ان تساعد على فوز القيصر في الحرب بعد انتصارات سنة ١٩١٤ و١٩١٥ لم يلق من القيصر وحاشيته الا الرفض وعدم الاستحسان لاقتراحاته ونصائحه . وزاد في استياء جميع طبقات الشعب وحنقها الشديد على الوضع ما كان يسود من فساد وارتباك في جميع دوائر الحكومة المدنية منها والعسكرية على السواء — فقد كانت الرشوة والتبذير في الاموال والاهمال في الواجبات ظاهرة في جميع مناحي الادارة المدنية والعسكرية بينما كانت تموز الجيش القيادة المنظمة القادرة كما كانت تنقصه الاسلحة والممدات الضرورية والمؤونة والالبسة وليس هذا فقط بل ان جميع الوسائل التي حاولتها الحكومة لتزويد السكان المدنيين بالاكل اخفقت فراح الشعب يهلك جوعاً بينما كانت آلاف القناطير من المواد الغذائية تهرب الى المانيا والنمسا من قبل التجار الروس انفسهم والمنتفعين من مضاربات الحروب ليبيعوها لدوائر التموين في الجيش الالماني والنمساوي بأرباح كبيرة جدًّا . فاتضح اخيراً ان الحكومة الاوتوقراطية غير قادرة ان تنهض باعباء الحرب العظمى وغير كفوءة لها

وفي هذا الموقف الحرج الذي كان يتطلب اقصى ما يمكن من الحكمة والحذر والتوفيق بين العناصر السياسية ارتكب القيصر غلطة كانت القاضية على مقامه اذ انتخب وزارة من اكثر العناصر رجعية ولم يكن لديها طريقة لمعالجة المجاعة والاستياء العامين الا باستعمال الشدة مع شعب هائج يموت جوعاً . ومع ما كان عليه مجلس الدوما من المحافظة والانحياز الى جانب الحكومة القيصرية والميل

الى التعاون معها الاّ انه بعد ما جابه الواقع خرج عليها لشدة تأثره من المجاعات والفوضى التي كانت تلائم الشعب باشتداد يوماً بعد يوم . وهكذا اصبحت منصة الخطابة فيه المحل الوحيد في جميع روسيا حيث يتيسر للحرّ التعبير عن آرائه وموقفه بحرية لذلك أخذ اعضاء الدوما يهاجمون الوزراء مهاجمات شديدة جدّاً ناسبين الخيانات الى الرجال الذين كانوا يديرون الحركات الدبلوماسية والعسكرية معاً . وزاد في هياج المجلس رواج اخبار مؤداها ان الحكومة كانت تفاوض العدو سرّاً ولما بحثت هذه الاخبار في الدوما وانتقد اعضاؤه الحكومة انتقاداً شديداً تشجع زعماء الاشتراكيين واشتدت قوتهم بين العمال في المدن ونظموا الاضرابات العامة في بتروغراد العاصمة وموسكو والمدن الصناعية الاخرى وفي وسط هذا الهياج والاضطراب والخيبة اصدرت الحكومة القيصرية اوامرها بحل المجلس وطلبت من العمال انهاء الاضرابات لكن الدوما رفض التفرق ولم يعر العمال اوامر الحكومة التفاتاً وهكذا اندلعت نيران الثورة كلهيب احمر يتقد في السماء

***

بدأت الثورة الروسية الاولى في بتروغراد في مارس سنة ١٩١٧ قبيل دخول الولايات المتحدة الحرب بجانب الحلفاء وبدأت كما تبدأ سائر الثورات عادة . اذ خرج العمال المضربون والسكان الجائعون في شوارع العاصمة يهاجمون الحكومة ويطلبون الخبز والطعام . وكان القيصر غائباً عن العاصمة عندئذ لكن وزراءه حاولوا صرف الجوع او تفريقها باخراج جنود الحامية في بتروغراد لكن الجنود رفضوا اطاعة الاوامر الصادرة اليهم بمقاتلة اخوانهم بل التحقوا بالجوع الثائرة العائثة جميع الشوارع . وحمل الشعب الروسي — كما حمل قبله الشعب الفرنسي في ثورته الكبرى سنة ١٧٨٩ على سجن الباستيل — على الباستيل الروسي وهو القلعة المعروفة باسم قلعة القديسين بطرس وبولس واطلقوا سراح المسجونين . وبينما كانت الجموع تقوم باعمال الثورة في المدن والارياف تشكلت لجنة من اعضاء مجلس الدوما نصبت نفسها بنفسها وقبضت على اعنة الموقف وعينت وزارة جديدة واقامت حكومة موقتة ووعدت بوضع دستور جديد وترأس الحكومة الموقتة (مليوكوف) زعيم الاحرار ثم اعقبهُ (كرنسكي) زعيم الاشتراكيين الديمقراطيين . اما القيصر فقد اضطر ازاء هذا الموقف ان يعلن تنازله عن العرش وأخذ سجيناً مع عائلته

وفي اليوم الذي تشكلت فيه الحكومة الموقتة نظم مجلس عمال (سوفيت — Soviet) بتروغراد من مندوبي العمال والجنود . ولما كان لكل من الحكومة الموقتة وسوفيت العمال وجهات نظر مختلفة اخذ كل منهما يصدر اوامر يناقض بها الآخر . لكن السوفيت تمكن اخيراً من ارغام الحكومة الموقتة على قبول سلسلة من الاوامر والانظمة التي حل بموجبها انظمة الجيش القديمة وبذلك تمكن من اضعاف قوة الجيش المعنوية وكانت قبل قد اضعفها الارتباك السائد في ادارته . ولكي يتحاشى

السوفيت والحكومة الموقتة السير في وجهات متضاربة شكّلا تحالفاً في شهر مايو لكن حتى جهودهما المشتركة لم تمكنهما من وضع حد للارتباك الذي كان يسود البلاد سواء في الجيش او في الحالة الاقتصادية الحرجة

ولما زاد الموقف حرجاً وسوءاً في ربيع سنة ١٩١٧ لم يقوَ الاحرار ولا الاشتراكيون الدمقراطيون (المنشفيك) على معالجة الحال في ظل الحكومة الموقتة والتحالف الذي اعقبها فزاد بذلك نفوذ (الحزب البلشفي Bolshevik Party) — وهو الفرع المتطرف من الحزب الاشتراكي الدمقراطي — في ادارة شؤون الحكومة واخذوا على عاتقهم معالجة الموقف بأن اكدوا بوجوب تحقيق الثورة الاقتصادية والسياسية معاً . وساعدهم على تحقيق مبدئهم ان العمال اخذوا يستولون على المعامل والفلاحون يطردون الملاكين من اراضيهم ويحتلونها . ومع ان البلاشفة لم يكونوا اكثرية الشعب الروسي الاّ انهم كانوا حزباً منظماً لهم منهاج معين واضح سهل على الجنود والعمال والفلاحين فهمه واتباعه اذ كانوا يرمون الى عقد السلم حالاً ونبذ المطامع الاستعمارية القيصرية واعلان (دكتاتورية العمال Dictatorship of The Proletariat) ليبدأوا بانشاء (المجتمع الخالي من الطبقات Classless Society الذي تصبو اليه (الشيوعية ـ Communism) وزد على ذلك ان الحزب البلشفي كان يمتاز عن الاحزاب الاخرى بزعمائه المخلصين الاكفاء أمثال (نيقولاي لينين ـ Nikolai Lenin) و (ليون تروتسكي ـ Léon Trotsky) و (جوزيف ستالين ـ Joseph Stalin) وقد كان الاثنان الاولان في المنفى خارج روسيا عند ابتداء الثورة لكنهما لم يتأخرا عن الاسراع في الرجوع اليها وقيادة اتباعهما قيادة عملية ناجحة

ان في ناحية القيادة في هذه الثورة ما يماثل القيادة في الثورة الافرنسية سنة ١٧٨٩ اذ كما انتقلت السلطة من ميرابو الى دانتون ومن دانتون الى روبسبير كذلك في الثورة الروسية سنة ١٩١٧ انتقلت السلطة من مليكوف الى كرنسكي ومنهُ الى لينين . وهكذا زادت كل من الثورتين تطرفاً بانتقال القيادة فيها من زعيم الى آخر . ولم يتأخر زعماء البلاشفة من تمكين سلطتهم في سوفيت بتروغراد وموسكو والمدن الاخرى . وباعتمادهم على الجيش تمكنوا ان يسقطوا الحكومة الموقتة في نوفمبر سنة ١٩١٧ فحققوا نجاح دكتاتورية العمال

وبعد اتمام الثورة الروسية الثانية المعروفة بالثورة البلشفية عين مؤتمر السوفيت (Congress of Soviets) مجلس قوميسارية الشعب (Council of Peoples Commissars) برآسة لنين واسندت شؤون الجيش الى قوميسار الحربية تروتسكي . وحال تسلّم الحكومة البلشفية زمام الحكم اقترحت وجوب عقد الصلح بين الدول المتحاربة وعند ما رفضت الدول قبول اقتراحها هجرت جانب الحلفاء وبدأت تفاوض المانيا على حدة فعقدت معها معاهدة (برست لتفسك Brest-Litovsk) ومع ان المعاهدة كانت مجحفة بحق روسيا القيصرية الاّ ان البلاشفة قبلوها لانهم لم يكونوا يرغبون في تحقيق غايات الحكومة القيصرية الاستعمارية اذ لا تتفق مبادئهم الشيوعية مع الحرب والاستعمار

وكذلك ارادوا ان يتخلصوا من مشاكل اوربا الرأسمالية ليوجهوا جهودهم الى إكمال الانقلاب الذي بدأوه في حياة البلاد الاقتصادية والسياسية ليؤسسوا النظام الاشتراكي . وفي خلال ذلك اخذوا يصدرون سلسلة من المراسيم والانظمة يلغون بمقتضاها التملك الفردي لوسائل الانتاج والتوزيع معلنين مصادرة جميع السكك الحديدية والبنوك والمعامل والمناجم والاراضي من ايدي الافراد من الطبقة الاقطاعية والبورجوازية لاستخدامها وتسييرها للنفع العام من قبل حكومة العمال والفلاحين والجنود . اما القيصر فلم تمض عليه مدة طويلة في السجن حتى قتل مع عائلته واعملت الحكومة القتل والسجن والنفي في كثير من اعضاء الاسرة المالكة والامراء والملاك وموظفي الحكومة القيصرية السابقين ومحرري الصحف الرأسمالية وكل من كان له علاقة عملية بالحكومة القيصرية . ولم تتأخر الحكومة الجديدة عن تعيين مندوبين سوفياتيين في الادارة الصناعة في جميع انحاء البلاد وحلوا الكنيسة الارثوذكسية التي كانت الكنيسة الرسمية للامبراطورية القيصرية . وهكذا لم تمض بضعة أشهر حتى وضعت البلاد على اساس شيوعي من ناحية التشريع والانظمة والادارة معاً

***

لكن هذا الانقلاب لم يرق حلفاء روسيا السابقين الذين كانت لهم كثير من المعدات الحربية والمؤن في موانيء روسيا وكذلك كانوا يرون في نجاح البلاشفة في روسيا قضاء على موقفهم الحربي وخطراً يهددهم بفقدان طبقاتهم الحاكمة الثروة التي تعتمد عليها السيطرة على جماهير العمال في اوربا والبلاد المستعمرة ومعنى هذا القضاء على المبدإ الفردي الذي تعيش في ظله الطبقات الرأسمالية الاستعمارية . لذلك اسرع الحلفاء بارسال فرق من جيوشهم بحجة المحافظة على اموالهم وبذلك سهل على كثيرين من المعارضين للبلاشفة التجمع في الموانيء والالتجاء الى فرق الحلفاء حتى اخذوا ينظمون حملات لاحباط الثورة . وزيادة على ذلك تضافر الحلفاء بعد خروجهم من الحرب لمهاجمة بلاد الاتحاد السوفياتي من جميع الجهات فجردوا حملة بولندية واخرى تشيكوسلوفاكية من الغرب واحتلت جيوش بريطانيا مناطق النفط في قفقاسية وتقدمت قوات المهاجرين من الروس البيض في الشرق الاقصى تساعدهم اليابان والصين وبريطانيا وتابعت هذه الحملات تقدمها نحو موسكو خلال سني ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ حتى أصبحت على مقربة منها لكن البلاشفة عرفوا كيف يستفيدوا من هذا التدخل ، وقد كان الحلفاء يرمون به الى اقتسام امبراطورية آل رومانوف . فاستنفر رجال الحكومة الجديدة الشعب الروسي المتحرر فاتحد لمقاومة الدسائس والحملات الاجنبية التي كان يرى انها ترمي الى اعادة حكومة القيصر الطاغية . وقد تمكن البلاشفة من رد الحلفاء وراء الحدود بفضل الجيش الاحمر والخطط الحربية والسياسية التي تبعوها وهكذا قضي على حركة ضد الثورة وعلى التدخل الأجنبي بسرعة ونجاح وخرج البلاشفة أقوى مقاماً وأعم سلطة مما كانوا قبلا

[البقية في العدد القادم]

مقام البترول

في سياسات الامم الحربية والصناعية

لما اشتدت الحرب الكبرى ، وضيق الخناق على فرنسا ، في ايامها الاخيرة وقبيل انفراجها النهائي كاد البترول ينفد من مستودعات فرنسا ، فاضطرب كلمنصو وقلق ، فأرسل برقية فيها توسل شديد ودعاء حار طالباً من الرئيس ولسن ان يمد فرنسا بالبترول . ولخصت الصحف هذا التلغراف حينئذٍ بقولها ان كلمنصو قال لولسن : « كل قطرة بترول تعدل قطرة دم »

والبترول ، في هذا العصر ، مقام خاص في حياة الدول السلمية والحربية ، ولذلك تسعى الشركات الكبيرة والحكومات الى السيطرة على منابعه ، وحول هذا السعي نسجت طائفة من الدسائس الدولية تبعث على الدهشة في دقتها وإحكامها . وفي سبيل هذه السيطرة ثار الثورات والحروب الاهلية أحياناً ، لكي يمنع فريق من اصحاب المصلحة فريقاً آخر منافساً له ، من الفوز بالمنابع دونه. فقد قرأنا عن الثورات المتعاقبة التي حدثت في المكسيك من مطلع هذا القرن الى الآن ، ما حملنا على عزو هذه الثورات الى فوران الدم المكسيكي وحرارته واندفاعه ، طبيعة ورثها عن أسلافه ، وتعززها احوال البلاد المناخية وتاريخها الحديث . ثم اطلعنا على كتاب لكاتب يحمل تبعة ما ينشره باسمه ، أن شركات البترول ، في اوربا واميركا ، كانت تتنافس على الفوز بمنابع البترول الغنية في المكسيك فاذا كان صاحب السلطة يميل الى فريق منهما ، بذل الفريق الآخر المال لاثارة الخواطر ، ومنّى زعيماً آخر بالتأييد والمال ، اذا هو تقلد الحكم ومنحهم ما يطلبون من الامتياز . وليس في هذا التعليل ما هو غير معقول . فما هو السر في ذلك ؟

الحضارة الحديثة قائمة على الصناعة الآلية ولا بد للصناعة الآلية من الوقود . وفي هاتين العبارتين يتلخص سر مقام البترول في شؤون الدول . ذلك ان البترول يفوق كل اصناف الوقود المستعملة في الصناعة حتى الآن

فاستنباطه سهل كل السهولة ونقله أسهل فليس على الشركة التي تملك منابع بترولية الا ان تمدّ الانابيب من منطقة المنابع الى معامل التقطير او الى اقرب المرافىء فينقل في سفن خاصة صنعت لنقله . كذلك تقل نفقات المال الذين يتولون استنباطه وتصفيته ونقله الى أدنى حد ممكن . ثم ان الحرارة التي يولدها قدر معين منهُ ضعف الحرارة التي يولدها مثل ذلك المقدار من أغزر انواع الفحم . وهذه الامور تضمن لهُ سعراً نسبيًّا أرخص من سعر الفحم ، وتجعل صناعته بمعزل عن القلاقل الصناعية التي تستولي على المعدنين وغيرهم من طوائف العمال

لذلك ترى استعمال هذا السائل الثمين ، هذا « الذهب الاسود » كما دُعي ، يتسع نطاقه رويداً رويداً في السفن الحربية والتجارية وسكك الحديد والصناعات على اختلافها ، فضلاً عن السيارات

والطيارات وما اليها . ففي الولايات المتحدة التي بلغت أرقى مستوى من التقدم الصناعي يستعمل البترول في معظم مصانعها . وشركات السكك الحديدية في أميركا وروسيا تستعمله في قاطراتها مؤثرة اياه على الفحم . على أن فوائده تتجلى في السفن الحربية والتجارية . واليك المثل :—

لنفرض اننا نريد الموازنة بين سفينتين متماثلتين ، احداهما بخارية يسيرها الفحم والاخرى يسيرها البترول . وان قوة كل منهما ٢١ الف حصان فالآلة البخارية التي تولد ٢١ الف حصان يجب أن يكون وزنها نحو ٣٤٠٠ طن ، وأما الآلة البترولية التي تولد القوة بنفسها فوزنها الف طن فقط . كذلك تستهلك الاولى نحو ٣٦٠ طناً من الفحم كل يوم . أما الثانية فتستهلك مائة طن من البترول لتوليد القوة نفسها . فاذا استعدت السفينتان لرحلة طولها خمسة عشر يوماً ، وجب على الاولى ان تتسون ٥٤٠٠ طن من الفحم تملأ ٧٠٠٠ متر مكعب ، أما الثانية فتكتفي بألف وخمسمائة طن من البترول تملأ نحو ١٧٠٠ متر مكعب

فينجم عن ذلك ، ان الباخرة (أي السفينة البخارية) لا تستطيع بما تتسونه من الوقود أن تسير اكثر من خمسة عشر يوماً ، من دون ان تدخل الى مرفإ خاص لتتسون فحماً . مع انها لو استعملت مخازن الفحم فيها ، لخزن البترول ، وحولت آلتها البخارية الى آلة بترولية لتمكنت من المسير ٢٧ يوماً من دون ان تضطر الى دخول مرفإ ما لهذا الغرض

أما السفن الحربية فتتفوّق البترول على الفحم فيها أجلى منهُ في السفن التجارية

ان مداخن السفن الحربية المسيرة بقوة الفحم . والدخان المنطلق منها ، تمّ على السفن نفسها من بعد عشرة كيلو مترات ، لكن السفن التي تسير بالبترول لا ينطلق منها دخان ولا هباب ، ولا حاجة بها الى المداخن ، فلا تبدو السفينة الحربية منها ، في منظار قائد العدو ، الاّ خطّاً رماديّاً على الأفق

ثم ان الاسطول المسيّر بالبترول ليس مضطرّاً ، الى دخول المرافىء لتتوّن الوقود ، اضطرار الاسطول المسير بالفحم . وهو لذلك أخف وزناً وأعظم سرعة ، فاذا قل ما يجب أن يحمله من الوقود ، للسبب الذي قدمناه ، تمكن صانعوه من استعمال فرق الوزن في زيادة كثافة دروعه وضخامة مدافعه

ومما يمتاز بهِ الاسطول الحربي المسيّر بالبترول سرعة حركته ، فاشعال النار في الفحم وتوليد الضغط الكافي في المراجل حتى يكثف البخار ويدفع الاسطوانات ، يستغرق ساعات ، أما اذا استعمل البترول ، فلا يمضي نصف ساعة على تلقي الامر بالرحيل ، حتى تكون السفينة مستعدة للقيام ثم لا تمضي ٣٥ دقيقة أخرى حتى تكون قد بلغت سرعتها العادية وبعد ست دقائق أخرى تبلغ أقصى سرعتها المستطاعة ، يضاف الى ذلك ان الاضطرار الى مواصلة السير ، لا ينهك الرجال الذين في يدهم ادارة الآلات ، وهم يعتمدون على أصابع اليد او اليدين ، ثم ان تموينها بالبترول سهل وسريع ، لا

يقتضي عمّالاً كثيرين وقذراً كالغبار الاسود المتطاير من الفحم الذي تعبئته . ان تموين سفينة الاولمبك بالفحم تستغرق خمسة ايام ويقتضي عمل ٥٠٠ رجل اما تموينها بالبترول فلا يستغرق اكثر من ١٢ ساعة ولا يقتضي اكثر من عمل ١٢ رجلاً . وعلاوة على ذلك ان تموين السفينة بالبترول يمكن ان يتمّ وهي في عرض البحر بواسطة نقالات البترول ، وكل منها لا تخرج عن كونها حوضاً كبيراً عائماً ، تمتد الانابيب وفي بضع ساعات ينقضي الامر ، وهذا متعذر اذا أريد تموينها فحماً

هذه الاعتبارات الخطيرة حملت انجلترا وأميركا سنة ١٩١٢ على استعمال البترول في معظم سفن اسطوليهما وحمل المانيا على استعماله في ٢٩ طراداً من طراداتها ودوسيا في جميع سفنها الحربية في بحر بلطيق

اما فرنسا فكانت متأخرة عن مزاحماتها ، عند نشوب الحرب الكبرى ، فكانت لا تملك في اسطولها الحربي سفينة واحدة من السفن الكبيرة ، تسير بالبترول ، ولكنها اصلحت هذا الخطأ بعد الحرب فقد جاء في قول المسيو فلاندان سنة ١٩٢٨ « في المستقبل القريب يعفو أثر الفحم كوسيلة من وسائل الوقود في سفننا الحربية ، وجميع سفننا الجديدة سوف تسير بالبترول »

ويصح القول الآن بأن كل الاساطيل الحربية التي لها شأن دولي ما ، قد عمدت الى استعمال البترول في وحداتها الجديدة ، وقد لا تمضي بضع سنوات حتى تودع السفن البخارية الاخيرة بنفس البسمة الساخرة ، التي ودع بها اسلافنا الاولون من قبلنا السفن الحربية الشراعية التي حاربت في طرف الغار وناڤارين

ومن المؤكد انه لو لم تكن انجلترا وأميركا من حلفاء فرنسا في الحرب العالمية ، لكان لعمال فرنسا لسياستها البترولية قبل الحرب سبباً في خذلانها وهزيمتها

لذلك صرح مدير احدى شركات البترول البريطانية « ان الامة التي تسيطر على البترول تتقلد زمام التجارة العالمية فلا الجيوش ولا الاساطيل ولا الاموال ولا كثرة السكان تغني عن البترول في هذا العصر فتيلاً . وصرح المسيو هنري برنجه المفوض السامي « للبترول » في وزارة كلمنصو — قال سنة ١٩١٩ — (من يحز البترول يحز الملك — ملك البحر بالبترول الكثيف (الوسخ) وملك الجو بالبترول المصفى (اي اعلى اصناف البنزين للطيارات) وملك اليابسة بالبنزين والغازولين (للسيارات والدبابات والنقالات والمصانع وغيرها) وملك العالم بالقوة المالية المرتبطة بمادة هي اغنى وأقوى وأتم سيطرة على الارض من الذهب نفسه »

ثم قال : — ان الامة التي تصبح سيدة لتموين البترول ، تشهد تيارات الملايين من اموال الناس متدفقة نحوها ، لتنفق فيها ثمناً له ، فسفن الامم الاخرى لا تستطيع ان تسافر الاّ اذا دخلت مرافئها وتموّنت من احواضها . فاذا بنت اسطولا تجاريًّا فليس ما يخول دون سيطرتها الكاملة على تجارة العالم البحرية . ثم لا تلبث الصناعات ان تنشأ وتترعرع حول مرافئها ، وتصبح في ايدي مديريها السيطرة التامة على الاعتمادات المالية الدولية ، فتسيطر على الصناعة والتجارة والسياسة نفسها

مملكة المرأة

خواطر مشفقة عصرية
عند ما عرفت ان زوجها مشفى لا يرجى
وبعد وفاته

الصحة والطقس
للدكتور شدياق

الهموم وصحة النفس

دار الحداثة

خواطر مثقفة عصرية

عندما عرفت ان زوجها مُشْفٍ لا يرجى
وبعد وفاته

قال الطبيب : انك تستطيعين ان تتحملي صدمة النبأ . ليس ثمة امل في ان ينهوض زوجك بالشفاء والراجح انهُ سيموت فجأة — وقد يكون ذلك غداً او في الاسبوع القادم او في الشهر القادم او حتى في السنة القادمة . وليس في وسعك الاّ ان تعتني بهِ وتعطفي عليهِ ولكن يجب ان تكوني مستعدة لصدمة ذلك اليوم

ولذلك مضى عليَّ شهر وانا احاول ان الائم نفسي للحال الجديدة ، مهشة كلّ الاهتمام باخفاء حقيقة حاله عنهُ . ومع انني لا اوافق على اخفاء حالة المريض عنهُ بوجهٍ عام ، ارى انهُ يتعذر على اي انسان ان يقول لاحبّ انسانٍ اليهِ ، «ليس في وسعك ان تشفى» . او «انك مائت لا محالة» . وقد اعددت نفسي لذلك اليوم من الناحية العقلية . فاستطيع ان ادبّر امري واتوقع حكم القدر . وانا الآن اعلم بالضبط ماذا افعل عندما تأزف الساعة . ولكن من ناحية الشعور أحسُّ بانني لا ادري ما يكون شعوري حقيقة عندها . فانني عاجزة عن ان اتصوّر كيف تكون الحياة من دون الرجل الذي شاطرني كلّ جزء وكلّ ناحية من حياتي مدى عشرين سنة . ولذلك اراني عاجزة عن تصور شعوري حينئذٍ ومما يزيد الامر وقعاً في نفسي ان زواجنا كان زواجاً نادراً لانهُ كان اشتراكاً تعاونيًّا من جميع الوجوه . فقد مضت سنوات لم يفترق فيها احدنا عن الآخر اكثر من بضع ساعات . ولم يخف في خلالها احدنا عن الآخر سرًّا ما . فتى مات زوجي افقدهُ حبيباً وصديقاً وزميلاً . ليس لنا اولاد وقد تخطينا الشباب ودرجنا الى الكهولة ، وحياة كلٍّ منا كانت مركّزة في صاحبهِ . واكاد لا اصدق انهُ في يوم من الايام سوف اشرع اعيش وحدي — أعمل ، وألهو ، وآكل ، وأنام وحدي ! كيف استطيع ان اقنع بمطالعة كتاب ، او بمشاهدة شريط سينمي ، او بسماع برنامج لاسلكي اذا كنت لا استطيع ان ابدي رأيي فيها لهُ . كيف استطيع ان اقضي سهرة عند جماعة من الاصدقاء من دون فترة تعقبها في البيت حيث نتحدث عما رأينا وسمعنا ؟ كيف استطيع ان اغتبط بما أحرزه في عملي من الظفر ، او كيف استطيع ان اتحمل ما يعروني من القنوط احياناً ؟ كيف استطيع ان اعنى بنفسي ، محاولة الاحتفاظ بغضاضة شبابي وحسن هندامي ؟

سوف لا امتنع عن اي شيء من هذا . وانني لاحتقر الارامل اللواتي يلفّ الحياة عند ما تحلّ بهن مصيبة ، فيجعلن حياة اصدقائهن وصديقاتهن مترعة بالبؤس لشدة ما يتنهدن في المجتمعات او لشدة ما يعتنين عنها

اما انا فلن ابكي وأولول متكئة على اكتاف الآخرين ، ولن اتحدث حديثاً لا ينقطع عما اصبته من السعادة مع « هيو » ولن اكون باعثاً من بواعث الكدر والازعاج في اجتماعات اصحابي

ولست اطلب الا ان أُترك وشأني ، في مكافحتي للتغلب على كل هذا . ولكنني لست ادري كيف استطيع ان احمل هذه الوحدة . انه لا سهل عليّ ، ان افقد ذراعي ، او عيني ، على ان أُنزعَ هذا النزع العنيف الاليم من رجل اصبح جزءاً من حياتي وشخصي لا يتجزأ عنهما

ومع ذلك فالحياة ماضية في طريقها المرسوم . و « هيو » يظن انهُ نافه ، او انني ارجو انهُ يتصور ذلك . فهو عاجز عن ادراك الحقيقة ، والا لما وجب عليّ ان اتبعه طوال النهار محذرة من التعب محرضة على الراحة . ومع ذلك يجب ان لا اشغل بالهُ كثيراً بعنايتي لان شغل البال أضر به لشدة ضعفه من رفع حمل ثقيل . ثم يجب ان ادبر عنايتي به ، بحيث لا توقظ في نفسه اي شك في حقيقة حاله . وانهُ ليسرني انني استطيع ان افعل كل هذا

ولكن في ضمن هذا النطاق الخافل من الحياة اليومية ، اجدني ، أجد نفسي الحقيقية ، محيرة ، مرتاعة ، محاولة ان تدرع درع الشجاعة ، آنا سائرة في دردور ، وآنا معلقة في فراغ ، عالمة ان في اية دقيقة ، قد ينفصل النطاق الخارجي ، فتبرز هذه النفس من عالمها الخاص الى عالم الحقيقة الواقعة . انني اكتب هذه الكلمات الآن ، وقد ارفع بعد هنيهة نظري الى زوجي وهو يصغي الى اذاعة الراديو ، فأسأله ولا يجيب

ربع ذلك

كنت احسب انني اعددت نفسي لفقده . والآن أراني على خطإ . لم أسقط اعياء عند ما دنت الساعة الاخيرة ، مع انهُ سبقها يومان طافى فيهما آلاماً جسدية وعقلية أيّ معاناة . فنظرت في كل الشؤون الخاصة التي تبعث في النفس ذلك الالم العميق الذي لا قرار لهُ . لم أذرف دمعة واحدة في اليوم الاول لشدة تعبي وهول مصابي ، وقد انقضى عليّ شهران الآن وأنا ماضية في عملي المألوف محاولة ان املأ كل دقيقة من ساعات اليقظة بعمل يصرفني عن التأمل في حالي ويمنعني عن الشعور بالوحدة الاليمة . وقد بدا لجميع معارفي انني قابلت مصابي ، بهدوء عجيب ، فلما كان أحد زملائي في العمل يحدثني أمس في موضوع لهُ صلة بزوجي طلبت منهُ فجأة ان يغير الموضوع فقال دهشاً « لقد واجهت مصابك بشجاعة وصبر فلم يدر في خلد أحدنا أنك متأثرة به الى هذا الحد »

لم استطع حتى الآن ان أنشط الى زيارات بيوت اصدقائي ، ولكنني لا أمتنع عن قبول زيارات اصدقائي والتحدث معهم في هدوء في كل موضوع حتى في كل ما يتصل بزوجي . وقد ذهبت من أسابيع الى بلدة اخرى لانقل رماد زوجي في قارورة ، وانني لن أنسى كيف جاهدت لأملك نفسي عن الاعوال أمام الناس في القطار وأنا ضامة تلك القارورة الى صدري الذي لن يستند اليهِ رجل آخر بعد الآن . فلما وصلت الى داري اوصدت الباب وتهالكت على مقعد . ولكن لم تمض ساعة عليّ حتى كنت جالسة أمام مكتابي أقوم بعملي اليومي . الا ان الشخص الذي يفعل هذه الاشياء ليس أنا ، لان « أنا » التي كانت تهتم بالحياة تحولت رماداً في محرق الجثث

وقد تحفت شيئاً جديداً من رسائل التعزية . انها تُسيل جراحاً تكاد تلتئم . فأفضل ما يفعلهُ أصدقاؤك وأنت تسير في وادي ظلّ الموت ، أن يتركوك تجتازه . وكثيراً ما قيل لي ، ان الزمان يندمل الجرح ، ويخفف من وقع الضربة ، كأن الانسان يجد شيئاً من التعزية اذا علم انهُ سوف يخوض جحيماً مدى سنة أو سنتين او خمس سنوات فقط . لقد ذكرني من أراد تعزيتي ، بكرم «هيو» ولطفهِ ودماثتهِ وهذه كلها أمور أعرفها معرفة أتمّ وأعمق من معرفتهم هم . وقد اكدوا لي انهُ خيرلهُ ان يموت من أن يعيش مريضاً مزمناً مع انني علمتُ من شقيقهِ انهُ كان يفضل ان يبقى حيًّا على اية حال . وقد قيل لي كذلك انهُ اخذ نصيبهُ من الحياة ، وانهُ بلغ من العمر سنًّا وافية ، حالة انني انظر من النافذة فأرى رجلاً يصحُّ ان يكون والد « هيو » وهو عائد من رياضتهِ اليومية في الخلاء ، ويزاول الذهاب الى مكتبهِ ستة ايام في الاسبوع . ولكن « هيو» الذي كان واسع العلم ألمعيّ الذهن ، قد مضى ولن يعود

وانا الآن مشغولة بتفكيك بيت قضينا عشرين سنة في انشائهِ لان دخلي لا يسمح لي باستبقائهِ . ثم انهُ اكبر مما احتاج اليهِ . ولست احتمل احداً آخر يشاطرني بيتي بعدهُ رجلا كان او امرأة . ولذلك اراني مضطرة ان اتخلّى عن جميع القطع التي كان لها مكانة خاصة في نفوسنا ، فجعلت لنا من الشقة بيتاً عرفت رجلاً احتفظ بكل شيء في داره ، بعد وفاة زوجتهِ ، على ما كان عليهِ في حياتها . علبة «البودرة» وقلم «الاحمر» على مائدتها زينتها ، وفساتينها معلقة في خزاناتها ، وامر الخدم بان يعدّوا لها مكانها على مائدة الطعام كلّ صبح وظهر ومساء ولكنني اظنّ هذا نوعاً من الشعور المريض

وانني لاشكر الله انني قويتُ حتى الآن على مواجهة الحالة الجديدة بكل مقتضياتها العسيرة . ولكن الزمن لم يخفف من وقع الصدمة كما قالوا . بل انا لا اصدق ان الزمن يندمل للجروح . فقد كان جدّي في الثالثة والثمانين عند ما حضرتهُ الوفاة ، وكان آخر لفظ فاه بهِ ، اسم اول فتاة احبها قبل ان عرف جدتي

ولكنني اعدّد النعم القليلة شاكرة . واذا كان لي ان اسرَّ ، فقد سرّني انهُ سبقني ، لانني لو سبقتهُ ، لتحيّر واضطرب وعجز عن مواجهة مقتضيات حالتهِ الجديدة . ثم أنهُ يسرني انهُ عاد الآن لا يتألم . ويسرني كذلك انني استطيع ان اتذكر الآن ، دلائل حبي لهُ ، وقيامي على عهده ، وعنايتي بهِ . بل لاغتبط انهُ كان محبوباً من جميع عارفيه وانهم عرفوا قدرهُ ومكانتهُ

***

ولكن ذلك لا يكفي . فجنا كان يزداد ويقوى يوماً بعد يوم فلم يفقد جدته ، بذهاب رواء الشباب . وكنا لشدة صلتنا أحدنا بالآخر ، نحلم في بعض الليالي الاحلام نفسها ، او يجيب احدنا عن الاسئلة التي تجول في خاطر الآخر . فقد كان أحدنا قلب كيان الآخر ، والباعث لهُ على حب الحياة ، ومواسيهُ في المحبة . كان الفردوس فردوسي ، ولكنه ضاع ، ولن يستعاد !

الصحة والطقس

للدكتور فيليب شرباش

[نشر الدكتور فيليب تباعاً سلسلة من المقالات الصحية في الندوة وعالجه في جريدة الاجبشن ميل فرأينا ان نلخص احداها لما احتوت من الفوائد الصحية العامة]

« آخر دوا تغيير هوا » من الامثال السائرة . وقد ينطوي هذا القول على شيء من التعريض بعجز وسائل الطبيب فيحاول عندئذٍ ان يتخلص من مريضه بارساله الى اقليم آخر لتبديل الهواء

ولكن اطلاق هذا المثل القديم اصبح لا يتفق بوجهٍ من الوجوه مع التقدم العلمي الحديث في التفريق بين أنواع مختلفة من الطقس والجوّ والاقليم وهذا يمكن الطبيب من ان يصف للعليل نوع الطقس الخاص الذي يتفق وعلتهُ الخاصة . وقلما تحسب الاقامة في جوّ موافق جانباً مهماً متمماً لوسائل العلاج العلمية

والاقليم من الوجهة الصحية هو تأثر الأحياء بماء منطقة ما وتربتها وهوائها . وهذا التأثر يتوقف : (اولاً) على العوامل الجوية كالحرارة والنور والرطوبة والريح (ثانياً) على العوامل الارضية كالارتفاع عن سطح البحر والتربة والنبات

***

اذهب الى قلم الجوازات وراقب مئات الناس المنتظرين هناك بفارغ صبر الحصول على التأشيرات اللازمة على جوازاتهم ليتمكنوا من السفر الى بلاد يصيفون فيها جوّاً أبرد من جوّنا الحار . قال أين يذهبون لقضاء فصل الصيف ؟ إما الى جبل وإما الى ساحل من السواحل حيث الشاطىء يتيح الرياضة والاستحمام بماء البحر ، ولكن كيف يفضلون هذا على ذاك أو ذاك على هذا ؟ لان صديقاً كان في الجبل فوصفهُ وصفاً يأخذ بمجامع النفس ، او لان صاحباً قضى صيفه السابق على الشاطىء فتحدث بمحامده ولم يكلّ ، وكلاهما قال ان نفقات المعيشة معقولة

ولكن قلما تجد مصطافاً — الا في القليل النادر — يدرس المكان الذي يقصد اليهِ من ناحية ارتفاعه ، والرياح السائدة فيهِ ، ورطوبة هوائه ، حتى يتأكد أن كل ذلك يتفق ومطالبه الصحية بوجه عام . والغالب ان يذهب الناس الى اماكن الاصطياف ، خبط عشواء ، فيذهبون ويعودون وقلما يجنون فائدة تذكر من الذهاب والاقامة والاياب

اذا كانت حالة اعضائنا الرئيسية متعبة ، وكان عملنا يسمح لنا في تبديل الهواء فلماذا لا نذهب الى طبيب يفحصنا ويشير علينا ببقعة نستريح فيها وتكون مؤاتية للقلب والكلى والرئتين

فللحرارة شأن كبير في صحة الانسان ومرضهِ . واثرها الضار في الكبد واعضاء الهضم اشهر

من أن يذكر . وامراض الرئتين يؤاتيها الاقليم المعتدل . وفي معالجة سل الرئتين لا يكفي ان تكون الحرارة معتدلة ، ولكن الجو يجب ان يكون مستقراً ، أو غير متقلب تقلباً فجائياً يعرض المريض لما لا قبل لهُ به . فالتقلب الفجائي بين الحر والبرد ، يؤثر في الجهاز العصبي الذي يضبط حرارة الجسم ويتطلب منهُ جهداً غير مألوف ، وهذا يضني الجسم ويجب ان نتجنبهُ على أية حال

بل قد نقول في ما يتعلق بسل الرئتين ان الهواء الرطب رطوبة يسيرة مفيد لانهُ يريح الاعصاب حالة ان الهواء الجاف ضار لانهُ يهيجها. وعلى العكس من ذلك ان الهواء الجاف يؤاتي المصابين برومأزم المفاصل وامراض الكلى حالة ان الهواء الرطب يضرهُم

فالمريض المصاب بسل الرئتين يجب ان يذهب الى مكان على شواطىء البحر الابيض المتوسط حيث الجو معتدل والهواء على جانب من الرطوبة، ولكن هذا الهواء الرطب يتقلب ضاراً اذا كانت التربة راجة لا تمتص المطر، او ان امتصاصها لهُ قليل جداً . وهنا اريد ان اوضح ما أعني . فكثرة المطر لا تضر المسلول ، لان المطر بدلاً من ان يبرد الهواء يدفئه قليلاً ويحول دون تقلباته المفاجئة ولكن اذا كانت التربة في منطقة ما ، لا تمتص المطر بسرعة وسهولة ، تصبح الارض وحلية شديدة الرطوبة ، او اذا كان الهواء متقلباً يحدث في تقلبه تغييراً مفاجئاً في الحرارة وصفاء الجو ، فتلك المنطقة لا تصلح للمسلول . ثم يجب على الطبيب ان يتبين مهاب الرياح في منطقة ما قبل ان يصف تبديل الهواء فيها لاي مريض وخاصة للمسلول. وخير الرياح ما يهبُّ من فوق البحار ، لانهُ يجيء معتدل الحرارة غير ملوث بالجراثيم . وشرُّها ما هب من بقع يغطيها الجد او من الصحارى

***

واذا ذكرنا الارتفاع ، فعندي ان ارتفاع ١٢٠٠ متر هو الحدُّ الفاصل بين الارتفاع الذي يجهد المريض والارتفاع الذي يريحهُ

فالشواطىء البحرية تختلف عن الاماكن المعتدلة الارتفاع في ان ضغط الهواء فوقها كبير جداً وعدم تعرُّضها لانخفاض مفاجيء في الضغط وهو ما تحدثهُ الرياح الشديدة في الاقاليم المعتدلة الارتفاع . واذاً فالشواطىء البحرية من هذا القبيل توصف للمتعبين العاجزين — لاسباب في جهاز التنفس او في جهاز الدورة الدموية — عن الملاءمة السريعة بين اجسامهم والضغط الجديد الذي يحدثهُ هبوب الريح . وهذه الملاءمة السريعة مما تقتضيهِ الحياة في اماكن مرتفعة . فالمصابون بالسل او بالازما او بضعف القلب ، يحسُّون بشيء من الفرج عندما يهبطون من الجبال الى السواحل

وللسن تأثير كبير في احداث هذه الملاءمة او العجز عنها . فالشبان اقدر عليها على قدر الجبال من المتقدمين في السن . وقلما نجد مصاباً بالسل ، يستطيع بعد سن الخامسة والاربعين ، ان يعيش في جو بارد وفي مكان مرتفع من دون ان يصاب باعراض الالتهاب . بل ان المسلولين المزمنين الذين تصلبت جوانب من رئاتهم يعجزون بعد سن معيَّنة عن المعيشة في مكان مرتفع

واذاً فالاماكن العالية ليست بالاماكن التي توصف للمصابين بتصلب الشرايين او ضعف الكلى او القلب او التربفس من الرئتين او للذين يتمرضون لفقد جانب كبير من وزنهم بسرعة . نعم ان كريات الدم الحمر تتكاثر بسرعة في الاماكن المرتفعة ، ولكن البحث اثبت انها تتكاثر كذلك بمد اقامة قصيرة على شواطىء البحر . ففي خلال الاسابيع الثلاثة الاولى من الاقامة على شاطىء البحر تطرد زيادة هذه الكريات ، ثم تبدأ تقلّ ، ولكنها تبقى مع ذلك اكثر مما كانت قبل قدوم صاحبها الى الشاطىء

قلما يختلف جوّ الشاطىء عن جوّ الجبل من حيث التروجين والاكسجين وثاني اكسيد الكربون ، ولكن الاوزون في هواء الجبال الحرجاء اكثر منهُ في هواء الشاطىء . الاّ ان هواء الشاطىء يفوق هواء الجبل بما يحتوي عليهِ من الملح واليود . والاوزون يختلف عن الاكسجين في ان دقيقته تحتوي على ثلاث ذرات اكسجين ، وهي لذلك لها فعل مطهر ووجودها في الجوّ دليل وبرهان على نقائهِ . واستنشاق الاوزون يزيد مقدار الهيموغلوبين النسبي في كريات الدم الحمر . وهذا يعني تحسّن الحالة الصحية بوجهٍ عام

اما اذا هبّت الرياح فوق البحر فانها تحمل دقائق من الملح نستنشقها مع الهواء الذي نستنشقهُ اما الملح في هواء البحر فليس مقداره ثابتاً بل يتغيّر بتغيّر الاحوال . واما اليود فعنصر دائم في هواء البحر ومقداره فيهِ يفوق ١٢ ضعفاً مقدارهُ في الهواء الذي يهبُّ في داخل البلاد بعيداً من الشاطىء

نوم الاطفال

من قواعد علم النفس الجديد ان السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل لها اكبر مقام في مستقبل صحتهِ العقلية والنفسية . وهي قاعدة تنطبق كذلك على الصحة الجسدية ، لان البيئة التي ينشأ فيها الانسان ، والغذاء الذي يتناوله ، والعادات الصحية التي يتعودها ، لها اكبر مقام في حياتهِ ، لانها تتأصل في تلك السنوات ويمتدُّ اثرها الى آخر الحياة

ومن الامور التي جزم فيها بعض العلماء والاطباء ان اهمال قواعد الصحة في سن الطفولة ، لا تعوضهُ اية عناية في المستقبل ، تعويضاً تامًّا . وعبء هذا العمل العظيم — عمل الاحتفاظ بقوى الاولاد الجسدية وتنشئة العادات الصحية الصالحة التي يمهد اليها في المستقبل في حفظ هذه القوى — يقع على كواهل الوالدين ولكنهُ يكفل نموّ الاطفال شباناً وشابات تفيض الصحة ويسيل الشباب انسليم من معاطفهم ومعاطفهن

وليس الغرض من هذا المقال الاّ ذكر بعض المسائل العلمية ومعالجتها من ناحية تطبيقها على صحة الاطفال . فلا بد للطفل من النوم الكافي لينمو صحيحاً ، جسداً وعقلاً . ومن الامور التي

لا يختلف فيها الباحثون ولكنها مع ذلك مما يبعث على اعظم الاسى ، ان الاطفال في الجماعات المتحضرة ، كثيراً ما ينشأون رجالاً ونساء ضعاف الاجساد والعقول ، لعدم حصولهم في طفولتهم وما بعد طفولتهم على النوم الكافي الوافي . وانك لتستطيع ان تعرف الطفل المحتاج اشد الحاجة الى النوم من بعض عاداته . فهو في الغالب يغط في النوم صباحاً ، ويتمرض عند ايقاظه متثاقلاً ، ويسرع في تناول فطوره ، ويتأخر عن الوصول الى مدرسته في الميعاد ، وقلما يكون منتبهاً انتباهاً كافياً في فصول المدرسة ، فاذا طالت حاجته الى النوم ، يشحب لونه وتضطرب اعصابه ، وينشأ هزيلاً ويصبح شديد التعرض لكل داء من ادواء الطفولة وامراضها

ومن الواضح ان تدبير كل ما يلزم لتمتع الطفل بقدر كاف من النوم يقع على عاتق الوالدين وهؤلاء يجب ان يعلموا ، عدد ساعات النوم الذي يوافق عمر الطفل . فالوليد فيما يفصل غير الاكل والنوم . ثم ان الاطفال بوجه عام يحتاجون الى ١٤ ساعة نوم كل يوم الى ان يبلغوا السنة السادسة من العمر . والى ١٢ ساعة نوم بين السادسة والثانية عشر ، والى عشر ساعات نوم ، فوق ذلك العمر

وميعاد النوم له شأن كبير في سلامة النوم . فالصغار الذين في الثانية والثالثة الى السادسة يجب ان يناموا حوالي الساعة السادسة مساء ثم يؤخر ميعاد نومهم رويداً رويداً حتى اذا بلغوا الثامنة من العمر كان ميعاد نومهم الساعة الثامنة مساء . وبعد ذلك يؤخر ميعاد النوم ربع ساعة بزيادة كل سنة في عمرهم ، حتى اذا بلغ الولد الرابعة عشرة من العمر ، كان ميعاد نومه قد اصبح الساعة التاسعة والنصف مساء

وعلى الوالدين ان يجروا على هذا البرنامج جرياً دقيقاً حازماً . وقد يقال احياناً ان السماح للولد بتأخير ساعة نومه بمثابة عيد او هدية له ، ولكن ذلك يجب ان يكون نادراً لئلا يتحول الى عادة. ثم يجب ان يتخذوا كل تدبير في وسعهم ، ليكون نوم اولادهم هادئاً ومريحاً . فالوالدون يجب ان يعنوا عناية كبيرة ، بازالة كل باعث من بواعث الضجيج في البيت وقت نوم الاطفال او على الاقل قرب حجرهم . اما حجر النوم فيجب ان يتخللها الهواء ، والفرش يجب الا تكون باردة حتى لا تحول دون تمدد الطفل فيها تمدداً يريحه . واذا كانت اغطية السرير وافية فيجب ان تترك النوافذ مفتوحة . ويجب الحيلولة بين الاطفال النائمين وبين تغطية رؤوسهم بأغطية السرير او بالوسائد

أما الدرس قبل النوم ، والقراءة في السرير ، فيجب ان يمنعا . ومن الواضح ان ما يأكله الطفل قبل النوم يؤثر في نوع الراحة التي يصيبها من النوم . فاذا تأخر في تناول طعام العشاء وشرب معه الشاي او القهوة ، فالغالب ان تقطع نومه الاحلام المزعجة والكرابيس المرعبة

وأخيراً يجب ان يحال بين الهم والاضطراب والطفل الذاهب الى سريره . فاذا رأى الوالدان او احدهما ان امراً ما يقلق بال الطفل ، فحديث يستغرق خمس دقائق قبل النوم يريح بال الصغير ، فيصيب في نومه الراحة المطلوبة

آداب الحديث

من آداب الحديث والسمر عند الغربيين انك اذا اجتمعت باحد فاول ما يجب عليك معرفتهُ هو هل تراهُ اكثر ميلاً الى الاصغاء او الى الكلام فان كان يميل الى الاول فاكثر من الثاني او الى الثاني فاكثر من الاول. والحديث الطيب هو ما كان منسجماً طبيعيًّا لا ثقيلاً ولا خفيفاً . كثير الفائدة ولكن ليس الى حد الصلف بالعلم واظهار بضاعتك منهُ . فكهاً ولكن بلا جمجمة . مهذباً ولكن بلا تورية

ومن شروطه ايضاً ان يكون بين بين في طوله لا خطاباً مستفيضاً ولا موجزاً الى حد الاقتضاب. وان يكون معقولاً بحيث لا يحتمل الاخذ والرد والجدل الكثير . والحسن الحديث يحدث سامعيهِ عن كل شيء كيما يجتني كلٌّ منهم ما يهوى ويلتقط من دوره المتساقطة ما يشتهي . وبحثه في جميع المسائل التي يتحدث بها سطحي أو اعمق من السطحي قليلاً ولكنهُ لا يغور الى قعر المسائل كما يفعلون في الجمعيات العلمية البحتة

ومن أقوالهم لا تحدث الموسيقي بالموسيقى ولا بالطب مثلاً إلاّ اذا كان مريضاً وكان الطبيب غائباً . ولا تحدث الناس بالمسائل المبتذلة عندك والمجهولة عندهم لئلا يكون مثلك معهم مثل الكركي والثعلب اذ صنع الاول للثاني مأدبة وقدم الطعام اليهِ في قصاع بعيدة الغور ضيقة العنق فالتهم المضيف كل شيء ولم يذق الضيف شيئاً

قالوا واسكت عن نفسك واطراء اقوالك واعمالك . فانها ان كانت حسنة تستحق المدح نشرت شذا عرفها من نفسها أو اتاح لها الله لسان حسود . وان كانت سيئة فكلما سكت عنها تحسن صنعاً

ولا تقطع على محدث حديثه واسكت اذا قطع الكلام عليك. وقل الخير عن الجميع. قال بعضهم «قل عن الناس كلهم ما يستطاع من الخير . واذا اردت ان يقال الشر على احد فاعهد في ذلك الى الشيطان»

من الحكايات اللطيفة التي يحكونها ان سيدة كانت تحدث ضيفة لها في منزلها في حضرة طفل لها والطفل لاهٍ يلعب ببعض الدمى بين يديهِ . واذا بضيفة ثانية قد دخلت ثم ما عتمت ان انصرفت وبعد انصرافها جعلت السيدتان تفتشان عن عيوبها وتذكرانها باقبح الاوصاف فلم تبقيا ولم تذرا. وكان الطفل في خلال ذلك مشغولاً بلعبهِ في الظاهر . ولكنهُ رفع رأسهُ هنيهة وقال للضيفة المحتشمة « وهذا ما تقوله « ماما » عنك بعد انصرافك »

ومما قالوا ان سوء التفاهم وعدم الانتباه اكثر ضرراً من الغش والاحتيال

ولكن حدثنك بالمسائل التي كثر بحثك لها وأصغ الى المسائل التي قل علمك بها فان المعرفة كالحب لا يصح استعمالهُ في الاعمال إلا بعد تجفيفهِ وتبييضهِ . وليس شيء ادعى الى سآمة الحديث مثل ان يفرغ المحدث جعبتهُ في الموضوع الذي يتكلم فيهِ . قال كرومول الانكليزي : اذا كثر هرف محدثك فدعهُ وانصت له مسروراً اذ انت العاقل . واذا اخطأ في قول فاسكتهُ بكلام لا يقبل المراجعة . واذا صدق فافرح بقول الحق »

المفترقان

لمرام ديبورد فالمور

وهي شاعرة فرنسية ولدت سنة ١٧٨٥ وتوفيت في باريس سنة ١٨٥٩

لا تكتب ! فاني حزين اشتهي الموت
ما عهود الصيف الجميلة بدونك الاّ الحب بغير اشتعال
لقد طويت ذراعي لما اعجزها الوصول اليك
والقارع على قلبي كالقارع على قبر

فلا تكتب !

لا تكتب ! فلا تعلّم انفسنا الاّ ان نموت
ولا تسأل الاّ الله ... والاّ نفسك اذا كنت احبك
ان سماعي انك تحييني وانت في شديد صحتك
كن يسمع من السماء وما هو بصاعد اليها ابداً

فلا تكتب !

لا تكتب ! اني اخافك . اني اخاف ذاكرتي
فانها قد حفظت صوتك الذي يناديني غالباً
لا تدلّنّ على الماء من لا يستطيع له شرباً
ان كتاب عزيز لديك صورة منهُ قريبة الشبه

فلا تكتب !

لا تكتب هذه الكلمات الحلوة التي عدت لا اقوى على قراءتها
فكأن صوتك يلقيها على قلبي ويفيضها
وكأني اراها خلال ابتسامتك تلمع
وكأنها بقبلة منك على قلبي تُطبع

فلا تكتب !

الشاعر والاولاد

لفكتور هوغو

الشاعر الفرنسي العظيم وُلد سنة ١٨٠٢ وتوفي سنة ١٨٨٥

على دكة اجلس ، فلا ادري لِمَ
جميع الصبية الصغار يجتمعون حولي
فما اكاد اجلس حتى اذا هم جميعاً عليَّ يقبلون
ذلك انهم يعلمون اني اجد مثل ميولهم ، ويذكرون
اني أُحبُّ مثلهم الهواء والزهر والفراش
والبهائم التي تُرى عادية في الغيطان
ويعلمون اني امرؤٌ احبهم
واني انسان يسعهم اللعب بقربه ، بل
الصياح والضجيج والكلام المرتفع
واني كنت اضحك مثلهم وأشد منهم في ما مضى
واني اذ اشهد اليوم ملاعبهم
أبشّ لهم ايضاً ، وان اكن اشد تَرَحاً وبشاً
ويقولون ، ويا ما احلى مودتهم ، اني لا يمكنني
ان اغضب ابداً وانهم يلعبون معي وان اصنع
اشياء من ورق مقوّى ورسوماً بالقلم
واني اقص اذ يوقد السراج
ويا عجباً ! اقاصيص لذيذة تخيف اذا الليل جنّ
وبالجملة اني لطيف غير مستكبر ، واني ذو علم كثير !

الاناء المكسور

لسولي برودم

وهو شاعر فرنسي ولد سنة ١٨٣٩ وتوفى سنة ١٩٠٧

صدع بدا من مَسّ مروحة
في آنية فيها رَعيُ الحمام [1] قد ذَوَى
وكأن الاصابة لم تمس الآنية
اذ لا صوت أيدي بها

ولكن ذلك السَّلْم الخفيف
كان كل يوم يسري في الزجاج
سيراً خفيفاً مستكناً
حتى طوق الاناء على مَهَل

سال منه ماؤه البَشّام قطرة قطره
والزهر غاض ماؤه وجفّ
وما فطن بعد أحد الى ما كان
لحذار أن تمسه انهُ قد انكسر

كذلك يقع غالباً ان بدأ نحبُّها
تمس القلب فينجرح
ثم يتصدع القلب من نفسه
فتذبل فيهِ زهرة حبه

لا يبرح بأعين الناس لم يُسْلَم
وهو يستتر بجرحه الرقيق البليغ
يبسو ويبكيه متكتماً
لقد انكسر لحذار أن تمسّه

(١) نبات وزهر جميل منظره أنيق

باب المراسلة والمناظرة

إرشاد لغوى

فى كل جزء كلمة

للأستاذ عبد الرحيم بن محمود

لقيط ثانٍ من أمراض وأعراض

بوزن قُتَّال

الى الأستاذ الباحث سالم خليل رزق في النبك من سورية

تحيتى لكم وبعد فقد قرأت فى مقتطف يونيه كلمتكم الجامعة خمدت إليكم الله الذى رفع بمثلكم شأن اللغة العربية فى زمان فيه اللُّغى تتقدم . ولا غرو فأنتم من القامة عليها — وعالم ذو همة يحيي أمّة — وما كنت فى بحوثى اللغوية فى المقتطف الاّ مؤدياً واجباً علىّ قد خالط دمى ولحمى ولا أسأل العرب والمستعربين عليها أجراً الاّ قراءتها للانتفاع بها فيما يكتبون ويقولون نثراً وشعراً بعد نقد كلماتى نقد الصيرفى دراهمه . ولذلك أشكر لمن أجاب دعوتنا ونهل من منهلنا وورد موردنا واستقرى قِرانا[1] والضيوف إذاً أكرم من المضيف إذا عدّما أقدمه لهم قِرى ولا إخاله كرماً!!

لعمرُ أبيك ما نُسِب المُعَلّى إلى كرمٍ وفى الدنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ إذا تمرَّتْ وصوَّح نبتها رُعِىَ الهشيمُ

وقد غرس القُدامى شجراً يُؤتى اكلَهُ كلّ حين فأكلنا ثمراً جنيّاً وكذلك نحن نغرس ليأكل حَفَدَتُنا وما لدىّ قليل وإن استكثره إخوانى فأنت أولى منى بالشكر والحمد إذ أنك تحيى لغتك وتبعث أمتك فى لسانها من رممها وتربط تليدها بطريفها وفى لغتك الفصاحة والبلاغة — أعزك الله ما أعززت أمّ اللغات التى هى أبقى على الزمان من الزمان

---

(١) استقرى طلب الضيافة — القِرى بكسر القاف وفتح الراء ما يقدم للضيف من طعام وهو أجود ما عنده المضيف الكريم عادة فمعنى استقرى قرانا طلب قرانا

بَلِيتَ هاشمٌ وبادت نِزارُ والسان المُبين ليس ببال

أما استفتاؤك لى فى الأمراض والأعراض التى جئت بها فى مقالك المشار إليه فإنى قسمته ثلاثة أقسام : أولها ما يتعلق بالطب البشرى وهذا أفتيك فيه عمرة أصدقائى الاطباء الحذاق فى اجزاء من المقتطف إن شاء الله وقد نبهت منى غافلا وأردتنى على ما يريده منى قراء المقتطف ولاسيما رجال المجامع اللغوية العربية أعانهم الله وعصمهم ونفع بهم . وثانيها ما يتعلق بالطب البيطرى ولى من اصدقاى البياطرة فى مصر معينون غير أنى أؤجل الاجابة عن هذا القسم بعد استيفاء الاجابة عن سابقه (لا بد من صنعا وإن طال السفر)

وثالثها ما يتعلق بالأدوية وستكون كلماتكم فى جبهة الأدوية التى أعنى بها فى المقتطف إذا حان حينها وأدركتكم إياها ولى منهج فى بحوثى لا أحيد عنه قيد شعرة — وكل ما هو آت آت

لم يملك المحبوب صبـ ـراً عنك حين ملكتَ صبرك

وإنى أوجه نظرك الى أن فريقاً من الكلمات اللغوية التى وردت فى كلمتك لم تفصل شرحها اللاغى[1] بل أجملت وأوجزت فالبحث عما يرادفها باللغة الاجنبية من المستحيلات اذا رعينا الامانة حق رعايتها وتخصيص العام لا يلزم إلا بالاجماع وهيهات ان يكون فى هذا العصر وأغربة البين قد حشت فى كل اقليم شرق . بل انها اتخذت فى كل بيت من بيوتاتنا اوكاراً ولا ارى كالشرقيين تظهر فى أفرادهم القوة وفى مجموعهم الضعف وأنا منفرداً اكثر منى عملاً فى جماعة ومتى تجمعين اويقات الاتفاق وكلنا يوده ولا يتخذ اليه سبيلاً . ولقد صدق من قال عنا « اتفقنا على الا نتفق » ورحم الله المتنبى وهو القائل :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلاّ على شجب[2] والخلف فى الشجب

***

ولْيعلم القرّاء أن الأطباء الذين يعينونى يجهدون جهداً معى فى اختيار اللفظ الاجنبى المرادف للفظ العربى حتى تتم المطابقة بين المعنيين ولا بد لى من عرض كلامهم على أطباء سواهم للمبالغة فى التحقيق وبين أيديهم المصادر الموثوق بها من عربية وغير عربية بعد النقد الذى سداه الحق ولحمته الصدق

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

ودار المقتطف التى يشرف عليها صديق الاستاذ فؤاد صروف قد غصت بالمصادر العالية ولها نصيب موفور فى التحقيق الذى يرفع بحوثنا الى الغاية التى يتطلبها عشاق الحقيقة الخالدة. وقليل من

(١) اللاغى كتب اللغة والمفرد ملغى أى كتاب اللغة كالقاموس ولسان العرب وغيرهما
(٢) الشجب بفتح الشين والجيم الهلاك

الثروة الادبية يُنفى خَبَثه خير من كثير فيه خبث وهذه طائفة مما سألتني عنه فهاك الاجابة عنها :

﴿ الرُّداع ﴾ ورد في اللغة بمعنى النكس ومرادفه بالانكليزية (Relapse) وورد ايضاً بمعنى الالم الذي يصيب الجسد كله ومرادفه بالانكليزية General malaise

﴿ الفُتار ﴾ ابتداء الغشية ويرادف هذا اللفظ بالانكليزية Fainting Sensation

﴿ البُوال ﴾ وهو البول السكري (أي الصادق أو الظاهر سببه) وترجمته بالانكليزية كما يلي Diabetes mellitus

ويأتي أيضاً بمعنى البول الكثير أي الكاذب أو الخفي سببه في اصطلاح الاطباء وترجمته بالانكليزية Diabetes Insipidus

ويأتي أيضاً بمعنى تتابع البول وترجمته Incontinence of urine أو Frequency of urine [1]

﴿ السُّكات [2] ﴾ ما يمنع من الكلام — غير البكم والفلل ويرادفه بالانكليزية Aphasia

﴿ الزُّماع ﴾ وجع يعترض في ظهر السقاء حتى يمنعه من السقي يقال أزمع السقاء أي أصابه الزُّماع ومرادفه (Lumbago) وهو المعروف عند أبناء سورية بالبَرْقة وأيضاً ينشأ من التهاب العضلات وترجمته (Myositis)

وجع شَغاف [3] القلب (Pericarditis)

﴿ الزُّحام ﴾ وجع الرحم (Metritis)

﴿ الحُصاص ﴾ مرض يتناثر منهُ الشعر (Alopecia)

﴿ قُلاع ﴾ الاذن (Antitis Media)

﴿ الحاق ﴾ هو جدري الدجاج وقد تلتبس هذه الحالة بالجدري البشري لتشابه في كثير من الاعراض وترجمته (Chicken Pox) والحاق أيضاً هو الجُدَيْري أو جُدَري الماء ومرادفه (Varicella)

﴿ الخُباط ﴾ اي الصرع وهو نوع من التشنج العصبي وهو داء صاحبه الجنون فالموت وترجمته (Epilepsy)

﴿ الحُكاك ﴾ هو الجرب على التحقيق وترجمته Scabies

---

(١) الترجمة الاولى للطبيب سامي الياس والاخرى للطبيب شكري مشرق
والالفاظ الطبية الانكليزية التي في هذا المقال لتطبيبين الفاضلين المذكورين ولقيت تأييداً من غيرهم من اخوانهم الاطباء بعد عرضها عليهم

(٢) وليس بمعنى السكتة التي تعطل بها الاعضاء عن الحس والحركة الا التنفس كما ترى لانها يرى أهل اللغة

(٣) شغاف القلب بفتح الشين ، غلافه

﴿الظَّلَاع﴾ العرج وترجمته Lameness أو Claudication

﴿التَّحال﴾ ورد في معجم الطالب فحل جلد فلان جفّ ويبس وأفحل الصوم جلد فلان أيبس جلده على عظمه ويرى الطبيب شكري مشرق أن توضع الكلمة (قُحال) لما يرادف بالانكليزية Scleroderma إذ أن الجلد يجف من هذا المرض وينقلص حتى يلصق بالعظم أو يكاد يلصق به

﴿القُعَاس﴾ مصدر بمعنى القعس وهو مرض به يخرج الصدر ويدخل الظهر ويقال لصاحبه أقعس إذا كان ذكراً وللانثى قعساء ضد الأحدب والحدباء ومرادف القُعَاس Lordoses . وأما الحَدَب فترجمتهُ Kyphoses

هذا وقد اكثر اللغويون من المعاني والمترادفات لكثير من الأمراض والاعراض مما جاء في مقال الاستاذ النابه سالم خليل رزق على توغلها في الابهام والعموم فعدلنا عنها أو آثرنا نحن والأطباء بعض هذه المعاني على غيره مما تقفنا مرادفه باللغة الانكليزية لانتقاء الافتئات — والمقتطف رائد القراء « إن الرائد لا يكذب أهله »

وهذه كلمتي أسوقها إلى أبناء العرب والمستعربين الذين بهم تحيا اللغة إذا أرادوا لها حياة وبحياتها يحيون وبموتها يموتون — ومن يصن مجد قومه ولغة قومه وأخلاق قومه فقد صان عرضه الذي هو عرضهم والسلام

الهشاب

والقَتَاد والعَكَوب

أعرف مصطفى بك الدمياطي منذ خمس وعشرين سنة او اكثر وكنا نجلس في اسبلندد باد في أيام مجده وكان يرافقه الى هذه المجالس ابنه محمود ثم حدث الى مصر فسألت عن محمود فاذا هو استاذ في مدرسة الزراعة في الجيزة وقد نبغ في علم النبات ورأيت له مقالات نفيسة في المقتطف تدل على علم واسع وتحقيق دقيق جداً ولما كنت أعرفه وهو غلام فاني استأذنه في نقد بعض ما جاء في مقالاته

فقد أجاد في السمط أيما اجادة واجاد في احد انواعه وهو الهشاب ووصفه وصفاً حسناً جداً مما يدل على علم وتدقيق وبحث فهو ليس ناقلاً جمّاعاً بل يعرف هذا النبات حق المعرفة وانما فاته ذكر اللفظ العربي الفصيح له وهو القتاد ذكره احمد عيسى بك في معجمه ص ٣ قال Acacia senegal Syn. Acacia verek وقال اسمه هشاب وقتاد (الين) واظن احمد بك اخذ القتاد

عن الكتاب الآتي A. Deflers, Voyage au Yemen 1887 والكتاب كان في مكتبتي فاستعاره الامير مصطفى الشهابي ولم يعده على عادة الادباء في عدم اعادة الكتب المفيدة ولكن لا بأس لأن الامير يستفيد منهُ اكثر مني وانني لو قرأت عن القتاد في النسخة التي عنده في دمشق لوجد ان دفلرس وصفه كما وصفه الاستاذ محمود مصطفى الدمياطي وكما وصفه صاحب التاج . قال التاج « القتاد كسحاب شجر صلب له شوكة كالابر وجناة كجناة السمر يطبت في نجد وتهامة واحدته قتادة. وقال أبو زياد من العضاه القتاد وهو ضربان فاما القتاد الضخام فانهُ يخرج له خشب عظام وشوكة حجناء قصيرة. واما القتاد الآخر فانهُ ينبت صعداً لا ينفرش منهُ شيء وهو قضبان مجتمعة كل قضيب منها ملآن ما بين اعلاه واسفله شوكاً وفي المثل من دون ذلك خرط القتاد وهو صنفان فالاعظم هو الشجر الذي له شوك والاصغر هو الذي له نُفاخة كنفاخة العُشَر » الى آخر ما ذكره صاحب التاج في هذه المادة . قلت هذا هو القتاد الذي قال فيهِ كليب التغلبي ماذا يريد جسّاس منّ هُلَيلان ودونهُ خرط القتاد في الليلة الظلماء وهو الذي ذكره دفلرس وعيسى بك وهو ليس الخشاش على ما ورد في معجم شرف بك مما يدل على ان كل واحد من المؤلفين الفاضلين بحث مستقلاً عن الآخر والصواب ما جاء في معجم عيسى بك وما قاله الاستاذ الدمياطي الاّ انهُ اصاب في الهشاب وفاته القتاد

وهناك نتاد لم يرد في كتب اللغة في ما اعلم بل ورد في ابن البيطار وهو الكُشيراء ولا محل للبحث فيهِ هنا ولا يخفى ان كلا النباتين مستعمل في الطب وارى ان يقتصر على القتاد والهشاب لهذا الذي يخرج منهُ اجود اصناف الصمغ العربي وعلى الكثيراء لهذا الذي يستخرج منهُ الصمغ الآخر

***

بقيت هفوة اخرى نقلها الاستاذ محمود عن عمدة المحتاج للرشيدي وهي ان القردون هو المكّوب فالمكّوب اسمهُ العلمي Gundelia Tournefortii فليس هو الكعيب ولا العكوب ولا الكعوب بالتخفيف ولا العقّوب ولا الكوب كما جاء في معجم الطبيين الفاضلين بل هو المكّوب كتور كما ورد في التاج وقد اسهبت في ذلك في مقالة لي نشرت في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٣

فأرجو من صديقي الاستاذ الدمياطي ان يستمر في ابحاثه المفيدة لانه يكتب عن هذه النباتات كتابة عالم خبير واني ادعو الله ان يمد في اجلي لارى معجماً في النبات من تأليفه فاننا في حاجة كبيرة الى معجم يعتمد عليه واني احذره من امرين وهما الادعاء والحذلقة فقد سئمنا الحذلقة في مصر والشام والعراق فلم يكن الجاحظ متحذلقاً ولا ابن البيطار كان مدعياً لانهما كانا على علم كبير واني لا ارى الادعاء والحذلقة الا في هذا الزمن نوعان من الاقاقية ذكرهما صوابآ كما فعل الاستاذ الدمياطي خير من ثلاثين نوعاً ليس فيها نوع واحد خالياً من الخطإ فاننا نريد معجماً نعتمد عليهِ وهذا الامر ليس عسيراً اذا سرنا على طريقة الاستاذ محمود الدمياطي

امين المعلوف

مكتبة المقتطف

مسألة من بريس — للدكتور بشر فارس

تآليف المستشرقين

ابرهيم مدكور، « منزلة الفارابي في المدرسة الفلسفية الاسلامية »
٢٥٤ ص ، من القطع المتوسط ، باريس ١٩٣٤

Ibrahim Madkour, "La Place d'al Fârâbi dans l'école philosophique musulmane"
Editions Adrien—Maisonneuve, Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris

تخرج صديقي ابرهيم مدكور في دار العلوم ثم شخص الى باريس فطلب في جامعتها الفلسفة ، وما زال في اجتهاد وتحصيل حتى نال شهادة (الليسانس) ، ثم صرف همه الى الالهيات والمنطق حتى ظفر بالدكتوراه في الآداب برسالتين احداهما المذكورة فوق هذا الكلام

ان الباحثين في الفلسفة الاسلامية لم يعنوا بالفارابي عنايتهم بغيره من المفكرين المسلمين ، ذلك انهُ لم يلتهِ الينا مما الفه الرجل الاّ اقله (انظر مقالة كارا دي فو في دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ ص ٥٨) . ثم هناك ما عدل بأولئك الباحثين عن الفارابي بعض التعيه ، ذلك انه قام في اعتقادهم او كاد يقوم ان الرجل انما جال في دائرة الفلسفة الارسطية [1] فلم يحدث شيئاً (انظر Munk, Mélanges de Philosophie juive et arabe, 1927 ص ٣٤٣ ، ذكره المؤلف) . هذان امران ثبت لهما الدكتور مدكور فنقضهما اذ رأى ان ما وقع الينا من تآليف الفارابي يدلنا على اركان مذهبه دلالة كافية وبخاصة إن نحن عارضناها بتآليف من اخذ عنه امثال ابن سينا وابن رشد. وأما الامر الثاني فما وقع في خلد الدكتور مدكور ان الفارابي — وان حذا حذو ارسطو وعرف من بحره ما شاء الله ان يعرف — لصاحب فلسفة قائمة برأسها ، ألاّ وهي الفلسفة الاسلامية . وقد استقامت هذه الفلسفة على يد المعلم الثاني (اي الفارابي) دون الكندي الذي كان الى العلوم الطبيعية اميل منهُ الى العلوم العقلية ، ومنزلة الكندي من الفارابي منزلة المفكرين اليونانيين الاولين بين حاسبين واطباء ومنجمين من ارسطو

اعتماداً على هذه النظرات انطلق الدكتور مدكور يبحث في فلسفة الفارابي ويحللها ويرد مسائلها الى سوابقها في الفلسفة اليونانية وما اخذ مأخذها ويتتبع لواحقها في الفلسفة الاسلامية وما قفا إثرها . فما دارت عليهِ مباحث هذا الكتاب النفيس ان مذهب الفارابي يندرج تحت الفلسفة

(١) نسبة الى ارسطاطاليس او ارسطوطاليس

الروحانية — المعنوية ، فالروح فيه صاحب العمل والعقد على حين المعنى أس ووسيلة . وهذا المذهب منحدر — جملة — من جانبين احدهما الفلسفة الافلاطونية — الارسطية والآخر الفلسفة البلوطينية. وطرافة المذهب ان الفارابي عالج مسائل اسلامية محضة كمثل الجمع بين الايمان والعقل اي الدين والفلسفة تلك المسئلة التي شغلت المتكلمين على اختلاف مللهم زماناً طويلاً . ومما يأتي بعد هذا ان ابن سينا انشأ مذهبهُ على مذهب الفارابي الاّ شيئاً ، وان ابن رشد اخذ أخذ الفارابي على الغالب وان حاول ان يدفع طائفة من آرائهِ وآراء الشيخ الرئيس لتعصب كان فيهِ لأرسطو . هذا ثم ان نظرية الفارابي في « الاتصال » قد راجت عند ابن باجة وابن طفيل. على ان تأثير الفارابي لم يكن مقصوراً على الفلسفة الاسلامية بل جاوزها الى علم الكلام اليهودي والمسيحي في القرون الوسطى من طريق ابن سينا وموسى بن ميمون وغيرهما ، والى التصوف عند ابن سبعين الاندلسي «والاشراقيين » اصحاب الشيخ المقتول ، بل الى الفلسفة الحديثة : فكلام سبينوزا Spinoza على السياسة المدنية والنبوة والعقل والايمان يميل ميل كلام الفارابي عليها جميعاً قليلاً او كثيراً

ذلك مضمون الكتاب ، وبهِ نزع صاحبهُ من مصادر الفلسفة الاسلامية حجاباً فشهر جانباً ضخماً من جوانبها ورفع من شأنها في اسلوب علمي دقيق قويم

كل هذا أصدقه صديقي . على اني اصدقه شيئاً آخر ، ذلك ان لي على كتابه استدراكات مالي بكتمانها قراء هذا الباب من المقتطف يدان :

أثبت الدكتور مدكور في آخر كتابه جدول المصادر التي عوّل عليها (ص ٢٢٣ — ٢٤١) وقد خطر لهُ ان يلحقها بنقد جامع جرياً على طريقة علماء الفرنجة . ويسمى هذا النقد بالفرنسية مثلاً Bibliographie Critique وأني والله ليسوّئني أن أقول ان هذا الجدول ليس من محاسن الكتاب . ففيه مثل هذا النقد الذي أنقله حرفاً لحرف

« كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان — لا بدّ منهُ لمعرفة سير أعلام المسلمين » ، « كتاب الفهرست لابن النديم — تأليف جليل الشأن نظراً الى العلوم الاسلامية والكتب المنقولة الى العربية » و « كتاب تاريخ الحكماء للقفطي — ذو شأن عظيم جداً » و « معجم الادباء لياقوت — من أعظم تآليف العرب في التراجم » و « تاريخ الآداب العربية للألماني بروكلمان C. Brockelmann — مصدر حسن (كذا) لسير المسلمين المفكرين وتآليفهم » ، « ارسطاطاليس للانجليزي رُس W. D. Ross — بحث مستفيض غاية الاستفاضة يدل خاصة على معرفة الفلسفة الارسطية من مختلف مصادرها » اه

ولعل القارىء يجاريني على أن الفهرست وتاريخ الحكماء ووفيات الاعيان ومعجم الادباء وتاريخ الآداب العربية لبروكلمان في غنية عن هذه التعريفات ، وهيهات أن يكون بأصحابها حاجة الى مثل تلك التلويحات . واما رُس فهو أمام العصر فيما يتعلق بأرسطاطاليس . هذا ومما يصل اليهِ علمي

ان نقد المصادر في التآليف العلمية انما يستقيم على غير هذا الاسلوب . فإما ان تنشر عيوباً مستورة أو تذيع محاسن مجهولة او تحلل تحليلاً تامًّا أو تحول الانظار الى كتاب ظهر حديثاً أو تثبت جميع «طبعات» كتاب من الكتب وما قيل فيه وكتب. وقد رأيت المؤلف لم يذهب في هذا المجال مذهباً بعيداً . مثال ذلك انهُ لا يذكر لنا تاريخ طبعة كتاب « الطب العربي » ولا مكانها Arabian Medicine by Browne المنقول الى الفرنسية ، وانهُ يهمل طبعة الدير السورية « للمنقذ من الضلال للغزالي » وطبعة مصر « لآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي » وانهُ يغفل بحث شيخي احمد زكي رحمهُ الله في رسائل اخوان الصفا (انظر Etude Bibliographique sur les Encyclopédies Arabes, Le Caire 1308 h.) وان يعرض عند الكلام على « مروج الذهب للمسعودي » عن الاشارة الى ما في طيات هذا التاريخ من الاساطير والمبالغات (انظر «مقدمة ابن خلدون» طبعة بيروت سنة ١٩٠٠ ص ٣٦ مثلاً) وانه يفرط في الايجاز عند ذكر كتاب المستشرق فنسنك Wensinck الموسوم «بالعقيدة الاسلامية» The Muslim Creed, Cambridge 1932 في حين ان هذا الكتاب حديث العهد ، وانهُ لم يطلع على هذا الكتاب « مقالات فلسفية لابن سينا والفارابي والغزالي وابن العبري وابن العسال مع تعريب اسحق بن حنين المقالات (ارسطو وافلاطون) (بيروت ١٩٠٨)

ثم ان المؤلف يميل الى ارسال احكام مبهمة وارمة . من ذلك قوله «تلخيص حسن» (ص ٢٣٣ س ٧ تحت ، ٢٤٠ س ٧) وقوله «بحث دقيق مستفيض» (ص ٢٣٦ س ٣) ، وقوله «عرض حسن» (ص ٢٣٦ س ١٩ ، ص ٢٣٢ س ٤)

ولن أدع هذا الباب — باب جدول الكتب — دون ان أخبر المؤلف انهُ لم يرجع الى ثلاثة مباحث طما شأنها بل بينها وبين موضوعات كتابه علاقات . فأحدها يبحث في فلسفة (سبنوزا) Spinoza «على ضوء الفلسفة الاسلامية اليهودية وعنوانه The Philosophy of Spinoza, unfolding the latent processes of his reasoning, 2 vol. Cambridge 1934, by H. A. Wolfson وقد برز هذا الكتاب قبيل بروز كتاب المؤلف (طلب نقده في مجلة « الاندلس » التي يخرجها لفيف من المستشرقين الاسبانيين ، الكتاب الثاني ، العدد الثاني ، سنة ١٩٣٤، ص ٤٣٨). والبحث الثاني يعرض لفصلة التي بين فلسفة ابن سينا وفلسفة ديكارت فيما يلحق باثبات النفس (وحكاية هذه الصلة في الكتاب ص ١٥٣) وقد نشر ذلك البحث مستشرق ايطالي G. Furlani في مجلة ألمانية مستشرقة Islamica سنة ١٩٢٧ ، الجزء الاول ، ص ٥٣ — ٧٣) تحت عنوان Avicenna e il Cogito, Ergo Sum di Cartesio . وأما المبحث الثالث فالكتاب الآتي نقده في هذه الرسالة

ولننتقل الآن الى مجال آخر مجال رسم الحروف العربية بالشكل الافرنجي Transcription بالفرنسية و Transliteration بالانجليزية :

يقول المؤلف في صدر الكتاب تحت عنوان جدول رسم الحروف العربية « إنا عمدنا الى

اسلوب نرسم به الحروف العربية على وجه النطق بها » . فهل للمؤلف ان يبيّن كيف جعل الجيم حرف ز الفرنسي (لا الانجليزي) ؟ والمعلوم ان مخرج هذا الحرف بالفرنسية مخرج الجيم في اللهجة الشامية . ثم هل له ان يبين كيف جعل للضمة العربية حرف القين ٥ الفرنسي ؟ فان حرف اللين ٥ يلفظ في الفرنسية ممالاً اي بين الضمة والفتحة على نحو ما تلفظ عامة مصر الهمزة المضمومة في هذه العبارة مثلا « أُلْبَسُهُ » . فاضر المؤلف لو اتبع في رسم حروف العربية طريقة دائرة المعارف الاسلامية او الجمعية الاسيوية الفرنسية . ولاشك ان له ان يضع طريقة في ذلك يستحدثها استحداثاً وانما وجه الاعتراض في قوله انهُ « صدد الى اسلوب يرسم به الحروف العربية على وجه النطق بها » tels qu'ils se prononcent حالة ان ذلك الاسلوب ينحرف احياناً عن النطق الصحيح بتلك الحروف

ومن الاعتراضات التي تلحق بهذا الباب ان لفظة « المتكلمون » (اي اصحاب علم الكلام) رسمت على هذا الشكل « المتكلمين » كذا : les Motakallemin غير مرة (١٤٦ ، س ٢١ ، ص ١٤٧ س ١٣ ؛ ص ١٥٠ ، س ٢٣ و ٢٥ ، ص ٨٠ ، س ٣ تحت) . فلم ادرك السبب الذي من اجله رسمت هذه اللفظة بالحروف الافرنجية في حالة النصب او الجر (اي بالياء والنون) بدلاً من ان ترسم بتقدير الابتداء بها والوقف عليها (اي بواو ونون ساكنة) كذا Les Mutakallimoun في حالة الرفع هي الغالبة إذا وقعت اللفظة مفردة فيما أعلم ، والمستشرقون على هذا النحو جارون . ثم اني لم أدر لم رسمت كسرة اللام من « المتكلمين » بالحرف اللين ٥ الفرنسي اي ممالة على نحو ما تلفظها العامة عندنا ، والوجه في هذا ان ترسم بالحرف اللين i الفرنسي كما اثبت ذلك المؤلف في « جدول رسم الحروف العربية » المتقدم ذكرهُ

ومما يلي هذا ان المؤلف اضطر الى ان يترجم نصوصاً للفارابي رغبة في التدليل والتبيين ولغة الفارابي على جانب عظيم من الايجاز . ومن نتائج الايجاز المفرط الالتباس والاشتباه . فلولا ان يكون المؤلف راسخ القدم في العربية عالماً بالفلسفة الفارابية لما قوي على ان ينقل تلك النصوص الى اللغة الفرنسية نقلا حسناً . الا ان نصًّا اختلطت عليَّ سطوره حتى اني لم أخرج منه بشيء (ص ١٣٨ س ٨ الى ١٩) . ومما بدا لي وأنا اقرأ هذا الكتاب الجامع ان المؤلف اتفق له الحين بعد الحين ان يستند الى مباحث العلماء والمحدثين في فلسفة ارسطو ومن قبله ومن بعده وفلسفة آباء الكنيسة وسبينوزا وغيرهم عرضاً عن ان يرجع الى تآليف هؤلاء الفلاسفة انفسها (انظر مثلا : ص ٣٣ حاشية ٦ ، ص ٣٦ ح ٣ ، ص ٧٠ ح ١ و ٢ ، ص ٨٠ ح ١ و ٦ ، ص ٨٦ ح ٢ ، ص ٩٢ ح ٢ ، ص ٩٥ ح ٣ ، ص ١٢٧ ح ٦ ، ص ١٣٣ ح ٤ ، ص ١٤٤ ح ٥ ص ١٧٤ ح ١ و ٢ و ٣ ، ص ١٩٠ ح ٢ ، ص ٢٠٧ ح ١ و ٥ ، ص ٢٠٨ ح ٤) انه لا يخفى علي انه اعتمد على ائمة ؛ غير ان البحث الذي نهض له يقتضي الرجوع الى الاصول من حيث انه بحث قائم على معارضة الفلسفة اليونانية وما جرى مجراها وفلسفة القرون الوسطى بالفلسفة الفارابية خاصة والاسلامية عامة

بقي اني لو شفيت صدري أمنية لوددت لو اردف المؤلف كتابه بذيل ادرك فيه اصطلاحات

الفلسفة الفارابية كاملة . فالاصطلاحات الواردة في الكتاب المبسوطة في جدول في آخره لا تقع غلة وبنا اليوم حاجة ماسة الى تدوين الاصطلاحات الفلسفية ، بل حاجة الى معرفة اصطلاحات الفلاسفة واحداً واحداً على تعاقب السنين . وخاتمة النقد اني اشهد ان تلك الاستدراكات « اللاحقة بالعرَض لا بالذات » لا تنقص من شأن هذا الكتاب الغزير مادةً

أ.م . جوا شو — المدخل الى ابن سينا — رسالة الحدود له

(ترجمة وتعاليق) ٢٥٤ ص ٥ من القطع الصغير بباريس ١٩٣٣

A. — M. Goichon — Introduction à Avicenne. Son épitre des définitions (traduction avec notes) — Edition Desclée, de Brouwer et Cie — Paris

عمل المستشرق الاسباني ميجيل أشين بلاسيوس Miguel Asin Palacios مقدمة لهذا الكتاب. ومما جاء فيها « ان مسألة الاصطلاحات الفنية ولاسيما الفلسفية من ملثويات اللغة العربية . والمتمنى ان ينهض لتنيف من العلماء الى تأليف فلاسفة العرب فيدونوا اصطلاحاتهم واحداً واحداً بحيث انهم يؤلفون معجماً للمواضعات الفلسفية عامًّا وخاصًّا في آن ، اي جامعاً للالفاظ بمفاداتها المتحولة على ايدي الفلاسفة زماناً ومكاناً . والحق ان معاجم اللغة لا تكاد تلتفت الى هذه المواضعات واما المعاجم الموقوفة على الاصطلاحات نحو «مفاتيح العلوم» للخوارزمي و« التعريفات » للجرجاني و« كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي (وهنا افضل المستشرق الفاضل « الكليات » لابي البقاء طبعة بولاق ١٢٥٣ ، وطهران ١٢٨٦ ، والاستانة ١٢٨٧) فهي تسوق الالفاظ جملة من دون ان تقيدها بمصادرها وموارِدها » اه

تلك امنية يطول حبّذا لها ! وها هي ذي تتقاد بمثل هذا الكتاب . فقد عمدت صاحبته فيه الى ايضاح اصطلاحات ابن سينا خاصة مستندة الى رسالته في الحدود . فجاء هذا الكتاب توطئة لفلسفة ابن سينا من حيث انهُ يبين مفادات اصطلاحاته وبسط وجوه آرائه في آن . ذلك بأن المؤلفة علقت على كل حد من حدود ابن سينا فشرحتهُ شرحاً ممهداً مستقيئة بتآليفه الاخرى راجعة الى تآليف الفلسفة اليونانية وبخاصة الفلسفة الارسطية التي اقتبس منها ابن سينا الشيء الكثير . وها كنا نود أن تعارض المؤلفة اصطلاحات ابن سينا باصطلاحات الفارابي من الناحية التاريخية — اللفظية

وثمة عمل مرهق نهضت به المؤلفة ، ألا وهو نقل كتاب الحدود الى اللغة الفرنسية ولا يسع الناقد الاّ ان ينوه بما قدمت يداها وان يتجاوز عن عثرات معدودات منها ترجمة « الامور القبيحة والحسنة » هكذا le laid et le beau (ص ٣١) أي القبيحة والحسنة من جهة الجمال والمراد من جهة الاخلاق ، فالوجه أن يقال : le bien et le mal وترجمة «الفهم» بالعقل (الذكاء) l'intelligence (ص ٩) واظن الوجه la compréhension أو l'entendement (وكذلك ترجم في ص ٢٣) وترجمة «النطق» بالعقل la raison واظن الوجه le Langage (كما في ص ١٣) ثم اشتباه في ترجمة المكان والحيز (ص ١٥٠ — ١٥٢) وترجمة «الفطرة» بالعقل l'intelligence (ص ٣٤ — ٣٥) والفطرة هنا الطبيعة

وكان يحسن بالمؤلفة أن تنشر النص العربي مرة أخرى وتجعله قبالة الترجمة الفرنسية حتى يتتبع القارىء الترجمة فتعظم الفائدة . ومما يقال — فوق هذا — ان المؤلفة لم ترجع في المباحث اللغوية المحضة الى الاصول العربية الاولى من المعاجم بل وقفت عند قاموس لين Lane الانجليزي. انها لم تستفد من معاجم الاصطلاحات التي تقدم بك ذكرها ولم تعارض مواضعات ابن سينا لتعاريفها حدودها

والذي يسوء القارىء في هذا الكتاب ان الالفاظ العربية قد رصمت بالحروف الافرنجية على غير وجهها الصحيح في الغالب . ولو اخذت أسرد الادلة على ذلك لشاقت « مكتبة المقتطف » بها . وحسبك هذه السقطات « الطُبيب» (اي الطبيب ، ص ١٦ رقم روماني) « الجز » (اي الموجز ، الصفحة عينها) «اللاتي» (والمراد التي ، ص ١٧ رقم روماني) «أسبِّبُه » (والمراد اسبابه ، ص ١٩ رقم روماني «المُوت » (أي المَوْت ، ص ٣٦ ، رقم روماني) «متوفّي» (والمراد متوفّى ، ص ٢) « أخِذ » (أي : أخَذَ ، ص ٢٨) « التغذّى » (أي : التغذي ، ص ٢٩) ، « صُحّة » (اي صحّة ، ص ٣١) « لا وجودَ لها» (اي : وجودَ ، ص ٥٢) ، «الخُط »(والمراد : الخَط ، ص ١٤٦) الخ ، الخ . ولا جرم ان هذه السقطات تجعل الكتاب موضع نكير وغمز ، ولربما سأل الناقد نفسه كيف استقامت الترجمة لمن كان بينهُ وبين العربية الفصحى مثل هذا الشسْع ب . ف .

المعجم في بقية الاشياء

لابي هلال العسكري — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في ١٧٤ صفحة من الحجم الصغير —

لأبي هلال العسكري فضل لا يجحد على اللغة وأدبها ، فلقد ترك لنا ثروة قيمة من مؤلفاته ، ونخص منها في علم اللغة كتبه « التلخيص » و « ما تلحن فيه الخاصة » و « الفروق في اللغة » و« المعجم في بقية الاشياء » . وهذا الأخير ، ولو أنهُ صغير الحجم الاّ أن فائدته جزيلة ، ولقد قصره على ايراد اسماء بقايا الاشياء . ان معجماً كهذا لا شك يسهل الحصول على امثال هذه الكلمات فقد يتعذر على الكاتب في بعض الاحيان اطلاق اسم على كل شيء من البقايا الصغيرة فينقب في المعاجم وقد يفنيه البحث قبل ان يجد غايته . وليس من ينكر فضل التخصيص في تسهيل المعارف وتيسيرها

والآن ، ونحن نترقب من مجمع اللغة الملكي ، ترقية اللغة واظهار ابنائها على ما خفي بين المعاجم من الكلمات مما يصلح للتعبير عن كثير من حاجاتنا ، ووضع معجم جديد يتفق وحاجة العصر ، نعدُّ اظهار هذا للمعجم خدمة طيبة يشكر عليها الأستاذان ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي اللذان قاما بتكملة هذا المعجم والتعليق عليه وضبطه ، ونشكر لحضرة محمد مصطفى نجم افندي فضله في الانفاق على هذا المعجم وإخراجه في هذا الثوب القشيب . ولعلهم يتعاونون على اخراج باقي مؤلفات هذا العالم الجليل واحياء النفيس من مخطوطات المكتبة العربية فيقدمون الى ابناء هذه اللغة يداً لا تنسى

ضحى الاسلام

تأليف الاستاذ احمد امين بكلية الآداب بالجامعة المصرية . الجزء الثاني يبحث في نشأة التفكير في العصر العباسي — ٣٦٣ ص من قطع النصف — طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

من الاسراف ان يقول ناقد ان أي بحث يتناول تاريخ نشأة العلوم عند العرب في بدء حضارتهم يمكن ان يلم بأطراف ذلك الميراث العظيم الذي حققته العلوم الاسلامية في ثلاثة القرون الاولى بعد الاسلام . ولذلك اسباب تناولها كثير من المؤرخين بالبحث والتنقيب وخص بعضهم من علاقة نشوء العلم عند العرب من ناحية العلاقات السياسية والاقتصادية او الاجتماعية التي أثرت في الفكرة الرئيسية للاسلام أو العقائد التي ذاعت بين العرب بعد الرسالة . غير ان ذلك لم يأت تاماً ولا يمكن ان يعد يوماً حد الكمال . فان ما ضاع من آثار العرب في العواصم الاسلامية بسبب الحروب ، وما فقد من الآثار العلمية التي خلفها منتشو الحضارة العربية ، في مختلف نواحي العلم والحياة ، يجعل الوصول الى رسم صورة جامعة من حياة العرب العقلية في أيام حضارتهم امراً عسيراً بل متعذراً وغاية ما يصل اليه المؤلف ان يجمع اجزاء متفرقة ليحاول أن يخرج منها صورة جامعة . اما رسم هذه الاجزاء وجمعها فأهون بكثير من تركيبها كلاً واحداً واخراجها صورة كاملة الاجزاء مؤتلفة النواحي ، فان فقدان الحلقات التي تربط بينها ، يقف أمام المؤلف حجر عثرة دون الوصول الى الغاية الاخيرة التي يبغيها من تكوين هيكل كامل للحضارة العربية

***

مثال ذلك ما ورد في نهاية الفصل الاول من كتاب الاستاذ احمد أمين عند الكلام في حرية الرأي عند العرب . فان الاستاذ على دقة بحثه واحاطته بالموضوع الذي يكتب فيه احاطة شاملة ، لم يستطع أن يكون فكرة جامعة عما كانت الفكرة في حرية الفكر في ذلك العصر . وكل ما استطاع ان يستخلص من علمه الواسع بتاريخ ذلك العصر ، بضع صور متلاحقة من خليفة كان يتسمح مع الزنادقة أو المعتزلين ، الى آخر يضطهدهم ويؤيد السنيين . ولكن الى اي مدى أثرت هذه الحرية من ناحية ، والاضطهاد من ناحية اخرى ، في الفكر العربي جملة وتفصيلاً ؟ ذلك ما لم يصل مؤلف الى تحليل دقيق فيه ، خرج منه بصورة اشبه بالصورة التي يمكن رسمها لعصر الاضطهاد في اوربا تحت لواء محاكم التفتيش

مع كل هذا استطاع الاستاذ احمد امين ان يبرز صوراً بديعة مؤتلفة الاجزاء وبخاصة في التشريع الاسلامي والفقه والتاريخ ، وهي نواح من التاريخ العربي مصادرها اوفى من مصادر غيرها من فروع الفكر التي ازدهرت في عهد الحضارة العربية

يجانب هذا نقول ان تبويب كتاب في تاريخ الفكر العربي عنصر من أهم العناصر التي تعين المؤلف على الوصول الى غايات بعيدة من تحقيق الغرض الذي يرمي اليه . ولاشك في ان ترتيب ابواب كتاب ضحى الاسلام وتساوق موضوعاتها قد مكّن الاستاذ الفاضل من تقريب الصورة التي حاول ان يرسمها لذلك العصر من الفهم تقريباً قلما تقع على مثال له في كثير من الكتب التي تصدت للكلام في موضوع العلم في الحضارة العربية

على ان لنا بعد ذلك ان نتناول ناحية هامة من الكتاب . وعندي ان اخطر ما يتعرض له مؤرخ في ضحى الاسلام هو استقراء الاتجاهات التي اتجه فيها اللغويون والمترجمون من الاستعانة بالاصول العربية في وضع المسميات التي عرض لهم الكلام فيها على نحو ما فعل المؤلف عند كلامه في المذاهب اللغوية في العصر الذي أرّخ فيه . وعندي ان البحث اللغوي في هذا العصر سيتجه اتجاهاً جديداً يخرج فيه على الاوضاع القديمة . فان اكثر اسماء النبات والحيوان التي وردت في المعاجم مشتق من اصول عربية صحيحة قد تخلص فيها صفة في الحيوان او النبات . هذا اذا لم يكن الاسم معرباً . وجرى العربي في ذلك على غير قاعدة قياسية . فان القياس والسماع والجدل فيهما لم يظهرا في الواقع الا في عصر ضعفت فيه السليقة العربية والذوق العربي عند اختياز الوزن الذي يؤخذ منه الاسم . ولذا قيل ان ما سمع من العرب موزوناً على بعض الصيغ صحيح ، ولكن لا يقاس عليه . مثال ذلك صيغة — فَعّول — فقد جاء منها خنوس وخنوص وقلوب وسنور ولكن ليس لك ان تصوغ اسماء على هذا الوزن لحيوانات تريد تسميتها الآن . وكذلك صيغة يفعول وفيعول وإفعيل مثلاً . عدا غيرها من الصيغ التي لا يتناولها حصر

وهنا نقع في مشكلة كبيرة ، اذ ليس امامنا في هذا الا احدى طريقتين : فاما ان نصوغ من كل الاوزان التي سمعت عن العرب اسماء لما نريد تسميته الآن ، فنحصر كل الاوزان التي وردت في اسماء الحيوانات والنباتات والاسماء الاخرى ، ونجعلها قياسية يوزن عليها في العلوم قياساً بحيث يكون الاسم مأخوذاً من اصل عربي يشتق منه ، وإما ان نلجأ الى التعريب ، فنزن المعرب على وزن عربي حيناً ، وعلى غير وزن عربي حيناً آخر . ومذهبي ان الصوغ من الاوزان التي سمعت عن العرب اولى من التعريب ، بل اني اكاد اقطع باننا اذا قلنا بقياسية ما سمع عن العرب استغنينا عن التعريب وهذا ما نعني هنا من القول بان البحث اللغوي يجب ان ينتحي منحى جديداً يتناول حاجة اهل العصر والتسمح في وضع قواعد جديدة يجري عليها اهل اللغة

***

واني لارجو ان تتاح لي فرصة اخرى اوفي فيها هذا البحث حقه من الاستفاضة والبيان . ولاشك في ان اتجاه تاريخ العلوم عند العرب هذا الاتجاه مفيد بل انه الركن الاول في توجيه البحوث اللغوية توجيهاً جديداً فيه الخير كله لابناء العربية في عصرنا هذا

اسماعيل مظهر

ديوان حافظ

من صباه الى وفاته

٢٦٨ صفحة بحجم المقتطف — طبع مكتبة الهلال بالنجالة بالقاهرة — الثمن ١٥٠ مليما

لم يعرف شاعر حديث أحب الى الشعب المصري من فقيد الادب المغفور له محمد حافظ ابراهيم بك . وليس ذلك لان له قوة فتية تبذ غيره من الشعراء المعاصرين الممتازين وانما ذلك لان حافظاً يعبر أصدق تعبير عن شعور هذا الشعب تعبيراً شعرياً ساذجاً في الغالب متعمتاً أحياناً بحيث ان ديوان شعره يمثل سيرة الشاعر المصرية الوطنية في ثلث قرن . فاذا أحبه الشعب المصري فانما يحب ذاتيته المتفعلة الممثلة في شعره الصادق الوطنية المندمج كل الاندماج في أحاسيس الامة المصرية

ولقد توفي حافظ في احوال لم تمكن الامة من تقديره مجتمعة فقدره أفرادها متفرقين كأنما موته كان خسارة عائلية لكل منهم ، والى ذلك أشار شاعر العربية الاشهر الاستاذ خليل مطران في مقدمته البديعة التي صدرت بها هذه الطبعة من الديوان اذ قال أطال الله بقاؤه :

«الامة المصرية بارك الله فيها تكرم شعراءها الكبار وعلماءها العاملين وأعلامها البارزين في كل منحى من مناحي المعارف والآداب والسياسة والقضاء والادارة والاجتماع والاقتصاد . وما منهم الا من له في فؤادها مقام معلوم فان زعم زاعم أنها تنسى موتاها العظماء ففي الحق انها لا تنسى ، غير ان مظاهر حبها ووفائها تختلف عن أمثالها عند الامم الاخرى . هي تنفق من شعورها ما لا ينفق سواها . ولكنه قد يفوتها في احوال جمع كلمتها المتفرقة من حيث انها لم تألف التعاون على متعدد صوره فذلك لا ينقص من كنه ما بذلت بيد انه ينقص من قوته وخصوصاً فيما يبدو منه للناس . مثل شعورها في اكثر أمرها مثل الماء الفحضاح المنتشر رقيقاً فوق وجه الارض لتبدد أجزائه ، ولو احتفر له مسيل منها رحب ، وردت أطرافه الى ذلك العقيق ، لاندفع اندفاع النيل يحمل الثمال من الجواري المنشئات تخطر عليه خفافاً ، ولا فاض الخير من كل جانب . وذلك كان شأنها مع المغفور له محمد حافظ ابراهيم بك شاعرها الذي كان في مدى اربعين سنة من سنيها الاخيرة ملء ابصارها وأسماعها . وكانت له المواقف التي وطدت وايدت سيادتها الادبية في العالم العربي ، وكل قارىء وكاتب من أهلها كان يعرف حافظاً ويحب حافظاً وينشد شعراً لحافظ لأن حافظاً كان المعبر عن آمالها وآلامها بأصدق ما عبر شاعر سواه ، فحيثما حل فله الاكبار ، وحيثما انتقل فله الكرامة الموفورة والتجلة النزيهة . عاش كذلك بينها منذ ابلغته عبقريته المجوادة ووطنيته الفياضة مكانته الرفيعة بين جوانحها . فلما قبض الى ربه عم حزنها عليه ، لم يخل منه انسان ولا بيت ولا عشيرة ، كما حقق ذلك كل منا في نفسه وفي محيطه » . وتبعاً لهذا نشعر بفرحة خاصة كلما اطلعنا على اثر من آثار التقدير لشاعرنا الفقيد الكبير ، وما اخراج ديوانه في نمط جديد إلا مثالاً من امثلة هذا التقدير المحبوب

وبعد فيقضي عليّ واجب النقد الادبي أن أقول في صراحة مع شكري للمكتبة الناشرة ان أملي كان اضعاف ما حقق على يديها ، ولذلك ارجو باخلاص ان يتدارك النقص المحسوس في طبعة هذا الديوان عند اصدار طبعات اخرى في المستقبل القريب ان شاء الله . اما ملاحظاتي النقدية فأجملها فيما يأتي واكتفي بها لاهميتها خصوصاً وشعر حافظ مشهور لدى القراء وقد سبق درسهُ في (المقتطف) فلا حاجة بنا الى الاستشهاد بهِ في هذا المقام : —

(١) — ليست قصائد الديوان منسقة التنسيق الواجب بحسب الابواب او التواريخ بل هي تمثل خليطاً عجيباً

(٢) — ينقص الديوان كثير من شعر حافظ كقصيدتهِ الميمية الكبرى في الجامعة المصرية ورثائه لمصطفى كامل ومحمد ابو شادي ، فضلاً عن شعره السياسي الاخير واخواناتهِ العديدة ، وكان الواجب على الناشر الفاضل ان يدعو الادباء الى معاونتهِ في ذلك وأن يمهلهم مهلة كافية لا أن يطبع الديوان على هذه الصورة

(٣) — شرح البلدان قليلٌ ومقصورٌ على قصائده القديمة . كذلك تجرد الديوان من ذكر المناسبات لمعظم القصائد مع ان هذه مساعدة اي مساعدة على تفهم القصائد تفهماً فنياً وخدمتها بالنقد الادبي المستقل وهذا ما نطالب بهِ . شعراؤنا الاحياء ، فما فات ديوان حافظ سابقاً كان يجدر بالأحياء تلافيه في هذه الطبعة التي خلت حتى من الفهرس ولم تخل من كثرة الاغلاط المطبعية

(٤) — من رأيي أن يعتمد حضرة الناشر او غيره في المستقبل على لجنة من خاصة الادباء بين مريدي الفقيد الكريم للاشراف على اخراج طبعة أتم من هذه تكون جامعة لشعر حافظ جمعاً صحيحاً مبوباً مشروحاً أوفى شرح ، وتكون في الوقت ذاته فنية المظهر والوثق بما يتفق والاعتزاز الذي في نفوسنا لفقيد الشعر المصري والوطنية المصرية

هذا اقل ما تتطلبهُ الذكرى الادبية لشاعر النيل من مصر التي مجدها اي تمجيد في شعره ، وكان الترجمان الامين لآلامها وآمالها — مصر التي أعلا كرامتها وتسامى بعزتها وتضحيتها فقال على لسانها من قصيدتهِ الرائعة الخالدة (مصر فوق الجميع)

وقف الخلق ينظرون جميعاً كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناة (الاهرام) في سالف الده ر كفوني الكلام عند التحدي
أنا تاج العلاء في مفرق (الشر ق) ودرتها فرائد عقدي
أي شيء في (الغرب) قد بهر النا س جلالاً ولم يكن منه عندي ؟ !

وأخشى ان (الغرب) المتحدي يسأل (مصر) أي ذكرى عملية تقوم بها شعوب أعلامها الراحلين ؟

رحم الله حافظاً عداد حسناته

محمد عبد الغفور
(سكرتير التعاون بوزارة الداخلية)

شعراؤنا الضباط

تأليف محمد عبد الفتاح ابراهيم

بعد ان تفرغ من قراءة هذا الكتاب تتمثل امامك صور خمسة رجال تلتمع السيوف بأيديهم احياناً ، وتأخذ الاقلام مكان تلك السيوف اخرى ، يتجاذب كل من السيف والقلم حنان صاحبه اليه ونزوعه الى امتشاقه ، فما يقضي السيف امره حتى تهز القريحة شوقاً الى القلم ، وما يجري القلم بقيض القريحة حتى تستعر الحماسة لا تبغي الا الحسام ، ولكننا نرى هؤلاء الرجال في بعض الاحيان التي يحنون فيها الى السيف بعد طول هجر القلم كالخيل تملك اللجم ، يصولون ويجولون لا في ساحة الوغى بل في ابيات من الشعر تحدها الاوزان والقوافي

اولئك هم محمود سامي البارودي ، وحافظ ابراهيم ، وعبد الحليم حلمي المصري ، ومحمد فاضل ، ومحمد توفيق علي ، شغلوا شطراً كبيراً من القرن الماضي ، وصدر القرن الحاضر . والمؤلف هو ايضاً ضابط اديب ، وقد عني بدرس هؤلاء الشعراء الضباط ملائماً بين حياتهم الشعرية وحياتهم العسكرية فقد وفق في هذه الناحية كما وفق في تحليل العوامل التي ادت الى ان يقول كل منهم في الاغراض الشعرية المختلفة ، فهذا البارودي قضى مستهل حياته في الجندية الحافلة بالحوادث ، وخاض غمار الحروب فتحدث في شعره عن بلائه فيها ، ووصف المعارك والقتال ، وكان ذلك الى نفسه الكبيرة وروحه العالية داعياً الى التبختر بمزاياه وسجاياه ، وعاش حيناً من الزمن في خدمة الخديوي اسماعيل فائداً في حربه ، وقربه اسماعيل منه ، فقال في مدحه وأشاد بذكره ، وساهم في الثورة العرابية فكانت صبحاته اولى الصرخات السياسية في العصر الحديث ، وأفاض في حديث السياسة في جرأة وصراحة وترجم عن الاماني القومية بدافع نزعته الى الحرية ، ونفي الى جزيرة سرنديب فمكث في منفاه يشكو ويتوجع ، ويذكر الشباب وذكرياته ، ويحن الى مصر ويتشوق الى جرعة من نيلها ، وعاد الى مصر بعد العفو عنه مقوس الظهر مكفوف البصر ، فمدح عباساً وذكر أيام اسماعيل ، وكان طبيعياً — وقد مرت به كل تلك الحوادث — ان يتحدث عن الحياة على حقيقتها ، ويسوق الحكم كما اخذها عن تجاربه

وعلى هذا الغرار وعلى هذا التحليل تحدث المؤلف عن بقية الشعراء الضباط

واذا كان الانصاف قد اقتضانا ان نذكر ما للمؤلف فان الانصاف نفسه يقتضينا ان نذكر ما عليه

أهم ما عنى به ترجمة حياة الشاعر وبيان العوامل التي دعته الى القول في كل غرض ، ولكنه لم ينظر في الشعر نظرة نقد مستقصية ، والشعر ينظر فيه — عدا الاغراض — من حيث المعاني والاخيلة والالفاظ والاساليب وغيرها ، وهو لم يوف شيئاً من ذلك حقه ، بل حاول ان يعرض لبعض ذلك فلم يوفق ، مثال ذلك انه اتهم البارودي بادعاء الخطابة في قوله : (ص ٣٧)

أنا فارس أنا شاعر في كل ملحمة ونادي
فاذا ركبت فانني زيد الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني قس بن ساعدة الايادي

وقال ان القافية وحدها هي التي ارغمته على ان يتحدث عن قس بن ساعدة الايادي ! ونحن نقول له : ان قسًّا يضرب به المثل في مطلق البلاغة لا في الخطابة وحدها ، وما زلنا نقول « بلاغة قس وبيان سحبان » والشاعر يقول « انا فارس انا شاعر » ولم يقل « انا خطيب » والبيتان الثاني والثالث يفصلان البيت الاول ، فالبيت الثاني يفسر فروسيته ، والبيت الثالث يبين بلاغته في نطقه بالشعر لا كونه خطيباً كما حسب مؤلفنا الفاضل . ولو لم يكن الشاعر رجل حرب لكان شأن الابيات غير شأنها هذا

وساق قصيدة البارودي في رثاء زوجته وأعقبها بقوله (ص ٤٦) : « ولن تجد في حزن البارودي عنفاً . . فقد رأيته يتحدث عن الدمع الذي سيلازم وسادته بينا سواه يدك الجبال ويكسف الشمس ويخسف القمر » ومعنى هذا ان حزن الشاعر ضعيف لانه لم يشرك فيه الجبال والشمس والقمر ! ونحن نقول له : ليس مقياس شدة الحزن وضعفه دك الجبال وكسف الشمس وخسف القمر وما الى ذلك ، وان الدمع الذي يلازم الوسادة لابلغ في الحزن وأدل على عنفه من تلك المبالغات السخيفة . وثمة مآخذ اخرى على نقد المؤلف لم تتسع لها هذه الكلمة

ومهما يكن من شيء فان الاستاذ عبد الفتاح ابراهيم نبه بتأليف هذا الكتاب على ناحية من نواحي أدبنا الحديث ، وأدى مهمته كضابط أديب ، ووفق فيها توفيقاً لا بأس به

عباس حسان خضر

هوامش الصحافي العجوز

اصبحت كلمة « على الهامش » علماً على الصحافي العجوز . . . فكلما سافت الصحف حديثاً أو خاضت في شخصية تطلع القراء المتلهفون الى هامش الاهرام متشوقين . وهناك لا يكاد رجل الهامش يتريث الا ريثما يدور القمر دورته اليومية ثم يطلع على قرائه فيشفي الغليل ويروي الغليل .. وفي العام الماضي صدرت مجموعة من هذه الهوامش بعنوان « رسوم العريان وآخرون » وها نحن في هذا العام نحظى بمجموعة اخرى عنوانها « ابو جلدة وآخرون »

والمجموعتان متشابهتان في الحجم وفي صنف الورق وفي حروف المطبعة فان رأيتهما لا تكاد تحسبهما كتابين مستقلين صدرا في عامين وانما تحسبهما اخوين توأمين كان المؤلف يسهل على مقتنيهما تجليدهما معاً وحينئذٍ لا تشعر العين في قراءتهما بالانتقال من كتاب الى كتاب . وهذه الملاحظة من المؤلف نهاية في الذوق الفني الاصيل

والمجموعتان متشابهتان ايضاً في طريقة اختيار الموضوعات وطريقة ترتيبها وفي طريقة الكتابة والاسلوب . فدستور المؤلف في اختيار موضوعاته ان يكتب عن كل مسألة او شخصية شغلت حيزاً من وعي الناس وهو في ذلك لا يبالي هل كتب عن قديس كبرسوم العريان او كتب عن شخصية لص كابي جلدة وزميله المرميط فالمهم عنده هو ان هذه الشخصية ظهرت على مسرح الدنيا ومثلت دورها في الحياة تمثيلاً لفت اليها الانظار في فترة من الزمان — كذلك طريقته في ترتيب الموضوعات في المجموعة فهو دمقراطي الى ابعد حد فلا بأس ان يجعل موضوع اللورد نراي مثلاً بجانب موضوع برنس دار الكتب فمجموعات الهوامش من هذه الناحية اشبه بالمحافل الشعبية او بالمتاحف الفنية التي تترك بدون تصنيف لتكون ادنى الى نظام الطبيعة وأكبر الظن ان صاحبنا لا يتكلف لكتبه هذا الوضع الدمقراطي وانما ذلك يصدر عفواً عن بليمته الفنية صدى لنفسيته الحرة ومرآة لمسيحيته الاصيلة السمحة التي تفتح ملكوت الله للجميع

***

أما طريقة كتابته في التراجم فهي ليست تحليلية غالباً وانما هي استعراضية كل همه فيها أن يعطيك عن المترجم قصة حياة مصطنعاً في نقلها تلك أقل ما يمكن من الالوان . ولو سمح لي الاستاذ العجوز أن اكشف عنها قليلاً لقلت انهُ لم يعزف عن الطريقة التحليلية تحقيراً لشأنها اذ من الواضح انهُ يحسن استخدامها في حياته العملية كما أنهُ يوسطها في تعرف اصدقائه وسبر من يصلح للصداقة ومن لا يصلح وانما هو يعمد الى الطريقة الاستعراضية حتى لا تلوّن مبادئه وميوله مبادىء الآخرين وميولهم عند تحليلها ، كأنهُ يريد ان يعيش دائماً ملفوفاً على نفسه مدارياً بقدر ما يستطيع . اذن فتراجم الهوامش لا تعنى بالتغلغل في عناصر الشخصية المترجمة وكل عنايتها ان تقدم لك هذه الشخصية في قسمات وسمات واضحات ثم تتركها لك كائناً تفهم منها ما تريد — ومن العجيب ان صديقنا العجوز وخلفه اربعون سنة تؤيد سنرلته في الفن والشهرة لا يزال يصدر كتبه بمقدمات لكتاب قد يكونون كأبنائه او حفدته اذا راعينا السن فقط وافحصنا عن غير ذلك من الاعتبارات كأن نصف قرن في الصحافة لا يكفي لتعريفه للقراء . حقا انهُ لون من التواضع عجيب

كتبت عن الصحافي العجوز مرة قبل هذه فقلت ان فيه نصيباً من الشاعر والفيلسوف فغضب ورجاني ان ابعد عنهُ هذه التهمة وكنت اود ان افعل ولكن ما ذنبي وهو نفسه يدفعني الى تأكيد هذا الاتهام تأكيداً فأقول انهُ فيلسوف ساخر وساخر من الطراز العميق

أجل يا صديقي انك تسخر بالشهرة وتسخر بالاقدار وتسخر بالحياة وان تواضعك ما هو الا نوع من السخر يعرفه أصحاب اناتول فرانس في تهكماته واصدقاء المعري في مواربته للناس ومداراته ولعلك تتحفنا على ذكرهما بهامشين عن هذين الرجلين والى اللقاء عندئذٍ أيها الصديق الكريم

محمود أبو الوفا

باب الأخبار العلمية

نورمندي
ملكة البحار السبعة

وصفنا هذه الباخرة في مقتطف ابريل من السنة الماضية في مقال عنوانه «معجزات السفانة» ثم قرأنا وصفاً طريفاً لها في احدث جزء من اجزاء مجلة «الميكانيكا العامة» فآثرنا اتحاف قرائنا به في حينه، لكيلا تفوتهم شاردة ولا واردة من المعلومات الخاصة بتلك الجارية العجيبة واليك البيان :—

يبلغ وسق نورمندي ٧٩٢٨٠ من الاطنان وهي باخرة نسيج وحدها في سمتها وضخامتها والفر ما أتم صنعه من السفن حتى اليوم، فن العسير منافستها. ورسمها وزخرفها لا مثيل لها في تاريخ السفانة. ولا تحتوي اية سفينة من السفن الكبرى ما احتوته نورمندي من المخترعات العصرية. ومظهرها الخارجي البديع دليل جلي على شكلها الداخلي الانيق. وجؤجؤها ودراختها مصنوعة، على شكل مسابر للتيارات

والقوة الكهربائية المحركة لها تكفي لمدينة عدد سكانها ٣٠٠٠٠٠ نفس. وكل شيء في نورمندي (عروس الاطلنطي) يسترعي الاعجاب فضمورها خالية من الروازن (منافذ التهوية) والزناجير، وغيرها من الآلات والادوات المعرقلة للسير. وتستطيع نورمندي ان تدرأ عن نفسها، بجؤجؤها المسابر للتيارات غائلة الامواج الطاغية. ويتاح لها بقوتها الضخمة ان تقطع المحيط الاطلنطي في ٩٦ ساعة بحيث لا يعيقها اي عائق، ريحاً كان او مداً او جزراً او اسراباً من الحيتان او عواصف جبارة او غيرها، عن وصولها في ميقاتها المضروب

فاذا فيض لك ركوبها، تجلت لك فيها آيات الزخارف العصرية والرياش الفاخر والانوار الباهرة والالوان المطابقة لها. وفي نورمندي من الاثاثات الثمينة والمنسوجات النفيسة والمصنوعات الخشبية طرفٌ لم ترَ العين مثلها في اية باخرة اخرى، لان خشبها النادر استورد من جميع انحاء العالم. وقصارى القول، ان محتويات نورمندي تدل على اسمى ما بلغته الحضارة والعلوم في هذا العصر. وسرعتها ثلاثون ميلاً بحرياً في الساعة وطولها ١٠٢٩ من الاقدام وعرضها ١١٩ ½ من الاقدام. وقاطسها ٣٦ قدماً و ٧ قراريط وعدد ملاحيها ١٣٢٩ وقوة محركاتها ١٦٠٠٠٠ من الاحصنة وارتفاعها من قاعدتها الى ذروة مرقبتها bridge ١٢٨ قدماً

وفيها كل ما تشتهي الأنفس، وتقرّ برؤيته الاعين. فهي جزيرة عائمة، بحيث لا تطلب شيئاً الا وجدته فيها يسير المنال، من طعام ووقاية وعلاج ومكتبات ومسارح وجمباز

واحواض للسباحة وجرائد وراديو وحوانيت حلاقين للرجال ، واخرى لتنسيق وتزيين شعور السيدات ، وفيها كذلك الخياطون وغيرهم من الصناع . وتحتوي على الملاهي المختلفة الانواع ، والمتاجر الخاصة ببيع الملابس ومتعلقاتها

واذا قُدِّر لك السفر فيها ، استطعت الاختلاط بأجناس شتى من الناس فتسمع اهم اللغات الحية وغيرها من اللهجات . وقد استخدم في صنعها الوف من الصناع واستغرق ما ينوف على خمس سنين

وتشمل نورمندي جميع اسباب الترف ، ففيها حجرات لألعاب الاحداث وغرف للعب الورق (كوتشينة) وأروقة للعيد ، وغرفة للتدليك وثلاثة مشاف وحانوت لبيع الازهار وحجرة للتصوير الفوتوغرافي واخرى للعلاج . وحمامات كهربائية وبخارية ، وحظيرة للسيارات تسع ١٠٠ سيارة ، وبيوت للكلاب وأحواض لاغتسالها ومتنزهات للكلاب ايضاً !

وغرف الدرجة الثالثة في نورمندي موضوعة بقرب مؤخرها ، بدلاً من حشرها في الجؤجؤ كما هي الحال في غيرها . وتحتوي الباخرة على ساحة رحبة للشمس تستطيع الطيارات النزول عليها ، طولها ٣٠٠ قدم وعرضها ٧٥ قدماً ، خالية من العوائق المعتادة في البواخر الاخرى مثل الآلات والادوات وغيرها فتصلح ملعباً لكلاب الفضاء المختلفة الانواع

وتحتوي الدرجة الاولى في نورمندي على حديقة شتوية طولها ١١٢ قدماً وعرضها ٣٩ قدماً وفيها ردهة للاستراحة طولها ٩٥ قدماً وارتفاعها معادل لارتفاع ثلاث طبقات في الباخرة وفيها مصاعد تصعد بركابها الى اية طبقة من طبقاتها الاحدى عشرة . وفي الباخرة مسرح يسع ٣٥٠ مقعداً يستعمل إما للتمثيل وإما لسينما الناطقة . وفيها حوض للسباحة طوله ١٢٠ قدماً وعرضه ٣٠ قدماً ذو عمق مدرَّج تتاح فيه المنافسة في السباحة والغوص للراغبين من الركاب . وفيها ثماني ردهات لتناول الطعام ، عدا مطعم الدرجة الاول وهو مطعم فاخر طوله ٣٠٠ قدم وارتفاعه يعادل ارتفاع ثلاث طبقات من طبقاتها . وهذا مما يجعله من اكبر المطاعم في البر والبحر

وفي نورمندي اجهزة توقظ ركابها عند حدوث الحريق وتكافحهُ . وكذلك فرقة من مطفئي الحرائق ليس لزعيمها اي عمل الا الاضطلاع بتلك المهمة والسهر عليها

وجميع حيطان الباخرة ، وفواصل غرفها ، منشاة بطبقات من الواح معدنية من « الدورالومين » Duralumin موضوعة بين طبقتين من الاسبستوس (معدن لا يحترق) وفي كل حجرة من حجر الركاب جهاز منبه على الحريق ، فاذا ما وصلت حرارة اية غرفة ، الى درجة شاذة ، قرع الجهاز ناقوساً في المقر العام لفرقة الحريق ، واغلق الجهاز ، في الوقت نفسه ، الروازن المجددة للهواء في ذلك القسم من اقسام الباخرة

والدائرة الكهربائية في اغلب الغرف مستقلة عن غيرها . وفي سقف كل غرفة ، كوة تصل الى مركز مطفئي الحريق في الاحوال المستعجلة . واذا ما اختل جهاز الاضاءة الكهربائية ، في نورمندي فانطفأت مصابيحها ، تمكن الركاب من الاستضاءة

بانابيب نار النيرن والغازات المماثلة له . وفي نورمندي اجهزة راديو شتى تعمل مستقلة عن القوة الكهربائية التي تتولد فيها

ومن غرائب هذه الباخرة انها على ضخامتها المتقدم وصفها يستطيع تسييرها ٤٠٠ رجل فقط. اما باقي عمالها فمخصصون لخدمة الركاب . ولكن في غرفة القيادة (وقد وضعنا لها لقط مرقبة) ، مئات من الاجهزة الكهربائية تحل محل الوف من العمال البشريين

وعند ما تسير نورمندي بين اوربا واميركا تطلق دواخنها ١٥٠ طنًّا من الدخان في الهواء. وذلك بانابيب مسايرة للزيح صنعت لتلك الغاية لكيلا يصل الدخان البتة الى وجوه الركاب . وقد اتمت رحلتها الاولى ففاقت كل ما سبقها من السفن

تهجين القمح

جعل علماء الزراعة في جمهورية الولايات المتحدة الاميركية يبحثون في تهجين قمح لا يستهدف لآفة الصدأ . وقد يتعذر على الباحث تقدير الضرر الذي يصيب الزراعة من تلك الآفة الماحقة . وحسبنا ان نعرف ان الخسارة التي لحقت زراع اميركا الشمالية وحدها منها في سنة ١٩٣٧ كانت تقدر بملايين الجنيهات

وكل ما يعرفه الفلاح بشأن آفة الصدأ النباتي انه غبار احمر اللون ، يغشى اوراق القمح وسوقه فتحبط آمال الزراع في استغلال محصول جزيل من اراضيهم اذ يظفرون بمحاصيل ضئيلة . اما الخبير الزراعي فيقول انه نبات دقيق جدًّا لا يرى بالعين المجردة وهو من فصيلة الفطريات المعروفة في مصر باسم عيش الغراب

وقد استدل الخبراء من التجارب ان ذرّ كبريتات النحاس التي كانوا يستعملونها اولاً لوقاية الحبوب من القطر ، ما هي الا وسيلة وقتية لان المطر متى هطل على النباتات ، غسل عنها الكبريتات وكذلك الارياح الهوج تذروها عن الغلال فلا تستقر عليها استقراراً متسقاً ومن ثم اقتنع الخبراء بأن العلاج الناجع هو تهجين قمح لا يصيبه الصدأ

ولما كانت اصناف القمح تزيد على الالف عدًّا ، وجميعها معرضة للاصابة بآفة الصدأ بينما توجد اصناف اخرى ، ليست جيدة لصنع الخبز ، ولكنها لا تسطو عليها جراثيم الصدأ رأى مهجنو النباتات في جامعة منيسوتا وفي معهد الصدإ في كندا ، الشروع في تلقيح الحنطة التي لا تنتج خبزاً فاخراً ، بأصناف من الحنطة السليمة الحبوب غير المشهورة بانتاج الخبز الجيد ، ولكنها تضاد الصدأ . ولذلك فحص الخبراء ١٥٠٠٠٠ نوع من القمح في مدينة وينيبيج في خلال ستة اشهر حتى وفقوا لتهجين صنف منها يقاوم الصدأ

عرض جندي

العين وطول الحياة

اعلن الدكتور فيلكس برنشتين الاستاذ بجامعة كولومبيا الاميركية ان سر طول العمر او قصره في عين الانسان ، بل في عدستها . فالناس في الغالب اذا تخطوا سن الاربعين الى الخمسين ظهر شيء من التصلب في عدسات عيونهم .

فاذا كان هذا التصلب سويًّا (Normal) دل ذلك على ان مدى الحياة سوف يكون سويًّا فاذا ظهر هذا التصلب مبكراً دل على ان صاحبه لن يكون من المعمّرين . وعلى الضد من ذلك اذا ظهر متأخراً فالراجح ان صاحبه مكتوب له العمر الطويل . وهذا بصرف النظر طبعاً عن العوارض التي قد تقتل الانسان طفلاً وفتيً وشابًّا وكهلاً

ويقول الدكتور برنشتين انه توصل الى هذه النتيجة بعد ما بحث في خمسة آلاف حالة من حالات تصلب العدسة في العين ، دونت تفصيلاتها في عيادات جامعتي غوتنجن وليبتسغ وعيادتي طبيبين من اطباء العيون المشهورين وقد تتبع تاريخ كل حالة من هذه الحالات التي دونت كما تقدم من لدن تقدم اصحابها لامتحان العين الى حين الوفاة فتبين له ان الذين يصابون باكراً بتصلب العدسة يموتون باكراً وان الذين يتأخر تصلب العدسات في عيونهم يعمرون

آذان جديدة للجيش

صنع للجيش الاميركي «آذان» صناعية عجيبة في مكنتها ان تتبين هدير طائرات العدو وهي على بعد ١٢ ميلاً ثم اذا تبينته اطلقت من تلقاء نفسها اشعة قوية على هذه الطائرات فيستطيع رجال المدافع الخاصة بمقاومة الطائرات ، ان يسددوا قنابلهم اليها كأنهم يرونها في رابعة النهار

وقد تم هذا الاستنباط على يدي رجل يدعى فرانك هوس بعد خمس سنوات من البحث والتجربة

والسر في هذه « الآذان » جهاز خاص يستعمل فيها كالغربال اذا اردنا التشبيه اي انهُ يصد عن « الآذان » كل الاصوات الصادرة من مصادر ارضية ولا يأذن الاّ لهدير محرك الطائرة وآلتها بالوصول الى الجزء الحساس ومهما يكن الهدير لطيفاً يكبر ويقوى عند دخوله . وهذا الجهاز يمكن رجال الجيش من الاعتماد على هذه «الآذان» في العواصف والامطار وقد جرب في مثل هذه الاحوال فأسفرت التجارب عن نتائج تقابل نتائج الاجهزة المستعملة فعلاً في أتم الظروف هدوءًا وسكوناً

سرعة الحيات او بطؤها

اذا رأيت حية منسابة ظننت انها من الحيوانات السريعة ولكن القياسات العلمية تدل على انها ليست كذلك . فالدكتور دلني موزور احد اساتذة جامعة كاليفورنيا وجد بالاستقراء ان اسرع الحيات لا تقطع اكثر من ٣٠٦ ميل في الساعة

والحية التي بلغت هذه السرعة في انسيابها اضطرت اليها اضطراراً وعجزت عن المضي فيها الاّ مسافات قصيرة

وقد اجرى الدكتور موزور تجاربه بستة انواع من الحيات المألوفة في ولاية كاليفورنيا وقد استخرج لكل نوعين سرعتين . الاولى سرعتها الطبيعية عندما تبحث عن فرائسها والثانية عند ما تستحث حتى تبلغ اقصى سرعة تستطيعها

فهاجبات بطيئة كل البطء فلا تزيد سرعة انسيابها العادية على عُشْر ميل في الساعة واقصى سرعتها ميل وخمس ميل في الساعة . وثمة ضرب من البواء في كاليفورنيا لا يبلغ اقصى سرعته اكثر من ربع ميل في الساعة

الجزء الثاني من المجلد السابع والثمانين

١٢٩ الارض في محيط الاشعاع

١٣٦ بحث لغوي في مجلة المجمع الملكي : للاب انستاس الكرملي

١٤٤ اشكال السيارات والسنن (مصورة)

١٤٩ الشاتات المصرية القديمة : للدكتور حسن كمال

١٥٣ حجم ذرة الاثير : لنقولا الحداد

١٥٩ فلسفة الجمال : لحنا خباز

١٦٥ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي

١٦٩ سفن جوية كالقنابل

١٧٤ اعمدة الحكمة السبعة

١٧٨ تجران : لسعادة فؤاد حمزة بك

١٨٧ طلسم الآباد (قصيدة) : لالياس قنصل

١٨٨ الدفتيريا وعلاجها الواقي : للدكتور محمد علي

١٩٣ سوريا في زمن الصليبيين : لنقولا زيادة

٢٠٣ عجيبة المرأة المضيئة

٢٠٥ مغارة قاديشا العجيبة : لميشيل سليم كيد (مصورة)

٢٠٩ أيقاف كريات بيضاء : لامين ظاهر خير الله

٢١٥ الدكتور احمد النقيب : لنقولا شكري (مصورة)

---

٢١٩ باب سير الزمان — الدستور السوفياتي الاشتراكي : للاستاذ وليم بلت موزلو . مقام البترول في سياسات الامم الحربية والصناعية

٢٣١ باب مملكة المرأة — خواطر منتقفة عصرية . الصحة والطقس : للدكتور فيلب شدياق . نوم الاطفال . آداب الحديث

٢٣٩ حديقة المقتطف — المفرقعات : لمدام ديبورد فالمور . الشاعر والاولاد : لفكتور هوجو . الاناء المكسور : لسولي برودم

٢٤٥ باب المراسلة والمناظرة — ارشاد لغوي : لعبد الرحيم بن محمود . الهشاب والقتاد والعكوب : للفريق الدكتور امين المعلوف باشا

٢٤٧ مكتبة المقتطف * تآليف المستشرقين : منزلة الفارابي . المدخل الى ابن سينا ورسالة الحدود له : للدكتور بشر فارس . المعجم في بقية الاشياء . ضحى الاسلام : لاسماعيل مظهر . ديوان حافظ : لمحمد عبد الغفور . تمرات النباة : لعباس حسان خضر . حواشي الصحاح للجوز : لمحمود ابو الوفا

٢٦٠ الاخبار العلمية * تورمندي . تهجين القمح : لموش جندي . العين وطول الحياة . آذان جديدة للجيش . سرعة الحيات او بطؤها

صورة برج ينتظر تشييده لمعرض باريس سنة ١٩٣٧ علوه ٦٩٠٠ قدم
وقطره عند قاعدته ٧٠٠ قدم وعند قمته ١٢٥ قدماً